



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية

المناسبة بين كلمات الآية الواحدة في القرآن الكريم

- دراسة تأصيلية تفسيرية -

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في كلية التربية قسم الثقافة الإسلامية تخصص تفسير وحديث

إعداد الطالب

الخضر ناصر الجونة صالح

الرقم الجامعي: ٤٣٠١٠٨١٨٧

إشراف:

أ. د. زيد عمر العيص

أستاذ الدراسات القرآنية

الفصل الثاني للعام الجامعي ١٤٣٣ - ١٤٣٤ هـ

الإهداء

إلى من ربّاني على حب العلم منذ نعومة أظفاري ...

إلى من علمني التمسك بالمبادئ وعدم التنازل عنها مهما

صعبت وعظمت ...

إلى والدي رحمه الله وأدخله فسيح جناته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
فقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه العظيم على خاتم الأنبياء والمرسلين، فجعل هذا الكتاب حجة على العالمين إلى يوم الجزاء والدين.
هذا الكتاب العظيم هو النور المبين، والصرط المستقيم والذكر الحكيم والحبلى المتين.

فيه نبأ عظيم، فيه أحسن القصص، وأصدق الحديث، وفيه شفاء للناس.
جعله الله نوراً، وهدى ورحمة للمؤمنين، وجعله فصلاً وفرقاناً بين المؤمنين والكافرين.

فيه الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والبيان الشافي، والعلم المفصل الكافي.
من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لَئِنَّ اللَّهَ الْآمُرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]. وقال ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

أنزل الله سبحانه وتعالى هذا الكتاب العظيم على رسوله الأمين، وتحدى به الخلق أجمعين، فكان هذا الكتاب معجزة خالدة إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

قال الرافعي: «لو وضعت ألسنة الخلق جميعاً في فم رجل واحد لن يستطيعوا أن يأتوا بسورة من مثله»^(١)

ووجوه إعجاز القرآن كثيرة، ومنها حسن اختيار ألفاظه، وتناسق كلماته، وترتيب أجزائه .

قال ابن عطية: «القول الذي عليه الجمهور وهو الصحيح في نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره»

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د . محمد أبو موسى (ص ٣٠).

إلى أن قال: « كتاب الله لو نُزعت منه لفظة ثم أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد »^(١).

وقد عكف العلماء على تدبره، وبيّنوا فصاحة ألفاظه و بلاغة نظمه، وقد ظهر ذلك جلياً في علم المناسبات الذي يُعنى بوجوه ارتباط السور والآيات، وما فيها من البلاغة وأسرار الإعجاز.

ولما كان علم المناسبات بهذه الأهمية، أحببت أن أشرك ولو بسهم يسير في ذلك خدمة لكتاب الله الكريم.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم.

مشكلة البحث:

يواجه قارئ القرآن كلمات في بعض الآيات قد لايهتدي إلى سبب اختيارها، ويشكل عليه التعبير بلفظ دون آخر، أو ورود اللفظة في آية وتركها في آية أخرى مع الاتفاق في الموضوع، ولاشك في دقة اختيار ألفاظ القرآن، وأن هذه اللفظة أو تلك لها ارتباط بما قبلها أو ما بعدها، لكن لا يدرك ذلك إلا العلماء، وقد أسهموا - رحمهم الله - في تقديم حلول لهذه المشكلة، وبيّنوا السر في اختيار الألفاظ، ووجوه ارتباطها ببعضها، وأصلوا لذلك في مؤلفاتهم، إلا أن ذلك متناثر في مصنفاتهم يحتاج إلى تتبع وإبراز، لذلك كانت هذه الدراسة - في نظري - ملحة، ففيها تتبع لما أصله العلماء في ذلك، وبيان وجوه الارتباط والتناسب بين كلمات الآية، وكيفية معرفة ذلك مع ذكر أمثلة موضحة لهذا التأصيل.

حدود البحث:

- ١ - يقتصر البحث على المناسبة بين الكلمة والكلمة الأخرى في الآية الواحدة.
- ٢ - يشمل البحث جميع آيات القرآن التي تناسب أن تكون أمثلة لما ذكرنا.
- ٣ - كما أن البحث عام، وغير محصور في كتاب معين.

(١) المحرر الوجيز (٥٢/١).

مصطلحات البحث:

- المناسبة في اصطلاح المفسرين:

وجه الارتباط بين كلمات الآية الواحدة وبين كل آية بما قبلها وما بعدها، والسورة بما قبلها وما بعدها^(١)، وتعدّ المناسبة بين الكلمات في الآية الواحدة نوعاً من أنواع المناسبة، إذ تبين الرابطة بينها في الآية المذكورة، وإذا ذكرت المناسبة بين الكلمات، فالمقصود كلمات الآية الواحدة.

- المناسبة الظاهرة: هي المناسبة التي تُبنى على الصلات القريبة الواضحة^(٢).
- المناسبة الخفية: هي المناسبة التي تحتاج إلى مزيد من التدبّر، والتفكّر، والغوص في معاني الآيات^(٣).
- المناسبة من حيث التوافق الصوتي: هي المناسبة بين كلمتين فأكثر يجمع بينها تجانس الصوت^(٤).

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- ١- يُعدّ علم المناسبات علماً جليلاً يعين المفسّر على تفسير النص القرآني.
- ٢- يساعد هذا البحث على إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.
- ٣- في تعيين المناسبة ما يُعدّ مرجحاً قوياً لبعض المعاني على بعض عند الاختلاف. كما يمكن من خلاله استنباط معانٍ جديدة يقتضيها السياق.
- ٤- يُعين علم المناسبات على رد مزاعم المنحرفين من المستشرقين وغيرهم، الذين يشكّون في ترابط أجزاء القرآن الكريم.
- ٥- قلّة الدراسات اللغوية المتعلقة بالتفسير في القسم.
- ٦- التعرف على تأصيل العلماء لهذا النوع من علم المناسبات لتتضح معالمه وملامحه.

(١) المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، مصطفى مسلم، وعبدالله الخطيب، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد ٢، العدد ٢، (ص: ٤).

(٢) الإتقان، للسيوطي (٩٧٨/٢).

(٣) المناسبات في القرآن الكريم، عبد الله بن مقبل القرني (ص: ١٤٧).

(٤) التصوير الفني، سيد قطب (ص: ٩٤).

٧- الرغبة في تتبّع المناسبات الدقيقة والخفية وتقريبها، وإبرازها لتكون في متناول طلاب العلم والباحثين.

٨- في البحث عن المناسبات كذلك امتثال لأمر الله سبحانه بتدبر القرآن الكريم .

الدراسات السابقة :

هناك عدة دراسات معاصرة منها مايلي:

١- المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، للباحث عبدالله بن مقبل بن ظافر القرني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ.

ويلاحظ على الرسالة ما يلي:

أ- أن موضوعها عام، فالباحث تناول فيها جميع أنواع المناسبات.
ب- أن الدراسة محصورة في تفسير الرازي فقط، فلا يكاد الباحث يذكر غيره من المفسرين، كما أنها محصورة في سورتي الفاتحة والبقرة.

٢- الأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي ختمت بها من سورة النور إلى آخر القرآن، للباحث عبد الودود مقبول حنيف، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ.

٣- الأسماء الحسنى ومناسبتها للآيات التي ختمت بها من أول سورة المائدة إلى آخر سورة المؤمنون، للباحث محمد مصطفى أيدين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.

ويلاحظ أن هذين الباحثين محصوران في الأسماء الحسنى، ومناسبتها لأوائل الآيات، وهو ما يعرف (بالتذييل)، كما أنها دراسات تطبيقية وليست تأصيلية.

٤- المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جمعاً ودراسة ونقداً، للباحث أحمد بن محمد بن قاسم مذكور، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢٩ هـ.

٥- المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال سورتي الأنفال والتوبة، جمعاً ودراسة وتحليلاً، للباحثة ندين بنت مصطفى بن علي السليمي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٣٠ هـ.

٦- المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من أول سورة ق إلى آخر سورة الناس جمعاً ودراسة وموازنة، للباحث ممدوح بن تركي بن محمد القحطاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٣٠ هـ.

ويلاحظ على هذه الرسائل مايلي:

أ - أنها تناولت المناسبات عموماً، وخاصة ارتباط الآية بما قبلها ولكنها قليلاً ماتذكر المناسبة بين كلمتين.

ب- أنها محصورة بأجزاء معدودة، وكذلك اقتصرت على تفسير ابن عاشور فقط.

ج- أن هذه الدراسات ركزت على الجانب التطبيقي، ولم تذكر من التأصيل لعلم المناسبات إلا شيئاً يسيراً، عبارة عن مقدمة عامة مختصرة.

٧- نظم الماس والدرر في معرفة مقاصد السور من الصافات إلى الحجرات،

تأليف عدنان عبد القادر، صدر الكتاب عن دار حامل المسك، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ.

ويلاحظ على الكتاب ما يلي:

أ- الكتاب يدور حول ذكر الأهداف العامة، والمحاوور الرئيسة للسور كما هو واضح في العنوان، فهو أقرب إلى التفسير الموضوعي.

ب- أنه محصور في سور معينة، ويركز على الجانب التطبيقي فقط.

ج- يذكر المناسبات بين أوائل السور وأواخرها، أمّا المناسبات بين الكلمات فلا يعرج عليها إلا قليلاً.

أهداف البحث:

١- التعرف على تأصيل العلماء لهذا النوع من علم المناسبات، وإبراز قواعده وأقسامه.

٢- إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن، مما يزيد الإيمان ويرسخه.

٣- إيضاح مناهج العلماء في كيفية ذكر المناسبات وبيانها.

٤- التعرف على الطرق الموصلة لاستخلاص المناسبة، وكيفية استنباطها.

٥- التعرف على وجوه الارتباط بين الكلمات في الآية الواحدة، ليظهر مدى إعجاز القرآن الكريم في اختيار الألفاظ المناسبة التي لا يغني غيرها عنها.

أسئلة البحث:

- ١- ما معالم هذا النوع من علم المناسبات، وما قواعده وأقسامه؟
- ٢- ما مدى دلالة هذا النوع من علم المناسبات على إعجاز القرآن؟
- ٣- كيف يتوصل العلماء إلى معرفة المناسبة، واستخلاصها من الآيات، وما مناهجهم في ذلك؟
- ٤- ماهي الطرق الموصلة لمعرفة التناسب بين الكلمات في الآية الواحدة؟
- ٥- ماهي أوجه الارتباط بين الكلمات في الآية الواحدة؟

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

إجراءات البحث:

- ١- استقراء المادة العلمية في مظانها من كتب التفسير، وعلوم القرآن، وكتب إعجاز القرآن القديمة والمعاصرة.
- ٢- بعد ذلك أقوم بتوضيح ما أصّله العلماء لهذا النوع من علم المناسبات، وماذكروا من قواعده وأقسامه، مدعماً ذلك بالأمتثلة، وسأكتفي بذكر ثلاثة أمثلة لكل قسم.
- ٣- كانت خطوات الدراسة المفصلة كالاتي:
 - أ- أورد التقسيم الذي ذكره العلماء في هذا النوع من علم المناسبات.
 - ب- أورد الأمثلة من القرآن التي تدخل تحت هذا التقسيم الخاص.
 - ج- مراعاة عقيدة السلف عند اختيار وجوه المناسبة.
 - د- عند ذكر الأمثلة من القرآن على وجه المناسبة، أورد كلام المفسرين وغيرهم الذين فصلّوا في ذكر المناسبة المعينة، أو كان في كلامهم زيادة ليست عند الآخرين، ثم في نهاية المثال أشير إلى بقية العلماء الآخرين الذين ذكروا هذه المناسبة مع الإحالة إلى أغلب المراجع في ذلك.
 - هـ- إن كان في المثال قولان أو أكثر في وجه المناسبة فأذكرها جميعاً، وأرجّح، مع مراعاة مايلي:
 - تقديم مافيه مناسبة ظاهرة على مافيه مناسبة خفية.

- اختيار المناسبة التي ترجحها أدلة أخرى، كآية في موضع آخر، أو يدل عليها السياق، أو المقصد العام للسورة .
- قد تتعدد وجوه المناسبة في المثال الواحد، ولا تعارض بينها، فأذكرها جميعاً، و قد تكون وجوه المناسبة جميعها قوية ومحتملة، فأذكرها بدون ترجيح .

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.
على النحو التالي:
المقدمة:

تتضمن على بيان مشكلة البحث، وحدوده، ومصطلحاته، وبيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة حوله، وتشمل أهداف البحث والمنهج الذي سأسير عليه، وإجراءات البحث، وخطة مجملته لمحتويات البحث.

تمهيد، ثم:

الفصل الأول علم المناسبات وقواعده وطرقه.
وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: علم المناسبات، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف علم المناسبات .

المطلب الثاني: نشأة علم المناسبات .

المطلب الثالث: أنواع المناسبات في القرآن .

المطلب الرابع: مكانة علم المناسبات وأهميته.

المطلب الخامس: حكم القول بالمناسبات في القرآن.

المطلب السادس: أشهر المؤلفات في علم المناسبات.

المبحث الثاني: المناسبة بين كلمات الآية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريفها.

المطلب الثاني: أقوال العلماء فيها .

المبحث الثالث: قواعد المناسبة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قواعد عامة في علم المناسبات .

المطلب الثاني: قواعد خاصة في المناسبة بين كلمات الآية.

المبحث الرابع: طرق معرفة المناسبات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طرق لمعرفة المناسبة عامة.

المطلب الثاني: طرق معرفة المناسبة بين الكلمات في الآية الواحدة .

الفصل الثاني: أقسام المناسبة بين الكلمات من حيث المعنى.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أقسام المناسبة من حيث العلاقة بين الكلمات

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: علاقة تضاد .

المطلب الثاني: علاقة الخاص بالعام.

المطلب الثالث: علاقة أصل وفرع.

المطلب الرابع: علاقة مكانية.

المطلب الخامس: علاقة زمانية.

المطلب السادس: علاقة فئة.

المطلب السابع: علاقة سبب ونتيجة .

المطلب الثامن: علاقة تتابع وتدرج.

المطلب التاسع: علاقة اقتران .

المطلب العاشر: علاقة شيء بوظيفته.

المبحث الثاني: أقسام المناسبة من حيث الظهور والخفاء.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المناسبة الظاهرة.

المطلب الثاني: المناسبة الخفية.

الفصل الثالث: أقسام المناسبة بين الكلمات من حيث اللفظ.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أقسام المناسبة من حيث نوع الكلمة.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المناسبة بين اسم واسم.

المطلب الثاني: المناسبة بين اسم وفعل.

المطلب الثالث: المناسبة بين اسم وحرف .

المطلب الرابع: المناسبة بين فعل وفعل.

المطلب الخامس: المناسبة بين فعل وحرف .

المبحث الثاني: أقسام المناسبة من حيث المطابقة بين الكلمتين وعدمها .
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التناسب في الإفراد والتنثية والجمع.

المطلب الثاني: التناسب في التعريف والتكثير.

المطلب الثالث: التناسب في التذكير والتأنيث.

المبحث الثالث: أقسام المناسبة من حيث ترتيب الكلمات وموقعها في الآية.
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المناسبة في التقديم والتأخير .

المطلب الثاني: المناسبة بين كلمتين في جملة واحدة أو أكثر.

أ - التناسب بين كلمتين في جملة واحدة.

ب - التناسب بين كلمتين في جملتين مختلفتين .

المبحث الرابع: المناسبة من حيث غرابة اللفظ.

المبحث الخامس: المناسبة من حيث التوافق الصوتي.

ثم الخاتمة .

فالفهارس وهي تشمل:

- فهرس الآيات.

- فهرس الأحاديث.

- فهرس الآثار.

- فهرس الأعلام.

- فهرس الأبيات الشعرية.

- فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات .

ولا أنسى في ختام هذا البحث أن أقدم الشكر قسم الثقافة الإسلامية، في كلية التربية، جامعة الملك سعود، على أن أتاح لي مواصلة دراسة الماجستير . وكذلك أشكر كل الأساتذة الذين تلقيت العلم عنهم في هذا القسم . وفي نهاية بحثي، أقول لقد بذلت جهدي فيه، ولاشك أن الزلل والخطأ من طبائع الإنسان، والتنبيه على جوانب الخطأ من أفضل الأعمال عند أهل العلم، إذا كان ذلك مقترناً بالرفق والأسلوب الحسن، ويعجبني في ذلك ما قاله العلامة البقاعي رحمه الله: «وأنا لم أدع العصمة فيما قلت، وما تركت أحداً ممن يلّم بي، إلا قلت له: المراد الوقوف على الحق من معاني كتاب الله تعالى، والمساعدة على ما ينفع أهل الإسلام، فمن وجد لي خطأ، فليخبرني به لأصلحه . والله الذي جلت قدرته، وتعالى عظمته، لو أن لي سعة تقوم بما أريد لكنت أبذل ما لآ لمن ينبّهني على خطأي، فكلما نبّهني أحد على خطأ، أعطيته ديناراً. ولقد نبّهني غير واحد على أشياء فيه، فأصلحتها، وكنت أدعو لهم، وأثني عليهم، وأقول لهم هذا الكلام، ترغيباً في المعاودة إلى الانتقاد، والاجتهاد في الإسعاف بذلك والإسعاد»^(١).

فأنا أتمثل بقول العلامة البقاعي، فكل من نبّهني على خطأ، وأرشدني إلى الصواب، فله منّي الشكر والثناء الجميل، وله من الله الأجر والثواب الحسن . هذا وأسأل الله العليّ القدير أن يجعل عملي هذا في ميزان حسناتي، وأن يرزقني فيه النية الحسنة، والثواب الجزيل .

(١) مساعد النظر (١/١٠٤) .

تمهيد

بعث الله كل نبي إلى قومه بآية معجزة، حتى إذا مات النبي في أمته، انقطعت الآية وانتهت المعجزة، ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعته هي الخالدة إلى يوم الدين، وقائمة إلى أن يبعث الله الأولين والآخرين، كانت معجزته هي القرآن العظيم.

قال تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت ٥٠ - ٥١].

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري^(١).

قال ابن كثير (ت ٧٧٤): " وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء، وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أن معنى الحديث: ما من نبي إلا أعطي من المعجزات ما آمن عليه البشر، أي: ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به، واتبعه من أتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم يبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه، فأما الرسول الخاتم للرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنما كان معظم ما أتاه الله وحيا منه إليه، منقولا إلى الناس بالتواتر، ففي كل حين هو كما أنزل، فلهذا قال: (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا)، وكذلك وقع، فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة، واستمرار معجزته"^(٢).

جاء النَّبِيُّونَ بِالْآيَاتِ فَانصَرَمَتْ وَجئْنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنصَرِمٍ
آيَاتُهُ كُلَّمَا طَالَ الْمَدَى جُدَّدَ يَزِينُهُنَّ جَلالُ الْعِلْمِ وَالْحِكْمِ (٣)

لذلك كانت معرفة الإعجاز من أهم الأمور والواجبات " لأن نبوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معجزتها الباقية القرآن "^(٤).

(١) كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، رقم (٤٩٨١) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢٠/١) .

(٣) الشوقيات (٢٤٦/١) بتصريف يسير .

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١١٨/٢) .

وقد عني به المتقدمون والمتأخرون من عصر الصحابة إلى هذا اليوم " وها هي المكتبات العامة والخاصة زاخرة بالتفاسير العربية للقرآن الكريم، على رغم ما اندثر منها، وعلى رغم ما يأتي به المستقبل من تفاسير يؤلفها من لا يقنعون بقديم، ويتلقاها عنهم من يجدون في أنفسهم حاجة إلى عرض جديد لعلوم القرآن والدين، مما يدل على أن القرآن بحر الله الخضم، وأن العلماء جميعا من قدامى ومحدثين لا يزالون وقوفا بساحله، يأخذون منه على قدر قرائحهم وفهومهم، والبحر بعد ذلك هو البحر في فيضانه وامتلأه، والقرآن هو القرآن في ثروته وغناه بعلومه وبأسراره" (١).

كيف لا يكون كذلك، والله تعالى يقول ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، ويقول ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال ابن كثير: "ما كان لتنفذ عجائب ربي، وحكمته وخلقه وعلمه" (٢)، وقال القرطبي (ت ٦٧١): "أي مانفدت العبارات والدلالات، التي تدل على مفهومات معاني كلامه سبحانه وتعالى" (٣).

وقال ابن عاشور (ت ١٣٩٤): "كلمات الله مايدل على شيء من علمه، مما يوحي إلى رسله أن يبلغوه" (٤).

قال السعدي (ت ١٣٧٦): "أخبر عن سعة كلامه وعظمة قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ، وتبهر له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسيح في معرفته أولو الأبواب والبصائر، فقال: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ) يكتب بها (وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) مدادا يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام ولفني ذلك المداد، و لم تنفد (كَلِمَاتُ اللَّهِ) تعالى، وهذا ليس مبالغة لا حقيقة له، بل لما علم تبارك وتعالى، أن العقول تتقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته، وعلم تعالى أن معرفته لعباده، أفضل نعمة أنعم بها عليهم، وأجل منقبة حصلوها، وهي لا تمكن على وجهها، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك كله، فنبههم تعالى تنبيها تستتير به قلوبهم، وتشرح له صدورهم، ويستدلون بما

(١) مناهل العرفان، الزرقاني (١٢٢/٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٤٨/٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٩٨/١٣).

(٤) التحرير والتنوير (٥٢/١٦).

وصلوا إليه إلى ما لم يصلوا إليه، ويقولون كما قال أفضلهم وأعلمهم بربه: (لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك) ^(١) وإلا فالأمر أجلّ من ذلك وأعظم ^(٢).
فالقُرآن إذن دال على معانٍ كثيرة، لا يستطيع حصرها و " لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه، ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه، فلذلك حارت العقول، وتاهت البصائر عنده ^(٣).

والعلماء آخذون منه على قدر أفهامهم وقرائحهم، وعلى حسب تنوّع تخصصهم وفنونهم ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦٠]، " فالفقيه يستتبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام . وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب ^(٤)، وهو مع ذلك كله " بحر زخار لا يدرك له من قرار، وطود شامخ لا يسلك إلى قُنّته ولا يصار، من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولاً ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلاً ^(٥).
لذلك صح عن الصحابة قولهم عن القرآن إنه " لا تتقضي عجائبه ".
أي لا تنتهي معانيه العجيبة وفوائده الكثيرة.

لهذا سيظل كتاب الله غزاً طرياً، وبحراً زاخراً باللؤلؤ والدر والمرجان، لكنه مشروع الأبواب، مهما قرأه القارئ، وأعادته فسيظفر في كل مرة منه بعجائب لا تتقضي، وكما قال سهل بن عبدالله ^(٦): " لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم، لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه ؛ لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أن ليس لله نهاية،

(١) رواه مسلم رقم (٤٨٦) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص : ٦٥١) .

(٣) البرهان في علوم القرآن ن الزركشي (١٠٠/٢) .

(٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٧ / ١)

(٥) المصدر السابق (٦/١) .

(٦) هو أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس التنستري، الصوفي الزاهد، توفي سنة ٢٨٣هـ وقيل ٢٧٣هـ . سير

أعلام النبلاء (١٣ / ٣٣٠) .

فكذلك لانهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلُّ بمقدار مايفتح الله على قلبه، وكلام الله غير مخلوق، ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة" (١).

القرآن لاتنقضي عجائبه:

وردت هذه العبارة في عدة روايات عن عدد من الصحابة، سأذكرها مع ذكر كلام العلماء عليها رواية ودراية:

١- جاء أن أبابكر الصديق رضي الله عنه خطب الناس، فقال في خطبته: "هذا كتاب الله عز و جل لاتفنى عجائبه، فاستوصوا به منه ليوم ظلمة" رواه الطبراني (٢).

٢- وعن علي رضي الله عنه قال: "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن ١-٢]، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم" رواه الترمذي مرفوعاً (٣).

٣- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إن هذا القرآن مآدبة الله، فتعلموا من مآدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبل الله الذي أمر به، وهو النور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن اعتصم به، ونجاة لمن تمسك به، لا يعوج فيقوم، ولا يزوغ فيشعب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن رد، اتلوه فإن الله يأجركم لكل حرف عشر حسنات، لم أقل لكم ألم، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" أخرجه عبد الرزاق والطبراني (٤).

(١) التفسير البسيط، الواحدي (٤٢٨/١).

(٢) المعجم الكبير رقم (٣٩) قال ابن كثير عن هذه الخطبة: إسنادها جيد ولها شواهد من وجوه أخر. تفسير ابن كثير (٧٨/٨).

(٣) الترمذي رقم (٢٩٠٦) وقال فيه: (إسناده مجهول وفي الحارث مقال)، وقال ابن كثير: (وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي، رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم) تفسير ابن كثير (٢١/١). قال عبد الله الجديع: (قلت: التحقيق أن علته ضعف الحارث، وما أشار إليه الترمذي من الجهالة زائل أثرها بالمتابعة، والأشبه أن يكون هذا من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أخطأ الحارث في رفعه) المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص: ١٨).

(٤) مصنف عبد الرزاق رقم (٦٠١٧)، المعجم الكبير رقم (٨٦٤٦). وقد صححه عبد الله الجديع بعد أن ذكر طريقه و شواهد بتوسع في تذييله على كتاب (الرد على من يقول الم حرف) لأبي القاسم بن منده (ص: ١٠٣).

وورد عنه أيضا: "قفوا عند عجائبه" أخرجه ابن أبي شيبة^(١).
 وقوله كذلك: "من أراد العلم فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين" ^(٢).
 قال في التعليق الصبيح: "أي غرائب، ودقائقه ولطائفه" ^(٣).
 وفي فيض القدير: "وأمره وزواجه، ومواعظه، وقصصه ووجوه بلاغته، وبديع رموزه وإشارات" ^(٤)، وفي تحفة الأحوزي: "أي لانتتهي غرائب التي يتعجب منها" ^(٥).
 وقال محمد عبده (ت ١٣٢٣): "أراد بها ما يتجدد للقرآن من المعاني التي غفل الناس عنها لحدوثها بأحداث الأفكار والعلوم، مع كونها لاتخالف أصول الشريعة ولا تعارضها" "لأنه مهما تأمله الإنسان استخرج منه بفكره غرائب وعجائب لم تكن عنده من قبل" ^(٦).

هذه الآثار وماتدل عليه من معان عظيمة، تؤيدها وتقويها الأدلة السابقة من القرآن. قال الرافعي: "يفهم العربي من هذا الحديث (حديث علي) أن في القرآن تأريخاً وأنباءً من الغيب وشريعة، أما نحن فنفهم منه أن فيه تأريخ الاجتماع الإنساني، وتاريخ مسائله، وحل مشكلته التي لا بد منها في كل عصر مما يزيغ الناس بحكم ما بينهم، وإن ذلك كله مراد به جد الحياة لاهزلها، ومعانيها الباقية في تاريخها الزاهية في تواريخ أفرادها، وتأمل كيف قال: (ما قبلكم، وما بعدكم) ولم يقل: من قبلكم ومن بعدكم" ^(٧).
 و قال ابن عاشور: "وهل اتسعت التفاسير، وتفننت مستتبطات معاني القرآن إلا بما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله. وهل يتحقق قول علمائنا - إن القرآن لا تتقضي عجائبه - إلا بازدياد المعاني باتساع التفسير، ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصراً في ورقات قليلة" ^(٨).

- (١) مصنف ابن أبي شيبة رقم (٨٨٢٥)
- (٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم (٨٦٦٦) بإسناد صحيح، ومعنى (يثور): أي ينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته (النهاية في غريب الحديث) (١/٢٢٩).
- (٣) التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح، الكاندهلوي (٣/١٧).
- (٤) فيض القدير، المناوي (١/٥٦١).
- (٥) تحفة الأحوزي، المباركفوري (٨/٢٢١).
- (٦) شرح نهج البلاغة (ص: ٣٦٨).
- (٧) إعجاز القرآن (ص: ١١٣).
- (٨) التحرير والتنوير (١/٢٨).

وقد ذكر ابن عاشور لهذه المعاني المستنبطة شروطاً فقال: " وشرطه أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ عربية، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفاً بيناً، ولا خروجاً عن المعنى الأصلي، حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية " (١).

ثم ذكر عدة أدلة في الرد على الشاطبي (ت ٧٩٠) في قوله " إنما يصح في مسلك الأفهام والفهم ما يكون عاماً لجميع العرب، فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه " (٢)، وذكر منها (٣):

- ١- أن السلف قالوا: إن القرآن لا تتقضي عجائبه، يعنون معانيه، ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار أنواع معانيه.
 - ٢- أن مقاصد القرآن راجعة إلى عموم الدعوة وهو معجزة باقية. فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة.
 - ٣- أن من تمام إعجازه أن يتضمن من المعاني مع إيجاز لفظه، ما لم تف به الأسفار المتكاثرة.
 - ٤- أن مقدار أفهام المخاطبين به ابتداءً، لا يقضي إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهوماً لديهم، فأما ما زاد على المعاني الأساسية فقد يتهيأ لفهمه أقوام، وتحجب عنه أقوام، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.
 - ٥- أن عدم تكلم السلف عليها، إن كان فيما ليس راجعاً إلى مقاصده فنحن نساعد عليه، وإن كان فيما يرجع إليها، فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات، بل قد بينوا وفصلوا وفرّعوا في علوم عُنوا بها، ولا يمنعنا ذلك أن نقف على آثارهم في علوم أخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية، أو لبيان سعة العلوم الإسلامية.
 - ٦- لو كان التفسير مقصوراً على بيان معاني مفردات القرآن، من جهة العربية لكان التفسير نزرًا، ونحن نشاهد كثرة أقوال السلف من الصحابة، فمن يليهم في تفسير آيات القرآن، وما أكثر ذلك الاستتباب برأيهم وعلمهم، فتبين على القطع أن كل مفسر قال في معنى الآية بما ظهر له باستتباطه.
- وهذه الضوابط ترجع إلى ما ذكر محمد عبده من كون هذه المعاني المستنبطة لا تخالف أصول الشريعة ولا تعارضها.

(١) المصدر السابق (١/٤٤) .

(٢) الموافقات (٢/١٣٦) .

(٣) المصدر السابق (١/٢٨ و ٤٤) .

قال الرافعي ^(١): " إن القرآن كتاب كل عصر، وله في كل دهر دليل من الدهر على الإعجاز، ونحن قد قلنا في غير الجهات التي كتب فيها كل من قبلنا، وسيقول من بعدنا فيما يفتح الله به، إن ذلك على الله يسير " ^(٢).

وقال صاحب المنار: " وقد تضمن كل من هذا وذاك، بدقة التعبير وإعجاز البيان، آيات أخرى تظهر أنا بعد أن، دالة على أنواع من إعجاز القرآن، وكونه وحيا من الرحمن، فكتابه تعالى مظهر لقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] ^(٣).

ولاشك أن القول في المناسبات هو وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وعلماء الإعجاز وقبلهم علماء البيان والأدباء مجمعون كلهم على أن التناسب من أهم عناصر الجمال، وأبرز شروط الفصاحة في التعبير اللغوي وفي إعجاز القرآن ^(٤).

وهو كما قال دراز ^(٥): " وهذا الباب من أبواب البحث والاستنباط، الذي لا يمس أصلاً من أصول الدين، ولا يحل حراماً أو يحرم حلالاً، لن يزال مفتوحاً لكل مسلم أعطاه الله فهماً في كتابه، على شريطة القصد والأناة في سير العقل، ومع الاستضاءة في هذا السير بمصباحين من اللغة والشرع" ^(٦).

- (١) مصطفى صادق الرافعي عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتّاب، نشره من الطراز الأول، أصله من طرابلس الشام، نشأ بمصر وتوفي بها سنة ١٣٥٦ هـ . الأعلام (٧/٢٣٥) .
- (٢) إعجاز القرآن (ص: ١٥٤) .
- (٣) تفسير المنار (١/٢١٢) .
- (٤) التناسب البياني في القرآن، أحمد أبو زيد (ص: ٢٦) .
- (٥) محمد عبدالله دراز، فقيه، متأدب، مصري، أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، توفي سنة ١٣٧٧ هـ . الأعلام (٦/٢٤٦) .
- (٦) النبأ العظيم (ص: ٢١٢) .

الفصل الأول

علم المناسبات وقواعده وطرقه

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : علم المناسبات

المبحث الثاني : المناسبة بين كلمات الآية

المبحث الثالث : قواعد علم المناسبات

المبحث الرابع : طرق معرفة المناسبات

المبحث الأول

علم المناسبات

وفيه مطالب.

المطلب الأول

تعريف علم المناسبات

المناسبة لغة: مصدر من ناسب يناسب مناسبة، ومادة النون والسين والباء تدور حول معنى اتصال شيء بشيء، ومنه النسب سمي لاتصاله وللاتصال به^(١). والمناسبة المشاكلة والمقاربة والتشابه، وبينهما مناسبة، أي قرابة وتشابه واتصال، تقول فلان نسيب فلان: أي أنه متصل به بنوع قرابة^(٢).

المناسبة في اصطلاح المفسرين:

قال ابن العربي (ت ٥٤٣): " هو ارتباط أي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون الكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني " ^(٣).

وقال البقاعي^(٤): " علم مناسبات القرآن علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه " ^(٥).

وعرفه بعض المعاصرين بأنه: وجه الارتباط بين كلمات الآية الواحدة، وبين كل آية بما قبلها وما بعدها، والسورة بما قبلها وما بعدها، وقيل: الكشف عن علل اختيار النظم وترتيبه^(٦).

ومن التعريفات الجامعة: هو العلم الذي يبحث في علل ترتيب أجزاء القرآن، ووجه اتصال بعضها ببعض^(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٢٣/٥).

(٢) القاموس المحيط (ص: ١٣٧)، لسان العرب (٤٤٠٦/٦)، المعجم الوسيط (ص: ٩١٦)، مادة: نسب.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣٦/١).

(٤) برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، توفي سنة ٨٨٥ هـ. البدر الطالع (ص: ٥٠)، والبقاع: من بلاد سوريا وهي أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق. معجم البلدان (٤٧٠/١).

(٥) نظم الدرر (٦/١).

(٦) المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، مصطفى مسلم وعبدالله الخطيب، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد ٢، العدد ٢، ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ، (ص: ٤).

(٧) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي (١٤٢/١).

المطلب الثاني

نشأة علم المناسبات

نزل هذا الكتاب العظيم على نبينا صلى الله عليه وسلم، وعلى أمته، وكان غاية في الإعجاز، وكان من أوضح وجوه إعجازه بلاغة نظمه. وقد أدرك العرب في عصره صلى الله عليه وسلم، هذا الوجه من الإعجاز، وهو تتاسقه وتآلفه وانسجامه.

ومما يدل على ذلك قول الوليد بن المغيرة، كما في مستدرك الحاكم^(١): "فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيدهه، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وأنه ليعلو ولا يُعلَى عليه وأنه ليحطم ما تحته " .

فالعرب أدركوا دقة النظم، وحسن الترابط بين أجزاء القرآن بالسليقة العربية، فقد كانوا فصحاء يعرفون بلاغة الكلام، وأن من عظيم البلاغة ترابط أجزاء الكلام وانسجامها، وقد ورد أيضاً عن الأعراب ما يفيد معرفتهم للتناسب في القرآن قال الأصمعي^(٢): "كنت أقرأ سورة المائدة ومعني أعرابي، فقرأت هذه الآية ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، فقلت: والله غفور رحيم سهواً، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ فقلت: كلام الله، قال: أعد فأعدت والله غفور رحيم، ثم تنبتهت فقلت: والله عزيز حكيم، فقال: الآن أصبت، فقلت: كيف عرفت، قال: يا هذا عزيز حكيم؛ فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع " (٣).

وورد عن أعرابي آخر أنه سمع قارئاً يقرأ ﴿فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، فأبدله القارئ بأن قرأ (غفور رحيم)، فقال الأعرابي - ولم يكن قرأ القرآن - إن كان هذا كلام الله هكذا، إن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه^(٤).

(١) المستدرك رقم (٣٩٢٩) وقال: صحيح الإسناد .

(٢) أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك البصري، اللغوي، الأخباري، حجة الأدب، توفي سنة ٢١٥ هـ، وقيل ٢١٦ هـ . سير أعلام النبلاء (١٧٥/١٠) .

(٣) تفسير الرازي (٢٣٦/١١) .

(٤) مصاعد النظر، البقاعي (١٥٥/١) .

قال البقاعي: " وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص العلم حتى انجم على الناس وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون " (١).

إذن فقد عرف السلف ذلك التناسب في كتاب الله، وقد وردت بعض الأحاديث والآثار الدالة على ذلك ومنها:

ما أخرجه مسلم في صحيحه (٢) عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - في حديث الحج الطويل - عندما دنا من الصفا وقرأ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، قال: أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فراعى صلى الله عليه وسلم مناسبة البدء بذكر الصفا في الآية، فبدأ بها في السعي (٣).

وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - بأذني هاتين وأشار بيده إلى أذنيه - : يُخْرِجُ اللَّهُ أَقْوَامًا مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] فقال جابر: إنكم تجعلون الخاص عاماً، هذه للكفار، اقرأوا ما قبلها ثم تلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦]، هذه للكفار " (٤).

ومن ذلك ما ورد عن عائشة وابن عباس (٥) رضي الله عنهم من بيان وتوضيح وجه المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، إذ أشكل على بعض تلاميذهم وجه المناسبة بين ما تضمنته جملة الشرط من الخوف من ظلم اليتامى، وما تضمنته جملة الجواب من الأمر بنكاح ما طاب من النساء (٦).

وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا؟ فليسله عما قبلها " (٧).

(١) المصدر السابق (١/١٥٣).

(٢) صحيح مسلم رقم (١٢١٨).

(٣) علم المناسبات في السور والآيات، بازمول (ص: ٢٠).

(٤) صحيح ابن حبان، رقم (٧٤٨٣)، وقال عنه شعيب الأرنؤوط: " إسناده صحيح على شرط مسلم " .

(٥) تفسير الطبري (٦/٣٥٨)، تفسير ابن كثير (٢/٢٠٨).

(٦) التناسب البياني في القرآن، أحمد أبو زيد (ص: ٢٧).

(٧) مصنف عبد الرزاق، رقم (٥٩٨٨).

قال البقاعي: " يريد - والله أعلم - أن ما قبلها يدل على تحرير لفظها، بما تدعو إليه المناسبة " (١) .

إذن تناول الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم بعض أوجه التناسب في القرآن، وكان تناولهم له على وجوه: إما في نظرات مختصرة، أو في أجوبة مقتضبة عن الأسئلة التي طرحت في عهدهم حول أوجه المناسبة بين بعض الآيات، وإما في ردود ردوا بها على الطاعنين الذين حاولوا الطعن في النظم القرآني بما زعموه إخلالاً بالتناسب (٢) .

فهذه إشارات متناثرة إلى علم المناسبات، تُعد المرحلة الأولى لهذا العلم. جاءت بعد ذلك مرحلة أخرى، أخذ علم المناسبة يظهر فيها بوضوح، لكن لم يدون تدويناً جامعاً مستقلاً.

قال ابن العربي: " ارتباط أي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد، عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه " (٣) .

وقيل أن أول من أظهر علم المناسبة أبو بكر النيسابوري (٤) وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه: لم جعلت هذه الآية جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة (٥) .

ويمكن أن يدخل في هذه المرحلة تفسير الزمخشري (ت ٥٣٨)، الذي أشار في مواطن كثيرة إلى وجوه الترابط بين الآيات لكنها إشارات متفرقة وليست مطردة.

ثم جاءت المرحلة الثالثة، إذ أخذ هذا العلم صورة واضحة، وظهرت كتب تُعنى بإبراز المناسبات، والكشف عنها في أغلب سور القرآن وآياته، ولعل تفسير الرازي (ت ٦٠٤) خير مثال لهذه المرحلة، إذ يقول: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة (البقرة) وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه، أرادوا ذلك، إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

(١) مصاعد النظر (١/١٥٤) .

(٢) التناسب البياني في القرآن، أحمد أبو زيد (ص: ٢٧) .

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/٣٦) .

(٤) عبدالله بن محمد بن زياد، الشافعي، الحافظ، توفي سنة ٣٢٤ هـ . طبقات الشافعية، السبكي (٣/٣١٠) .

(٥) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/٣٦) .

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر" (١).
 وقال أيضاً: " أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط " (٢).
 فتوسّع في ذكر المناسبات، ولم يدع آية تشكّل في ربطها بأختها إلا وتكلم عليها،
 ووضّح وجه الترابط بينهما، ثم توالت بعده التآليف، وأُفرد هذا العلم بالتصنيف فيه
 خاصة، ولعل أشهر المصنفين في ذلك البقاعي في كتابه المشهور المسمى (نظم الدرر
 في تناسب الآيات والسور) (٣)، الذي أصبح نارا على علم في هذا العلم .

(١) تفسير الرازي (١٣٩/٧) .

(٢) المصدر السابق (١٤٥/١٠) .

(٣) طبع في دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

المطلب الثالث

أنواع المناسبات في القرآن

تعددت تقسيمات العلماء للمناسبات في القرآن، ويمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين، وتحت كل قسم عدة أنواع وصور:

القسم الأول:

المناسبة في السورة الواحدة، وله عدة صور:

- ١ - المناسبة بين كلمات الآية الواحدة، وهو عنوان البحث هذا.
- ٢ - المناسبة بين مطلع السورة مع مقاصدها.
- ٣ - المناسبة بين خاتمة السورة مع مقاصدها.
- ٤ - المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.
- ٥ - المناسبة بين الآية وما قبلها وما بعدها.

القسم الثاني:

المناسبة بين السور، وله عدة صور:

- ١ - المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة السورة قبلها.
 - ٢ - المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة السورة قبلها.
 - ٣ - المناسبة بين موضوع السورة وموضوع السورة قبلها.
 - ٤ - المناسبة بين الألفاظ الواردة في السورتين.
- هذه أهم الأنواع التي ذكرها المصنفون في علم المناسبات^(١).

(١) انظر هذه الأنواع مع أمثلتها في: المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال سورتي الأنفال والتوبة، ندين السليمي (ص: ٣٢)، المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، أحمد مذكور (ص: ٣٧). المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، مصطفى مسلم وعبدالله الخطيب، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد ٢، العدد ٢، ربيع الثاني ١٤٢٦هـ، (ص: ٥)، علم المناسبات في السور والآيات، بازمول (ص: ٢٨)، دراسات في علوم القرآن، الرومي (ص: ٤٥٠).

المطلب الرابع

مكانة علم المناسبات وأهميته

تتابعت أقوال العلماء في ذكر مكانة هذا العلم وفضله، وحثوا على العناية به، مما يدل على علو شأنه ورفيع منزلته.

قال ابن العربي: "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم"^(١).

وقال الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"^(٢).

وقال ابن القيم (ت ٧٥١) - بعد أن ذكر وجوه المناسبة في آية من الآيات -: "فما أشدها من حسرة، وأعظمها من غبنة على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبه أسراره ومعانيه"^(٣).

وقال الزركشي (ت ٧٩٤): "اعلم أن المناسبة علم شريف، تركز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول"^(٤)، وقال: "هذا النوع يهمله بعض المفسرين، أو كثير منهم وفوائده غزيرة"^(٥).

وقال البقاعي: "بهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب"^(٦).

وقال السيوطي (ت ٩١١): "علم المناسبة علم شريف، قل اعتناء المفسرين به لدقته"^(٧).

وقال ابن عاشور: "اهتمت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل"^(٨).

وقال دراز: "لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب تربيته معجزات، وفي نبوءته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ومعجزات، إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات"^(٩).

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣٦/١).

(٢) تفسير الرازي (١٤٥/١٠).

(٣) بدائع الفوائد (ص: ٣٣٨).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣٥/١).

(٥) المصدر السابق (٣٦/١).

(٦) نظم الدرر (١١/١).

(٧) الإتيان في علوم القرآن (٩٧٦/٢).

(٨) التحرير والتنوير (٨/١).

(٩) النبأ العظيم (ص: ٢٦٤).

- ويمكن تفصيل ما أجمله العلماء من فضله، وأهميته في النقاط الآتية^(١):
- ١ - أن في دراسة علم المناسبات امتثالاً لأمر الله بتدبر القرآن الكريم.
 - ٢ - أن في دراسته زيادة للإيمان في القلب، وتمكيناً له في اللب، وذلك أنه يكشف عن إعجاز القرآن .
 - ٣- أن في دراسته إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن، وبلاغته.
 - ٤- يعين على فهم كتاب الله، وبيان المراد من الآية، ورفع اللبس عن معناها.
 - ٥ - يمكن من خلال علم المناسبات استنباط معانٍ جديدة، بالضوابط المعروفة.
 - ٦- في تعيين المناسبة ما يعد مرجحاً قوياً لبعض المعاني على بعض عند الاختلاف.
 - ٧ - في تعيين المناسبة دفع إيهام الاختلاف عن بعض الآيات الكريمة، التي يظن أنها بسبب اختلاف وتباعد موضوعاتها وزمانها لأرباط بينها، لكن عند تعيين المناسبة يزول ذلك ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء ٨٢] .
 - ٨- يعين علم المناسبة على رد مزاعم المنحرفين من المستشرقين وغيرهم، الذين يشككون في ترابط أجزاء القرآن.
 - ٩- فهم التناسب يجعل أجزاء الكلام آخذاً بأعناق بعض، ليصبح كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء، وبه يعرف علل ترتيب أجزاء القرآن.
 - ١٠ - إن علم المناسبات له أهمية كبرى في إدراك مقاصد القرآن.
 - ١١ - إنه يعين على تربية العقل، وتكوين ملكة قوية في حسن التدبر والاستنباط.

(١) انظر هذه الفوائد وغيرها في: نظم الدرر (٨/١)، علم المناسبات في السور والآيات، بازمول (ص: ٣٨)، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن، مصطفى مسلم، الخطيب (ص: ٤)، المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير من سورة ق إلى الناس، ممدوح القحطاني (ص: ٥١)، دراسات في علوم القرآن، الرومي (ص: ٤٤٨) .

المطلب الخامس

حكم القول بالمناسبات في القرآن

للعلماء في ذلك قولان^(١):

أ - القول بالجواز

وهو قول جمهور العلماء.

وأدلتهم في ذلك:

١- أن ترتيب الآيات والسور في القرآن على هذه الصورة، مع اختلاف أمكنة النزول وتباعد أزمنته دليل على أن لهذا الترتيب سراً ومقاصد ومناسبات، ومعلوم أن ترتيب الآيات توقيفي بالإجماع، كما قال الزركشي: "وأما ما يتعلق بترتيبه، فأما الآيات في كل سورة ووضع البسمة أوائلها، فترتيبها توقيفي بلاشك ولاخلاف فيه"^(٢).

أما ترتيب السور فقول أنه بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل باجتهاد، قال ابن الزبير الثقفي^(٣): "فإن كان بتوقيف من صلى الله عليه وسلم، فلا مجال للخصم بعد ذلك التحديد الجليل والرسم، وإن كان مما فوض فيه الأمر إلى الأمة بعده، فقد أعمل الكل من الصحابة في ذلك جهده، وهم الأملياء بعلمه والمسلم لهم في وعيه وفهمه، والعارفون بأسباب نزول الآيات ومواقع الكلمات، وإنما ألقوا القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٤).

وعليه ففي ترتيب الآيات والسور على هذه الصورة، دليل على إثبات المناسبات.

٢- أن في القول بالمناسبات، إثبات وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم في نظمه.

٣- أن في القول بالمناسبات، إبراز ما بين أجزاء القرآن من ترابط قوي، ويدعو المتأمل فيه إلى تدبر كتاب الله، وقد أمر سبحانه بذلك.

ب - القول بالمنع:

وهو قول العزيز عبد السلام^(٥)، والشوكاني (ت ١٢٥٠).

(١) انظر علم المناسبات بين المانع والمجيزين، د. إبراهيم آل هويل، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود،

محرم ١٤٢٠، العدد ٢٥، (ص: ١١٥)، المناسبات في القرآن، القرني (ص: ١٠٥).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢٥٦/١).

(٣) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي، له كتاب (ملاك التأويل في المتشابه اللفظ من التنزيل) توفي

سنة ٧٠٨ هـ. الدرر الكامنة (١/٨٤).

(٤) البرهان في تناسب سور القرآن (ص: ٧٩).

(٥) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الشافعي، الملقب بسليمان العلماء، توفي سنة ٦٦٠ هـ. طبقات

الشافعية، السبكي (١/٢٠٩).

وأدلتهم في ذلك:

- ١- أن القرآن نزل مفرقاً، على حسب الأحداث والوقائع المختلفة .
- ٢- أن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، ولم يرتب حسب النزول.
- ٣- أن في القول بالتناسب قولاً على الله بالرأي والهوى.
- ٤- أن طريق إثبات هذا العلم، هو من التكلف الذي ينبغي أن ينزه عنه كلام الله.

مناقشة أدلة المانعين:

- ١- قولهم أن نزول القرآن كان على حسب الأحداث والوقائع المختلفة.

يجاب عنه بأن هذا لا يفي بوجود المناسبة فيه، قال الزركشي: " قال بعض مشايخنا المحققين قد وهم من قال لا يطلب للآية الكريمة مناسبة ؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً"^(١).
- ٢- قولهم أن القرآن رُتب على خلاف نزوله، يجاب عنه بأنه لو لم يكن في هذا الترتيب حكمة ومناسبة، لكان الأولى ترتيبه على أزمنة نزوله، وهذا مخالف لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، كما يجاب عنه أيضاً بما قال محمد دراز: "إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع؛ كمثل بنيان كان قائماً على قواعده، فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه، قدّرت أبعاده ورقمت لبناته، ثم فرق أنقاضاً فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً، يشد بعضه بعضاً كهيئته أول مرة"^(٢)، وبما قال الرافعي: " تفرّق معجزاً، فلما اجتمع اجتمع له إعجاز آخر، ليتذكر به أولو الأبواب"^(٣).
- ٣- قولهم إن القول بالمناسبات قول على الله بالهوى والرأي.

يجاب عنه بأن هذا كلام مجمل يقال في هذا العلم وفي غيره، وقد وضع العلماء ضوابط لتفسير القرآن بالرأي، وعلم المناسبات كغيره من علوم القرآن، قد يكون البحث فيه محموداً، وقد يكون مذموماً، فإن سلكت فيه الضوابط، كان محموداً وإن كان بمجرد الهوى كان مذموماً.

٤- قولهم إن في إثبات المناسبات تكلفاً.

يجاب عنه بأن المناسبة إذا بحثت بضوابطها المعتبرة زالت الكلفة، ويجاب عنه أيضاً بأن التماس المناسبة ليس من التكلف، بل هو من تدبر القرآن الذي أمرنا الله به. ويقال أيضاً إن المانعين قد ورد عنهم ما يفيد القول بالمناسبة، إذا كانت واضحة وغير متكلفة.

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٣٧) .

(٢) النبأ العظيم (ص : ١٩٤) .

(٣) إعجاز القرآن (ص : ٢٤٤) .

فالشوكاني قد ذكر عدة مناسبات في تفسيره^(١) وأثنى كذلك على البقاعي، وعلى كتابه نظم الدرر في المناسبات^(٢).
وعلى هذا فالراجح هو القول بالجواز إذا التزم فيه بالضوابط .
وكما قال دراز: "وهذا الباب من أبواب البحث والاستنباط، الذي لا يمس أصلاً من أصول الدين ولا يحل حراماً أو يحرم حلالاً، لن يزال مفتوحاً لكل مسلم أعطاه الله فهماً في كتابه، على شريطة القصد والأناة في سير العقل، ومع الاستضاءة في هذا السير بمصباحين من اللغة والشرع"^(٣).

(١) انظر على سبيل المثال تفسير الآيات (٢٥ و ١٥٣) من سورة البقرة .

(٢) البدر الطالع (ص : ٥١) .

(٣) النبأ العظيم (ص : ٢١٢) .

المطلب السادس

أشهر المؤلفات في علم المناسبات

ألف عدد من العلماء قديماً وحديثاً مؤلفات مختلفة، عُنوا فيها بعلم المناسبات، فمنهم من تناولوه في التفسير، ومنهم من تناوله في كتب علوم القرآن، ومنهم من أفرده بالتأليف. وسأذكر أهم المؤلفات في ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: المؤلفات من كتب التفسير ومن أشهرها:

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر ابن جرير الطبري، تحقيق التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٣- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

٤- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع يسري السيد، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.

٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د. ت.).

٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، تحقيق: عبد القادر عطا، مكتبة الرياض الحديثة، (د. ط.).

٧- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط١٢، ١٤٠٦هـ.

٨- التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

٩- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٠- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، راجع أصله وخرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم، دار أخبار اليوم، ١٩٩١م.

ثانياً: المؤلفات من كتب علوم القرآن ومنها:

١- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د. ط.).

٢- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ.

- ٣- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي، جامعة الشارقة، الإمارات، ط١، ١٤٢٧ هـ
- ٤- دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، الرياض، ط١٥، ١٤٢٨ هـ.
- ثالثاً: الكتب المؤلفة في علم المناسبات خاصة ومنها:**
- ١- البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، تحقيق: سعيد جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٨ هـ.
- ٢- مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبدالسلام حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨ هـ.
- ٣- أسرار ترتيب سور القرآن، لجلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٢ هـ.
- ٤- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد بن عمر بازمول، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- ٥- علم المناسبات بين السور والآيات، محمد بن عمر بازمول، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- ٦- النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢١ هـ.
- ٧- التناسب البياني في القرآن، أحمد أبوزيد، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ١٩٩٢ م.
- ٨- المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، عبدالله بن مقبل بن ظافر القرني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٣ هـ.
- ٩- المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جمعاً ودراسة ونقداً، أحمد بن محمد بن قاسم مذکور، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢٩ هـ.
- ١٠- المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال سورتي الأنفال والتوبة، جمعاً ودراسة وتحليلاً، ندين بنت مصطفى بن علي السليمي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٣٠ هـ.
- ١١- المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، من أول سورة ق إلى آخر سورة الناس جمعاً ودراسة وموازنة، ممدوح بن تركي بن محمد القحطاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٣٠ هـ.
- هذه بعض المؤلفات التي تناولت علم المناسبات، ذكرت أشهرها على سبيل المثال فقط.

المبحث الثاني

المناسبة بين كلمات الآية

وفيه مطالب:

المطلب الأول

المناسبة بين كلمات الآية الواحدة

هي معرفة وجوه الارتباط بين كلمات الآية الواحدة^(١). وقد جاء القرآن الكريم في الذروة العليا من تناسق الكلمات والحروف والحركات، وكل كلمة فيه لا يغني غيرها عنها، إذ أنها تؤدي معنى دقيقاً، فلو أبدلتُ غيرها لم تقم مقامها.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

قال الطبري (ت ٣١٠): "أمرهم أن يختاروا لخطابه من الألفاظ أحسنها، ومن المعاني أرقها"^(٢).

وقال ابن تيمية (ت ٧٢٨): "لئلا يخاطب بلفظ يحتمل معنى فاسداً"^(٣).

قال السعدي: "وفيه الأدب واستعمال الألفاظ التي لا تحتمل إلا الحسن، وعدم الفحش وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش، أو احتمال لأمر غير لائق"^(٤).

وقال تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

في هذه الآية دعا القرآن الكريم إلى الدقة في التعبير، والإحكام فيه، حتى لا يصح أن يقع لفظ مكان آخر، فنضّل المعاني بين الاحتمالات، وتتوه الأغراض والمقاصد في ظلال الشك والتمويه^(٥).

(١) انظر (ص: ٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٨٠/٢).

(٣) الفتاوى الكبرى (١٧٩/٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦١).

(٥) صفاء الكلمة، لاشين (ص: ٨).

إن كل كلمة من كلمات القرآن وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لانجد فيه ترادفاً، بل كل كلمة تحمل معنى جديداً، والقرآن شديد الدقة فيما يختار من كلم يؤدي به المعنى (١).

وقد دلت السنة النبوية على العناية بالألفاظ، والدقة في اختيارها أثناء الكلام، مما يدل على أن كل موضع ومعنى له مايناسبه من ألفاظ، ينبغي أن تختار بدقة وعناية شديدة.

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ، لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ اللَّهُمَّ اسْلُمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ " رواه البخاري ومسلم (٢).

قال ابن حجر (ت ٨٥٢): " ربّما كان في اللفظ سرّ ليس في الآخر، ولو كان يرادفه في الظاهر، أو لعله أوحى إليه بهذا اللفظ فرأى أن يقف عنده " (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال صلى الله عليه وسلم: " لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمُ رَبِّي، وَضَيُّ رَبِّي، اسْقِ رَبِّي، وَنَيْقُلُ سَيِّدِي، مَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمْتِي، وَنَيْقُلُ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي " رواه البخاري ومسلم (٤).

و على هذا فقد جاءت في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المعاني المتناسبة والألفاظ المتناسقة، وإذا ورد عنه معان متعددة في حديث ما، تجد أن هناك ارتباطاً ومناسبة بين هذه المعاني المتعددة، والأنواع المختلفة.

فمن ذلك على سبيل المثال في قوله صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر " رواه مسلم (٥).

يذكر ابن تيمية الرابط بين هؤلاء، والعلاقة التي جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يخص المذكورين بالوعيد، فيقول: " فهؤلاء الثلاثة اشتركوا في هذا الوعيد، واشتركوا في

(١) الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق، حفني شرف (ص: ٢٢٢-٢٢٣).

(٢) البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء، رقم (٢٤٧)، مسلم رقم (٢٧١٠).

(٣) فتح الباري (١/٦٠٩).

(٤) البخاري، كتاب العتق، باب كراهية التناول على الرقيق رقم (٢٥٥٢)، مسلم رقم (٢٢٤٩).

(٥) صحيح مسلم، رقم (١٧٢).

فعل هذه الذنوب مع ضعف دواعيهم ؛ فإن داعية الزنا في الشيخ ضعيفة، وكذلك داعية الكذب في الملك ضعيفة ؛ لاستغناؤه عنه وكذلك داعية الكبر في الفقير، فإذا أتوا بهذه الذنوب مع ضعف الداعي، دل على أن في نفوسهم من الشر الذي يستحقون به من الوعيد، ما لا يستحقه غيرهم . وقل أن يشتمل الحديث الواحد على جُمْل إلا لتناسب بينها، وإن كان قد يخفى التناسب في بعضها على بعض الناس^(١).
والتناسب هذا موجود بين الكلمات في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لفظاً ومعنى.

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار: على كل قريب هين سهل " رواه الترمذي^(٢). وقوله صلى الله عليه وسلم: " المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ " رواه البيهقي^(٣).

ففي هذين الحديثين تناسب بين الكلمات (هين، لين، سهل) من حيث حروفها، وسهولة النطق بها وتجانسها الصوتي، وأوزانها، وكذلك تناسب من حيث معانيها، ففي سهولتها الصوتية ما يدل على سهولة أخلاق صاحبها الموصوف في الحديث، فالارتباط ظاهر بين اللفظ والمعنى في الحديثين.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: " إن الله يبغض كل جعظري جواظ " رواه ابن حبان^(٤).

في الحديث تناسب بين الكلمتين (جعظري، جواظ) من حيث حروفهما ومخارجهما وصعوبة اجتماع هذه الحروف (الجيم مع العين والطاء)، ليتناسب معنوياً مع صعوبة وخشونة أخلاق هؤلاء المتكبرين المتعجبين.
فهذه الأدلة وغيرها تشير إلى التناسب بين الكلمات في القرآن والسنة سواء كان ذلك التناسب لفظياً أو معنوياً.

(١) مجموع الفتاوى (١٤/١٨) .

(٢) سنن الترمذي، رقم (٢٤٨٨) وصححه الألباني .

(٣) شعب الإيمان رقم (٧٧٧٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦٦٩) .

(٤) صحيح ابن حبان، رقم (٧٢) . وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم) .

المطلب الثاني

أقوال العلماء في التناسب بين كلمات القرآن

تتابعت أقوال العلماء في التأكيد على التناسب بين كلمات القرآن، وسأورد هنا بعض هذه الأقوال:

١- قال الباقلاني (ت ٤٠٣): "وهو أدق من السحر وأهول من البحر وأعجب من الشعر.

وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب أن وضع الصبح في موضع الفجر يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعرا أو سجعا، وليس كذلك فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى بل تتمكن فيه" (١) وقال " ثم انظر في آية آية وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف، فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها، مما تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها" (٢).

٢- وقال ابن عطية (ت ٥٤٢): "القول الذي عليه الجمهور - وهو الصحيح في نفسه - أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه، ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن، علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره " إلى أن قال: " كتاب الله لو نُزعت منه لفظة ثم أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد" (٣).

٣- و قال ابن تيمية: " هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة: من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى" (٤).

٤ - و قال ابن القيم (ت ٧٥١): " ومن وضع دلالة القرآن وألفاظه مواضعها، تبين له من أسرارهِ وحكمه ما يبهر العقول، ويعلم أنه تنزِيل من حكيم حميد" (٥).

٥- و قال الرافعي: " إنك لتحار إذا تأملت تركيب القرآن، ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها، وتقعد بك العبارة إذا أنت حاولت أن تمضي في وصفه،

(١) إعجاز القرآن (ص : ٢٦٣) .

(٢) المصدر السابق (ص : ٢٦٩) .

(٣) المحرر الوجيز (١/٥٢) .

(٤) الجواب الصحيح (٥/٤٢٨) .

(٥) بدائع التفسير (٣/٤٩) .

حتى لا ترى في اللغة كلها أدلّ على غرضك، وأجمع لما في نفسك وأبين لهذه الحقيقة غير كلمة الإعجاز، وما عسى أن تقول في كلام ترى للفظ من الألفاظ فيه معنى، ثم ترى كأن لهذا المعنى في التركيب معنى آخر " إلى أن قال " فترى اللفظ قاراً في موضعه لأنه الأليق في النظم، ثم لأنه مع ذلك الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأقوى في الدلالة، ومع ذلك الأحكم في الإبانة، ومع ذلك الأبدع في وجوه البلاغة، ومع ذلك الأكثر مناسبة لمفردات الآية مما يتقدمه أو يترادف عليه " (١).

٦- و قال محمد دراز: " لعمرى لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب تربيته معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ومعجزات، لعمرى إنه في ترتيب آية على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات " (٢).

٧- و قال الزرقاني (٣): " أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر " " فبين كلمات الجملة الواحدة من التآخي والتناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط، ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات " (٤).

٨- و قالت عائشة بنت عبد الرحمن (٥): " قصارى ما اطمأنت إليه في هذه المحاولة لفهم إعجاز البيان القرآني، هو أنه ما من لفظ فيه أو حرف يمكن أن يقوم مقامه غيره، بل ما من حركة أو نبرة لا تأخذ مكانها في ذلك البيان المعجز " (٦)، وقالت أيضاً: " وفيما أشتغل به على المدى الطويل من تخصص في الدراسات القرآنية، شهد التتبع الاستقرائي لألفاظ القرآن في سياقها، أنه يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يؤديها لفظ آخر في المعنى، الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عدداً قلّ أو كثر من الألفاظ" (٧).

(١) إعجاز القرآن (ص : ٢٤٦) .

(٢) النبأ العظيم (ص : ٢٦٤) .

(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرّج بكلية أصول الدين وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٧ هـ . الأعلام (٦/٢١٠) .

(٤) مناهل العرفان (٢/٢٨٩) .

(٥) عائشة محمد عبد الرحمن بنت الشاطي، أستاذة جامعية مصرية في الدراسات الإسلامية والأدبية واللغوية، وأستاذة التفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب. وهي زوجة الكاتب أمين الخولي، توفيت سنة ١٩٩٨ م . اتجاهات التفسير، الرومي (٣/٩٢٤)، مباحث في علوم القرآن، القطان (ص : ٣٦٣) .

(٦) الإعجاز البياني للقرآن (ص : ٢٨٦) .

(٧) المصدر السابق (ص : ٢١٤) .

هذه جملة مختصرة من أقوال العلماء، تدل على قوة الترابط والتناسب بين كلمات القرآن الكريم، وأن هذا التناسب وجه من أعظم وجوه الإعجاز فيه.

المبحث الثالث

قواعد المناسبات

ذكر العلماء أثناء بحثهم في علم المناسبات قواعد وضوابط، تساعد على استخراج المناسبات الصحيحة من غيرها، وتعصم بإذن الله من الوقوع في الخطأ في فهم كتاب الله، عند البحث عنها ولاشك أن القائلين بالمنع في المناسبات، إنما منعوا ذلك خوفاً من الخوض في كتاب الله بغير علم والتكلف فيه، وهذه المحاذير تنتفي إذا علمنا أن العلماء قد ضبطوا ذلك أثناء بحثهم، بوضع قواعد وضوابط في علم المناسبات، هذه القواعد والضوابط إذا طُبِّقت فإن القول بالجواز يكاد يكون محل اتفاق بين جميع العلماء .

والقواعد منها ما هو عام في المناسبات بين السور والآيات، ومنها ما هو خاص بالمناسبة بين الكلمات.

لذلك يمكن تقسيم هذه القواعد إلى قسمين:

-قواعد عامة في المناسبات.

-قواعد خاصة في المناسبة بين كلمات الآية.

المطلب الأول

قواعد عامة في علم المناسبات

حاولتُ استخلاص أهم القواعد العامة في المناسبات، مما وقفت عليه في كتب علماء التفسير وعلوم القرآن وغيرهما، وجمعها وتقريبها لتساعد الناظر في علم المناسبات وفي القرآن عموماً على الفهم والتدبر الصحيح. وهذه هي أهم القواعد:

١- الوثوق بأن القرآن في الغاية العظمى من التناسب؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، والتناسب والترابط من مقتضيات الحكمة^(١)، قال تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قال البقاعي عن القرآن: "والوثوق بأنه في الذروة من إحكام الربط، كما كان في الأوج من حسن المعنى واللفظ، لكونه كلام من جل عن شوائب النقص وحاز صفة الكمال"^(٢).

وقال الزرقاني: "إن القرآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره، مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر، مع طول نفسه وتنوع مقاصده وافتتانه وتلوينه في الموضوع الواحد، وآية ذلك أنك إذا تأملت في القرآن الكريم، وجدت منه جسماً كاملاً تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه، ولمحت فيه روحاً عاماً يبعث الحياة والحس على تشابك وتساند بين أعضائه، فإذا هو وحدة متماسكة متألفة، على حين أنه كثرة متنوعة متخالفة، فبين كلمات الجملة الواحدة من التآخي والتناسق ماجعلها رائعة التجانس والتجاذب، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ماجعلها وحدة صغيرة متآخدة الأجزاء متعانقة الآيات، وبين سور القرآن من التناسب ماجعله كتاباً سوي الخلق حسن السميت ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]، فكأنما هو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار، وتلعب بالعقول والأفكار، على حين أنها مؤلفة من حلقات، لكل حلقة منها وحدة مستقلة في نفسها ذات أجزاء، ولكل جزء وضع خاص من الحلقة، ولكل حلقة وضع خاص من السبيكة، لكن على وجه من جودة السبك، وإحكام السرد جعل من هذه الأجزاء المنتشرة المتفرقة، وحدة بديعة متألفة تريك كمال الانسجام بين كل جزء وجزء، ثم بين كل حلقة وحلقة، ثم بين أوائل السبيكة وأواخرها وأواسطها"^(٣).

(١) المناسبات في القرآن الكريم، القرني (ص: ٨٨).

(٢) نظم الدرر (١٢/١).

(٣) مناهل العرفان (٢٨٩/٢).

٢ - التناسب في القرآن وجه من وجوه الإعجاز، وهو وسيلة، وخادم للإعجاز في المعنى، قال ابن تيمية: " فإن الإعجاز في معنى القرآن أعظم وأكبر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه، أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه " (١) .

وإن كان بينهما تعانق وترابط قوي لا ينفك كما قال الرافعي: " ومن أعجب ما رأينا في إعجاز القرآن، وإحكام نظمه، أنك تحسب ألفاظه هي التي تتقادم معانيه، ثم تتعرف ذلك وتتغلغل فيه فتنتهي إلى أن معانيه منقادة لألفاظه، ثم تحسب العكس وتتعرف متبثباتاً فتصير منه إلى عكس ما حسبت، وما إن تزال متردداً على منازعة الجهتين كلتيهما، حتى تردّه إلى الله " (٢) .

٣ - استنباط المناسبات جزء من التفسير (٣)، إذ يمكن من خلاله إضافة معان جديدة للآية، أو ترجيح معنى على معنى آخر، وعليه يشترط في الباحث عن المناسبات ما يشترط في المفسر من شروط مشهورة، خاصة الإمام بعلموم البلاغة التي هي من أعظم أركان المفسر؛ لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم (٤) .

٤ - الترتيب المصحفي للآيات والسور، ركن لإثبات التناسب، وهو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم إجماعاً في الآيات، وعلى الراجح في السور (٥) . قال الزركشي عن علم المناسبات: " وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي " (٦) .

٥ - أن هذا الباب من أبواب التدبير المأمور به، وهو ضرب من الاجتهاد لالتماس الحكمة والمناسبة، بشرط عدم الجزم بأن هذا مراد الله تعالى، والبعد عن التكلف (٧) . قال محمد دراز: " إن هذا الباب من أبواب البحث والاستنباط، الذي لا يمس أصلاً من أصول الدين، لا يحل حراماً أو يحرم حلالاً، لن يزال مفتوحاً لكل مسلم أعطاه الله فهماً في كتابه، على شريطة القصد والأناة في سير العقل مع الاستضاءاة في هذا السير بمصباحين من اللغة والشرع " (٨) .

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٥ / ٤٣٤)، الخصائص، ابن جني (١/ ٢١٥ - ٢٢١) .

(٢) إعجاز القرآن (ص : ٤٨) .

(٣) المناسبات في القرآن الكريم، القرني (ص : ٩١)

(٤) الإتيان، للسيوطي (٢/ ١٢١٠) .

(٥) المناسبات في القرآن الكريم، القرني (ص : ٩٨) .

(٦) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٨) .

(٧) المناسبات في القرآن الكريم، القرني (ص : ١٢٣) .

(٨) النبأ العظيم (الهامش) (ص : ١٧١) .

٦- أن البحث عن المناسبات في القرآن، إنما هو بحث لإبرازها وكشفها، والأصل أنها موجودة، فالقرآن في غاية التناسب كما في القاعدة الأولى، ومهمة الباحث إنما هي إبراز هذه المناسبات، وقد تخفى أحياناً بحسب تفاوت أفهام العلماء في ذلك. إذن " مهمة المفسر هي محاولة اكتشاف هذه العلاقات، أو المناسبات الرابطة بين الآية والآية من جهة، وبين السورة والسورة من جهة أخرى، وبديهي أن اكتشاف هذه العلاقات، يعتمد على قدرة المفسر، وعلى نفاذ بصيرته في اقتحام آفاق النص"^(١).

٧- يركز العلماء في المناسبات على إبراز المناسبات الخفية والدقيقة، أما المناسبات الواضحة الظاهرة فإنهم لا ينظرون لذكرها^(٢) إلا قليلاً.

٨- في كل آية معنى تنتظم به ما قبلها، ومعنى تنتهي به للانتظام بما بعدها، وبذلك كان انتظام الآي داخلًا في معنى الإعجاز^(٣)، وهكذا يكون التآخي بين الآيات في المعاني ويتسلسل ماترماً إليه، ويكون كل معنى مقدماً للذي يليه، والتالي مبنياً عليه، ودعامة لما بعده^(٤).

٩- أن سور القرآن، التالي منه يفصل السابق، قال السيوطي: " القاعدة التي استقر بها القرآن، أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح له، وإطناب لإيجازه، وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها " ^(٥)، ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].
فهذه إشارة إلى أصل راسخ في ترتيب الآيات والسور^(٦).

١٠- أن التناسب في القرآن لا يختلف ولا يتفاوت، مهما تنوعت الأساليب واختلفت الموضوعات، وسواء كانت السورة طويلة أو قصيرة، فإن التناسب في القرآن شامل لذلك كله.

قال الباقلاني: " إن عجيب نظمه وبديع تأليفه، لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها، من ذكر قصص ومواظ واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار ووعد ووعد، وتبشير وتخويف وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها " ^(٧).

(١) الخطاب القرآني ن خلود العموش (ص : ١٨٩) .

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١ / ٤٠) .

(٣) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير (ص : ١٨٨) .

(٤) المعجزة الكبرى، أبو زهرة (ص : ١٠١) .

(٥) أسرار ترتيب سور القرآن (ص : ٢٤) .

(٦) دلائل النظام، الفراهي (ص : ٩١) .

(٧) إعجاز القرآن (ص : ١٠٣) .

ويقول دراز: " اعمد إلى سورة من تلك السور، التي تتناول أكثر من معنى واحد - وما أكثرها في القرآن - فهي جمهرته، وتتقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر مرتين كيف بُدئت؟ وكيف خُتمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها؟ ووطأت أولها لأخرها؟ وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها أو مبانيها، ماتعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى، ولسوف تحسب أن السبع الطوال من سور القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة، حتى يحدثك التأريخ أنها كلها أو جلها قد نزلت نجوماً، أو لتقولن إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جُمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع " ثم قال " أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجّمة، يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً، وأزاعاً من المباني جُمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة، قد بُنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد، قد وضع رسمه مرة واحدة، لاتحس بشيء من تكرر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والاتحام"^(١).

١١ - علم المناسبات صعب المرام، دقيق المسلك، لذلك قلّ اعتناء المفسرين به لدقته^(٢)، وخفائه، إذ البحث عن المناسبة يحتاج إلى إعادة النظر مرة بعد أخرى، وقد يستغرق ذلك أزمنة طويلة، لذلك قال البقاعي: "رُبَّ آية أقيمت في تأملها شهوراً"^(٣). وهذا سيد قطب لما فسر قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، استوقفه ورود هذه الآية عن الصلاة وسط آيات تبين أحكام الطلاق والعدة، وقد أشار إلى هذه الوقفة بقوله: "أشهد أنني وقفت أمام هذه النقلة طويلاً، لايفتح عليّ في سرّها، ولا أريد أن أتحمل لها، ولا أقنع كل القناعة بما جاء في بعض التفاسير عنها" ثم قال: "لقد بقيت ستة أشهر أو تزيد، لا أجاوز هذه النقلة ولا أمضي وراءها لأن سرها لم يكشف لي كشافاً يستريح ضميري إليه"^(٤). وبعد ما يزيد على سبع سنوات على كلامه السابق، استمرت فيها وقفته وطال فيها تأمله، هداه الله إلى تعليل السر، وفتح عليه فتحاً عظيماً في ذلك، وهو أن أحكام الطلاق والعدة والصلاة

(١) النبا العظيم (ص: ١٩٤ - ١٩٥).

(٢) الإتيان، السيوطي (٢/ ٩٧٦).

(٣) نظم الدرر (١/ ١٥).

(٤) في ظلال القرآن، الطبعة الأولى (٨٤/٢) نقلاً عن: مدخل إلى ظلال القرآن، للخالدي (ص: ١٩٥).

تدرج تحت أصل العبادة^(١)، لذلك نجد التفاسير المعنية بالمناسبات قليلة، أشهرها في المتقدمين تفسير الزمخشري والرازي، ومن المعاصرين تفسير ابن عاشور.

١٢- قد تتعدد وجوه المناسبة في الموضوع الواحد، ولاتضاد بينها فيمكن قبولها جميعاً^(٢)، إذ هي دالة على إعجاز القرآن من أوجه متعددة بتعدد وجوه المناسبة^(٣)، ومن الأمثلة على ذلك: التناسب بين كلمتي (المهد) و(كهلاً) في قوله تعالى ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ [آل عمران: ٤٦]^(٤).

١٣- إن التناسب بين الآيات وأجزائها، لايعني اتحادها أو تماثلها أو تداخلها، أو ما إلى ذلك من الصلات فقط، بل إن القرآن يجمع الأجناس المختلفة، ولايدعها حتى يبرزها في صورة مؤتلفة، وحتى يجعل من اختلافها نفسه قواماً لائتلافها، وهذا التأليف بين المختلفات، مازال هو العقدة التي يطلب حلها في كل فن وصنعة جميلة، وهو المقياس الدقيق الذي تقاس به مراتب البراعة ودقة الذوق في تلك الفنون والصناعات، فإن تقويم النسق وتعديل المزاج بين الألوان والعناصر الكثيرة، أصعب مراساً وأشدّ عناء منه في أجزاء اللون الواحد والعنصر الواحد، وعلى هذه القاعدة نرى أن القرآن يعمد تارة إلى الأضداد يجاور بينها فيخرج بذلك محاسنها ومساوئها في أجلى مظاهرها، ويعمد تارة أخرى إلى الأمور المختلفة في أنفسها من غير تضاد فيجعلها تتعاون في أحكامها، بسوق بعضها إلى بعض مساق التنظير أو التفريع أو الاستشهاد أو الاستنباط، وربما جعل اقتران معنيين في الوقوع التاريخي، أو تجاور شيئين في الوضع المكاني دعامة لاقترانهما في النظم^(٥).

وعليه فإن الآيات القرآنية بمثابة حلقات مترابطة، مشمولة بحلقة أكبر منها، وهي داخله فيها متعلقة بها، ولايتحتم أن تكون كل حلقة مرتبطة بالحلقة السابقة أو اللاحقة لها مباشرة، بل قد تكون متصلة بالحلقة الكبرى التي تمثل مقصود السورة الرئيس، أو متصلة بحلقة دونها قد سبقت، وليست هي الحلقة المباشرة في تسلسل رصف الحلقات^(٦).

١٤- أن الآية الواحدة كلما ضُمَّت إلى آية أخرى أنتجت حقيقة من أبعاد الحقائق، ثم الآية الثالثة تصدقها وتشهد لها، وهكذا تتوارد المعاني وتتوالد، كلما ضُمَّت آية إلى

(١) مدخل إلى ظلال القرآن، للخالدي (ص : ١٩٥)

(٢) دلائل النظام، الفراهي (ص : ٧٩) .

(٣) دلالة السياق القرآني، د . عبد الحكيم القاسم (٢ / ٤١٦) .

(٤) انظر (علاقة تتابع وتدرج) في الفصل الثاني من هذا البحث .

(٥) النبأ العظيم (ص : ٢٠٠) .

(٦) قواعد التدبير الأمثل لكتاب الله، الميداني (ص : ٢٨) .

أخرى تتاسبها^(١)، وعلى هذا فيكون للآية معان لاتنتاهي، تكتسبها أولاً من خلال المعنى المجرد لها، ثم من خلال السابق واللاحق لها من الآيات، ثم من خلال السياق العام ومقصود السورة الكلي^(٢).

١٥- قد يذكر القرآن أحكاماً متعددة مختلفة، مثل الصلاة والنكاح والجهاد، وهذه كلها على تنوعها لها رابط، وترجع إلى وحدة عامة، قال محمود شلتوت^(٣): " ولهذه الطريقة فيما نرى إيماء خاص، وهو أن جميع مافي القرآن، وإن اختلفت أماكنه وتعددت سوره وأحكامه، فهو وحدة عامة لا يصح تفريقه في العمل ولا الأخذ ببعضها دون بعض، وكأنه وقد سلك هذا المسلك، يقول للمكاف وهو يحدثه عن شؤون الأسرة وأحكامها مثلاً: لا تشغلك أسرتك وشؤونها عن مراقبة الله فيما يجب له من صلاة وخشوع . ولا ريب أن لمثل هذا الإيحاء تأثيراً في المراقبة العامة، وعدم الاشتغال بشأن عن شأن، فيكمل للروح تهذيبها، وللنفس صلاحها، وللعقل إدراكه، وللمجتمع صلاحه " ^(٤).

ويقول محمد قطب: " وهذا النسق الخاص من العرض، الذي ينتقل فيه السياق من نقطة إلى أخرى بلا انفصال، جدير بأن يكشف لنا عن هذه الحقيقة في الدين، وهي اتصال موضوعاته وجزئياته اتصالاً عضوياً غير قابل للانفصال " " والله يريد لنا أن نتعرف على ديننا في صورته الشاملة، والمترابطة، لكي نمارسه كذلك في صورته الشاملة المتصلة المترابطة، ولكيلا يتجزأ في حسنا، وفي ممارستنا، إلى موضوعات منفصلة، لا يربط بينها رباط " ^(٥).

وهذا سيد قطب (ت ١٣٨٧) يقول بعد أن استوقفته آية ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة ٢٣٨] إذ وردت في سياق آيات أحكام الطلاق والعدة، فبحث عن السر في ذلك، وبعد أن وقف شهوراً بل سنوات، قال مبيناً السر: أنه العبادة، عبادة الله في الزواج، وعبادته في الطلاق، وعبادته في العدة والنفقة، وعبادته في الصلاة، وكلها من منهج الله في الحياة، هذه اللمسة تؤدي دورها في مجال الحديث عن أحكام الزواج والطلاق، وفي تقرير التصور الإسلامي لقاعدة الإسلام الكبرى، وهي العبادة ممثلة في كل طاعة^(٦).

(١) آفاق التفسير الموضوعي، إبراهيم سجادي (ضمن دراسات في تفسير النص القرآني) (١/١٩٤).

(٢) الأساس في التفسير، سعيد حوى (١/٤٤٨)، بدائع الفوائد (ص: ٢٨٣).

(٣) فقيه، مفسر، مصري، له عدة مؤلفات، عُين شيخاً للأزهر سنة ١٣٧٨هـ إلى أن توفي سنة ١٣٨٣ هـ. الأعلام (٧/١٧٣).

(٤) نظرات في القرآن، الغزالي (ص: ١٥٨).

(٥) دراسات قرآنية، محمد قطب (ص: ٤٠٦).

(٦) في ظلال القرآن (١/٢٥٢)، مدخل إلى ظلال القرآن، الخالدي (ص: ١٩٥).

إن جملة ما في القرآن من المواضيع المختلفة المتنوعة، إنما تدور حول معنى كلي واحد، هو دعوة الناس أن يكونوا عبيداً لله، بالفكر، والاختيار، كما خلقهم عبيداً له بالجبر والاضطرار، وأن يدركوا أن أمامهم حياة ثانية بعد حياتهم هذه، وأن يستيقنوا ضالة هذه الحياة بالنسبة لتلك، في كل من خيرها وشرها وسعادتها وشقائها، فالقرآن شأنه أن يبيث هذا المعنى الكلي الخطير من خلال جميع ما يعرضه من المواضيع والأحكام المختلفة، من تشريع، ووعود ووعيد، وقصة وأمثلة ووصف، وإنما يتحقق ذلك بهذا النسق الذي جرى عليه من التداخل، والتمازج في المعاني^(١).

١٦- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده، أولى من الخروج به عنهما، ولذلك فحمل الآية على التفسير الذي يجعلها داخلة في معاني ما قبلها وما بعدها، أولى وأحسن، لأنه أوفق للنظم، وأليق بالسياق، وأحسن تناسقاً، ما لم يرد دليل يمنع من هذا التفسير^(٢).

مثال ذلك في قوله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، فقد اختلف المفسرون في المقصود بهذه النعمة، وقد ذكر الطبري عدة أقوال في ذلك، ثم قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال عني بالنعمة التي ذكرها الله في قوله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ النعمة عليهم بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم، داعياً إلى مابعثه بدعائهم إليه، وذلك أن هذه الآية بين آيتين، كلتاها خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعما بُعث به، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده"^(٣).

وعلى هذا ينبغي فهم الآية وفق ترتيب نظمها، وما يقتضيه التناسب بينها وبين الآيات السابقة واللاحقة لها^(٤).

١٧- أن القرآن الكريم عجيب التنويع في أساليب الأداء البياني، حتى في عرض الأقسام التي تدخل في مقسم واحد، أو تحت عنوان واحد، إيثاراً للجمال الفني بالتنويع المجدد لتبنيه الفكر، والمحرك للذهن في مختلفات من الأساليب. والغفلة عن ملاحظة هذا التنويع في الأساليب، قد يجعل المتدبر لكلام الله لا يدرك الترابط بين الآيات^(٥).

مثال ذلك: نجد تنويعاً عجيباً في عرض الأدلة لدفع شبهات منكري البعث في سورة (ق) كقوله تعالى ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤]،

(١) الإعجاز في نظم القرآن، شيخون (ص: ٧٦).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، الحري (١١/١) وقد ذكر لذلك عدة أمثلة.

(٣) تفسير الطبري (٣٢٦/١٤)

(٤) قواعد التدبر الأمثل، الميداني (ص: ٢٠٧).

(٥) قواعد التدبر الأمثل، الميداني (ص: ٥٣١).

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]،
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْ مَا تَوْسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾
[ق: ١٦]، أنواع من الأساليب البيانية مع أن الموضوع فيها موضوع واحد (١).

(١) المصدر السابق (ص: ٥٣٣).

المطلب الثاني

قواعد خاصة في المناسبة بين كلمات الآية

١- إن كلمات القرآن لها في تناسق حروفها وتلاقي مخارجها إشراق بلاغي، ولكن لا ينكشف ذلك الإشراق إلا بالتضام، أي أن الإشراق ذاتي وهو الأصل، ولكن شرط ظهوره تضام الكلمة مع غيرها، فمثلاً كلمة (تنفس) في قوله تعالى ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير: ١٨]، لا ينبعث منها ذلك الإشعاع الفكري إلا إذا كانت كلمة الصبح معها، فلا بد لكي يكون ذلك الإشعاع المعنوي صحيحاً، واضحاً مؤدياً إلى غايته، من أن يكون مقترناً بالصبح، ومع أن الإشعاع منها وحدها إلا أنه لا يضيء إلا مع كلمة الصبح، وكلمة الصبح لا تفترق عن كلمة الفجر إلا إذا كان يتبعه التنفس والإسفار، فالصبح والتنفس متلازمان، وإن كان كل منهما مؤدياً معنى مستقلاً، والتلازم كان بالألّا يتبين ذلك المعنى الاستقلالي إلا بضم الأخرى إلى الأولى^(١).

٢- التناصب في ألفاظ القرآن ليس في المخارج فقط، بل فيما هو أعلى من ذلك، إنما هو في جرس القول، فلا تجد حرفاً ينشز في جرسه عن أخيه، ولا الكلمة عن أختها، والآية كلها تكون مؤتلفة الجرس في الغرض الذي سيقت له، فإن كان إنذاراً كان الجرس قوياً وإرعاداً، وإن كان تبشيراً كان نسيماً، وإن كان عظة كان تنبيهاً، وإن كان تفكيراً، كان توجيهاً لافتاً عما سواه^(٢)، وكما قال الراجعي: "ألفاظ إذا اشتدت، فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت، فأنفاس الحياة الآخرة"^(٣).

ومن الأمثلة على ذلك الآيات المكية التي جاءت بالدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك، وجاءت بذكر الجنة والنار واليوم الآخر، كانت هذه الآيات قصيرة الفواصل، مع قوة جرس الألفاظ .

٣- القرآن الكريم يستثمر دائماً أقل ما يمكن من الألفاظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني، تلك ظاهرة بارزة فيه كله، يستوي فيها مواضع الإجمال والتفصيل، لذلك كانت ألفاظ القرآن جامعة محيطية، كلية عامة لما كان منتشرًا في كلام غيره، وهي أتم تحديداً للغرض وأعظم اتساعاً لمعانيه^(٤) .

ومن الأمثلة على ذلك سورة الفاتحة، والإخلاص، والعصر، ومافيهن من معان

(١) المعجزة الكبرى، أبو زهرة (ص : ٩٣ و ٩٥) .

(٢) المصدر السابق (ص : ٢١٥) .

(٣) إعجاز القرآن (ص : ٣٠) .

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤ / ١٣٣)، النبأ العظيم، دراز (ص : ١٥٨ و ١٧٣) .

عظيمة مع اختصارهن.

٤- خلوّ القرآن من الكلمات المقحمة، والحروف الزائدة، فليس فيه كلمة إلا وهي مفتاح لفائدة جليّة، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى (١).

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك حرف الكاف في قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، إذ قال بعضهم بزيادتها، لكن عند التحقيق والتأمل ظهر أن هذه الكاف مفيدة أسراراً عظيمة (٢).

٥- التناسب الصوتي بين الكلمات يتبعه تناسب معنوي بينها كذلك، فهناك رابط قوي، قال ابن القيم: "قلت يوماً لشيخنا أبي العباس ابن تيمية - قدّس الله روحه -، قال ابن جنّي (٣): مكثت برهة إذا ورد عليّ لفظ آخذ معناه من نفس حروفه وصفاته وجرسه وكيفية تركيبه، ثم اكتشفه فإذا هو كما ظننته أو قريباً منه، فقال لي رحمه الله: وهذا كثيراً ما يقع لي" (٤). ومن الأمثلة على ذلك سورة الناس (٥).

٦- ألفاظ القرآن متألّفة ليس بينها نفرة في المخارج ولانفرة في الجرس، بل يتلاقى جرسها، وتسهل مخارجها، فلا تجد كلمة نابية عن أختها، بل هي متألّفة ومتناسقة بحيث لا تبدو واحدة منها بنطق غير مؤتلف مع نطق تاليها (٦)، إذن كل كلمة لفق (٧) مع أختها، ولو حاولت أن تنزع كلمة لتضع مكانها في معناها ما ائتلف السياق، ولا انسجم الأسلوب (٨).

بل الأمر كما قال ابن عطية: "كتاب الله لو نُزعت منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد" (٩).

وكما أنها متألّفة في مبانيها، فهي كذلك متألّفة ومتأخية في معانيها، فلا تجد معنى لفظ نافرماً من معنى اللفظ الذي يجاوره، بل المعاني متداعية، يدعو بعضها بعضاً، واسمع إلى قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَخْبَطَ

(١) النبأ العظيم، دراز (ص: ١٦٢)، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، الصامل (ص: ١٢٩).

(٢) انظر مبحث (المناسبة بين اسم وحرف) من هذا البحث.

(٣) أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي، من أئمة الأدب والنحو، وله شعر، ولد بالموصل، وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢ هـ. الأعلام (٤/٢٠٤).

(٤) بدائع الفوائد (ص: ١٦٦).

(٥) انظر مبحث (التناسب من حيث التوافق الصوتي) من هذا البحث.

(٦) المعجزة الكبرى، أبو زهرة (ص: ٩٦).

(٧) اللفق: شقة من شقتي الحلة يقال لفقان مادامتا متضامتين، فإذا فنقت الخياطة ذهب اسم اللفق. المعجم الوسيط (ص: ٨٣٣).

(٨) دلائل الإعجاز، الجرجاني (ص: ٤٥).

(٩) المحرر الوجيز (١/٥٢).

أَعْمَالَهُمْ ﴿ [محمد: ٢٨]، فالألفاظ (أسخط، كره، أحبط) تتداعى، ويقود بعضها إلى بعض.

ولذلك لما سمع الأعرابي من يقرأ آية (السارق والسارقة)، ويقول في آخرها سهواً: (والله غفور رحيم) قال: كلام من هذا؟ قيل كلام الله، قال أعد، فنتبه القارئ فقال (والله عزيز حكيم) فقال الأعرابي: أصبت، عزيز حكيم فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع (١).

٧ - عند النظر بين كلمات الآية من حيث التناسب، فالأصل دائماً أنه لا تكرار ولا ترادف، ولا نلجأ إلى شيء من ذلك إلا عند العجز عن اكتشاف الفروق، مع عدم الجزم بما نفسر به الكلمة القرآنية (٢)، إذ أن كل حرف، وكل كلمة مرادة في كتاب الله، ومختارة بعناية عظيمة، وإتقان بديع (٣). يقول ابن تيمية: " ليس في القرآن تكرار للفظ بعينه عقب الأول قط " (٤).

وعلى ذلك فليس في القرآن تكرار محض، بل لابد من فوائد في كل خطاب فالمتشابه في النظائر المتماثلة، والمثاني في الأنواع (٥).

يقول د. عبدالله صولة (٦): " وكثيراً ما منعهم قولهم بترادف الكلمتين، وتساويهما في الدلالة، من أن يتدبروا ما للكلمة المعوضة من زوائد دلالية تبني بُعد الملفوظ الذي ترد فيه بناءً حاجبياً مخصوصاً، ويكون لها فيه وقع معنوي خاص ما كان لتحدثه فيه الكلمة المعوضة " (٧).

مثال على ذلك قوله تعالى ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥].

إن التعبير بالكفل، وإن كان بمعنى النصيب في اللغة، إلا أنه يحمل معنى الضمان، والكفالة، ويشعر بالحمل والثقل، ولذلك فالتعبير به هنا في جانب الشفاعة

(١) تفسير الرازي (٢٣٦/١١).

(٢) قواعد التدبر الأمثل، الميداني (ص: ٤٤٥).

(٣) المصدر السابق (ص: ٤٤٨).

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٦ / ٥٣٧).

(٥) المصدر السابق (١٤ / ٤٠٨).

(٦) أستاذ اللغة والأدب، جامعة تونس توفي سنة ٢٠٠٩م، له كتاب (الحجاج في القرآن) رسالة دكتوراة، انظر

ندوة «درس الحجاج في الثقافة العربية عبدالله صولة نموذجاً»، صحيفة الوسط البحرينية، العدد ٢٧٧١، ٨

أبريل ٢٠١٠م.

(٧) الحجاج في القرآن (ص: ١٨٦ - ١٨٧).

السيئة، يوحى بأن صاحب هذه الشفاعة متحمل و متكفل بجرائرها التي نجمت عن شفاعته^(١).

٨ - موافقة الكلمات لما سبقها، واتفاقها مع جملة المعنى، وائتلافها مع مقصد القرآن من أقوى الأدلة على التناسب بينها^(٢).

(١) روضة المحبين، ابن القيم (ص : ٥١٥)، بصائر ذوي التمييز (٣٦٧/٤)، في ظلال القرآن (٧٢٥/٢)، من

بلاغة النظم القرآني، بسيوني (ص : ١٢) .

(٢) تفسير المنار (٢٢/١) .

المبحث الرابع

طرق معرفة المناسبات

من خلال البحث وجدتُ أن العلماء قد ذكروا طرقاً ووسائل كثيرة لمعرفة المناسبات، يستطيع الناظر في كتاب الله، إذا سلك هذه الطرق والوسائل، أن يصل إلى المناسبات، ويستتبطها بصورة صحيحة.

هذه الوسائل والطرق المعينة على استخراج، واستتباط المناسبات، يمكن تقسيمها إلى قسمين:

- طرق لمعرفة المناسبات عامة.

- طرق لمعرفة المناسبة بين كلمات الآية خاصة.

المطلب الأول

طرق لمعرفة المناسبات عامة

هناك عدة طرق ووسائل، ذكرها العلماء للوصول إلى المناسبات عامة، سواء كانت هذه المناسبات بين السور، أو بين الآيات، أو بين الكلمات. ومن أهم هذه الطرق والوسائل مايلي:

١ - معرفة المقصد العام للسورة، يعين على استخراج المناسبات بينها، ولذلك نقل البقاعي عن شيخه المشدائي^(١) قوله: " الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنتظر الغرض الذي سيقف له السورة، وتنتظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنتظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنتظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية، في كل سورة سورة"^(٢). إذن معرفة المقصد العام للسورة مهم للوصول إلى معرفة المناسبات بين أجزائها، قال الدكتور زيد عمر: " يبرز الغرض العام للسورة من خلال الدلالات التي

(١) أبو الفضل محمد بن محمد البجالي المغربي المالكي، توفي سنة ٨٦٤ هـ . البدر الطالع (ص : ٨٠١) .

(٢) نظم الدرر (١٨/١) .

تجود بها الآيات، حيث يمكن أن تتضافر جميعها لتكون غرضاً عاماً للسورة، إن هذه الخطوة تبدأ من تجميع متفرق بإيجاز، للخروج بالغرض العام " (١) ثم قال: "أحسب أن الباحث إن تمكن من تحديد الغرض العام للسورة، فإنه سيكون قد وقف على وجه التناسب بين آيات السورة، وأحسن الربط بين بدايتها ونهايتها دونما تكلف" (٢). ولكن تعيين عمود السورة وغرضها العام ليس بالأمر السهل كما يقول الفراهي (٣): "إن تعيين عمود السورة هو إقليد لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فيضئ به السورة كلها، ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها" (٤).

فالأمر المهم إذن هو الوصول إلى معرفة الغرض العام للسورة، لأن عمل الباحث بعد ذلك سيكون هو "السعي إلى ربط القضايا الجزئية في السورة بغرضها العام" (٥).
 ٢ - إن الناظر في كتاب الله تعالى لاستخراج المناسبات، لا بد أن تتوفر فيه - بالإضافة إلى شروط المفسر - الصفات الآتية:

أ - كثرة التدبر لكتاب الله، وإدامة النظر فيه، لأن هذا هو الركن الأهم في استنباط واستخراج المناسبات، وغيرها من المعاني في كتاب الله، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، لذلك "من تدبر في القرآن ونظمه الحكيم، اطلع على حسن نظامه، وإعجاز بلاغته، ودقائق حكمته، وفتح عليه باب عظيم من المعاني" (٦). قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد العلم فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين" (٧).

(١) التفسير الموضوعي (ص: ٢٣٠).

(٢) المصدر السابق (ص: ٢٣٠).

(٣) أبو أحمد عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان الفراهي من علماء الهند، له أكثر من ٤٠ كتاباً، منها تفسيره المسمى (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) توفي سنة ١٣٤٩ هـ. الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في التفسير، د. يوسف الشرجي، مجلة جامعة دمشق، للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٠، العدد الثاني، ٢٠٠٤م، (ص: ٤٦٠).

(٤) دلائل النظام (ص: ٧٧).

(٥) التفسير الموضوعي، د. زيد عمر (ص: ٢٣١).

(٦) دلائل النظام، الفراهي (ص: ٤٢).

(٧) رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم (٨٦٦٦) بإسناد صحيح، ومعنى (يثور): أي ينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته (النهاية في غريب الحديث) (١/٢٢٩).

إذن إعمال النظر في الآية المرة بعد المرة، وطول التأمل، شرط مهم في الوصول إلى المناسبة، فرب مناسبة تحتاج في استنباطها إلى شهر أو أكثر، كما ذكر البقاعي في تفسيره (١).

ب - الصبر وطول النَّفْس، وبما أن علم المناسبات دقيق وصعب، فإن الناظر في كتاب الله للوصول إليه، لا بد أن يتحلى بالصبر، إذ إدراك المناسبة يحتاج إلى النظر في السور والآيات أوائلها وأواخرها، وتقليبها، ومعرفة الروابط الدقيقة التي تسلك فيها المعاني الخفية، وهذا كله يحتاج من صاحبه أن يكون ذا صبر وطول نفس، وربما - مع ذلك - قد لايهتدي إلى وجه المناسبة، فيكرر مرة وثانية، وهكذا حتى يصل في الأخير إلى وجه المناسبة، ولذلك نجد أن العلماء الذين ركزوا على المناسبات، قد ذكروا أن بعض الوجوه لم يتبين لهم إلا بعد شهور، أو بعد سنوات، كما ذكر كل من البقاعي، وسيد قطب (٢).

ج - الملكة والموهبة والفهم في كتاب الله سبحانه، فمن وفق لهذه الصفة انفتحت له أسرار كثيرة في القرآن، ومن لم يكن كذلك لم تتفحه كثرة الطرق والآلات كما قال ابن الأثير (٣): "وملاك هذا كله الطبع فإنه إذا لم يكن ثم طبع فإنه لا تغني تلك الآلات شيئاً" (٤).

لذلك قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، لما سُئِل: هل عندكم شيء من الوحي غير ما في كتاب الله؟ قال: "لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن" إلى آخر الحديث (٥).

فلذلك الناس متفاوتون في الفهم عن الله ورسوله أعظم تفاوت، فرب شخص يفهم من النص حكماً أو حكّمين، ويفهم منه الآخر مائة أو مائتين (٦).

فعلى الباحث أن يداوم على تلاوة كتاب الله، ويتدبره كثيراً، فلعله بكثرة الممارسة، ودوام النظر يحصل هذه الملكة، التي يصل من خلالها إلى درجة عليا في استنباط المناسبات.

(١) نظم الدرر (١/ ١٥) .

(٢) انظر (ص : ٤٨) من هذا البحث .

(٣) ابو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد ابن الأثير توفي سنة ٦٣٧ هـ، شذرات الذهب، ابن العماد (٣٢٨/٧) .

(٤) المثل السائر (١/ ٣٨) .

(٥) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير رقم (٣٠٤٧) .

(٦) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٣) .

٣- من الطرق المهمة لمعرفة المناسبات الاستقراء والتتبع، وهذا الأمر تتكشف به كثير من المناسبات، وخصوصاً المناسبة بين الكلمات، إذ به يُعرف عدد ورود الكلمات، وكيفية اقترانها، والأمثلة على ذلك كثيرة^(١).

٤- أن يدل على المناسبة المذكورة آية أخرى، ومن الأمثلة على ذلك التناسب في قوله تعالى ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥]^(٢).

٥- أن يدل على المناسبة حديث نبوي، ومثاله المناسبة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]^(٣).

٦- الاستعانة بأسباب النزول في استنباط المناسبة فيما له سبب نزول من أي القرآن الكريم^(٤)، قال الزركشي: "وقد تنزل الآيات على الأسباب خاصة، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من الآي، رعاية لنظم القرآن وحسن السياق"^(٥). ومن الأمثلة على ذلك التناسب في قوله تعالى ﴿نُقِإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]^(٦).

٧- معرفة المكي والمدني من الآيات، مما يساعد على معرفة المناسبات، إذ معرفة "أن هذه الآية مكية يفتح للمتأمل فيها أبواباً رحبة لتفسيرها وتأويلها ومعرفة إحياءاتها، وكذا إذا عرف أن هذه الآية في المدينة، أو إذا عُرف أن المخاطبين بهذه الآية هم المنافقون، وأن الآية المشابهة لها إنما هي للمؤمنين، عرف حينئذ سبب الاختلاف بين الآيتين، وسهل توجيه التنوع في التراكيب والأساليب"^(٧).

٨- معرفة بيئة العرب، وعاداتهم وطبائعهم، وسيلة مهمة لمعرفة المناسبات.

مثال على ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية ١٧ - ٢٠].

ففي هذه الآيات لدينا خطاب قرآني عناصره: الإبل والسماء والأرض والجبال، وأفعال هي الخلق والرفع والسطح، ولدينا متلقيان حضري وبدوي أمام هذا الخطاب، فالحضري قد لا يستطيع خياله أن يجمع صور هذا الخطاب بشكل متسق، إذ كيف تجتمع عنده الإبل مع السماء والأرض والجبال، أما البدوي فمطعمه وملبسه ومشربه من المواشي، وخاصة الإبل وهي أنفعها لديه، ثم إذا كان انتفاعهم بما لا يتحصل إلا بأن

(١) انظر مبحث (علاقة أصل وفرع) من هذا البحث.

(٢) انظر مبحث (المناسبة الخفية) من هذا البحث.

(٣) انظر مبحث (المناسبة بين اسم وفعل) من هذا البحث.

(٤) المناسبات في القرآن، القرني (ص: ١٠٢).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٢٥/١).

(٦) انظر مبحث (المناسبة في التعريف والتكثير) من هذا البحث.

(٧) البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات، الزيد (٥٥٤/٢).

ترعى وتشرب، كان جُل مرمى غرضهم نزول المطر، وأهم مسارح النظر عندهم السماء، والجبال لهم مأوى، إن البدوي لا يستغرب هذا العد، ولا هذا الترتيب؛ لأن صورة الإبل والسماء والجبال متقارنة في خياله، مجتمعة، متعالقة في خزانة صورته، ولذا فسيحكم على هذا الخطاب بأنه منسجم^(١).

قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة؟ قلت: قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم، فانتظمها الذكر على حسب ما ينظمها نظرهم"^(٢).

٩- من الطرق المهمة في الوصول إلى المناسبة معرفة عادات القرآن في الجمع بين الموضوعات والكلمات، فكونها تأتي مجتمعة، ومقترنة، دليلاً قوياً على وجود التناسب والترابط بينها، ولهذا استدل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بهذا عندما قال: "وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ"^(٣)، ذلك لأنها قرينتها في كتاب الله^(٤).

ومن هذه العادات مايلي:

- اقتران الوعد بالوعيد، فإذا جاءت آية في الوعيد، فغالباً ما تأتي قبلها أو بعدها آية في الوعد، وهذه قاعدة عظيمة في الوعد^(٥).

قال الشاطبي: "إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه الترهيب في لواحقه، أو سوابقه أو قرائنه وبالعكس، وكذلك الترجية مع التخويف، وما يرجع إلى هذا المعنى مثله، ومنه ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النار، وبالعكس لأن في ذكر أهل الجنة ترجية، وفي ذكر أهل النار بأعمالهم تخويفاً، فهو راجع إلى الترجية والتخويف"^(٦).

- عادة القرآن في قضية التوحيد أن يقرن بين صفات الكمال والعظمة لله سبحانه، وينفي عنه صفات العجز والنقص، مع إثباتها للآلهة والأصنام^(٧)، كما قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُنقَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

(١) مفتاح العلوم، السكاكي (ص: ٢٥٧)، الخطاب القرآني، العموش (ص: ٧٦)، البلاغة العربية، الميداني (٤٦٤/٢).

(٢) الكشاف (٣٦٥/٦). وانظر أيضاً المناسبة بين النخيل والاعناب (ص: ١٠٩).

(٣) رواه البخاري، باب وجوب الزكاة، رقم (١٤٠٠).

(٤) عمدة القاري، العيني (٢٩٢/١).

(٥) عادات القرآن الأسلوبية، الثنيان (٤٦٤/٢).

(٦) الموافقات (١٦٧/٤).

(٧) خصائص التعبير القرآني، المطعني (٤٤٨/١).

الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿ [النساء: ١٧١] . قال الرازي: " واعلم أنه سبحانه في كل موضع نزه نفسه عن الولد، ذكر كونه ملكاً ومالكاً لما في السموات وما في الأرض" (١).
- من عادة القرآن الجمع بين التوحيد، والأحكام، والوعظ، قال الزركشي: " وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاماً، ذكر بعدها وعداً ووعيداً، ليكون ذلك باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد والتتزيه ليُعلم عظم الأمر والناهي، وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك" (٢).
- من عادة القرآن في الاستدلال لتوحيد الله أن يقرن بين دلائل الأنفس ودلائل الآفاق .

قال الرازي: " واعلم أن عادة الله تعالى جارية في القرآن بأنه كلما ذكر الدلائل الموجودة في الأنفس، فإنه يذكر عقيبتها الدلائل الموجودة في الآفاق " (٣).
ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى ﴿ سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

- من عادة القرآن أن يقرن بين حق الله، وحق الخلق معاً.
قال الرازي - في تفسير سورة المزمل -: " واعلم أن مهمات العباد محصورة في أمرين: كيفية معاملتهم مع الله، وكيفية معاملتهم مع الخلق، والأول أهم من الثاني، فلما ذكر تعالى في أول هذه السورة ما يتعلق بالقسم الأول أتبعه بما يتعلق بالقسم الثاني" (٤).
ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكذِّبُ بِالذِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ١-٧].

- عادة القرآن عند ذكر الحروف المقطعة أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن (٥). قال تعالى ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ﴾ [البقرة ١-٢] و قال ﴿ الْمص كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾ [الاعراف ١-٢] و قال ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [يوسف: ١].
وقد ذكر العلماء السر في ذلك، قال ابن كثير: " وقال آخرون، إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه تركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، ولهذا

(١) تفسير الرازي (١١/١١٩) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/٤٠) .

(٣) تفسير الرازي (٣١/٦٢) .

(٤) تفسير الرازي (٣٠/١٨٠) .

(٥) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة (٦/٣٢٥) .

كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء " (١).

- عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد - حيث يعرض يوم القيامة - أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عليها المحاسبة عملاً وتركاً (٢) كما قال تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] ثم قال بعدها ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

- عادة القرآن في بيان الأحكام فريد، وليس على سنن البيان المعروف في القوانين الوضعية، بأن تذكر الأوامر والنواهي جافة، مجردة عن معاني الترغيب والترهيب، وإنما يسوقها مكتتفة بأنواع من المعاني شأنها أن تخلق في نفوس المخاطبين الهيبة والمراقبة، والارتياح للشعور بالفائدة العاجلة والآجلة، فيدعوهم كل هذا إلى المسارعة إليها، وامتنال الأمر نظراً إلى واجب الإيمان، وبداعية الخوف من عقاب الله وغضبه والطمع في ثوابه ورضاه، وهذا هو الوازع الديني الذي تمتاز بغرسه الشريعة الإسلامية، ويمكن أن يدرك هذا الأمر بالرجوع إلى آيات إبطال التنبني وأحكام الظهر، والطلاق، وغيرها وانظر في مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدُوا وَإِن تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥] (٣).

- عادة القرآن في ذكر قصص الأولين أن يسوقها مع ذكر قصة نبينا صلى الله عليه وسلم وقومه.

قال محمد الغزالي (ت ١٤١٦): " القرآن الكريم وهو يحكي أبناء الأولين يحولها إلى دواء سائل عام، ثم يسكب من قطراته على نفوس المعاندين يبغي شفاءها، دون نظر إلى تراخي القرون، واختلاف المخاطبين، ولذلك تراه يروي مثلاً لأهل مكة المكذبين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قصة نوح وقومه، ويأخذ في سرد أحداثها وتتبع مراحلها، وفي أثناء هذا السرد المستغرق تقرأ هذه الآيات ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٢-٣٤]، وبغته ينقطع هذا السياق المطرد، ويقفز

(١) تفسير ابن كثير (١/١٦٠).

(٢) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة (٦/٣١٣).

(٣) نظرات في القرآن، الغزالي (ص: ١٥٧) والكلام لمحمود شلتوت بتصرف.

القارئ آلاف السنين ليرى التفاتة رائعة، تتناول أهل مكة المناوئين لمحمد صلى الله عليه وسلم، وإذا الخطاب يدع نوحاً وقومه، ويتجه لصاحب الرسالة العظمى بالحديث ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود: ٣٥]، إن تشابه الأحوال واستقراء المواقف، هو الذي سوَّغ هذه النقلة البعيدة، وجعل العبرة تتقذف من خلال هذا القصص المطرد " (١).

- عادة القرآن إذا ذكر قضية كلية، أن يعطف عليها ببعض جزئياتها، تنبيهاً على كون ذلك الجزئي أعظم جزئيات ذلك الكلي قال تعالى ﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ ﴾ [الكهف: ٢] ثم قال ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [الكهف: ٤]، فالأول عام في حق كل من استحق العذاب، والثاني خاص بمن أثبت لله ولداً، فدلّ على أن أقبح أنواع الكفر والمعصية، إثبات الولد لله تعالى (٢).

- من عادة القرآن أن يقرن بعض الآيات الكونية ببعض، لما في ذلك من زيادة التفكير والتأمل، كاقتران الشمس والقمر، والليل والنهار، والسماء والأرض (٣) والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن، ومنها قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

- من عادة القرآن أن يقرن بعض العبادات الشرعية ببعض، كالإيمان والعمل الصالح، والصلاة والزكاة، والصلاة والصبر، وكذا توحيد الله، والتوكل عليه (٤) وتوحيد الله وبر الوالدين (٥) ومن الأمثلة على ذلك ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [البقرة: ٨٢] وقوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] وقوله تعالى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة: ٤٥] وقوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقوله تعالى ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣].

- من عادة القرآن ربط الدعوة إلى التوحيد، وتقرير الأحكام، وذكر القصص بعضها ببعض.

قال الرازي: "اعلم أن من عاداته سبحانه وتعالى في هذا الكتاب الكريم أن يخلط هذه الأنواع الثلاثة بعضها ببعض، أعني علم التوحيد وعلم الأحكام وعلم القصص، والمقصود من ذكر القصص: إما تقرير دلائل التوحيد، وإما المبالغة في إلزام الأحكام

(١) نظرات في القرآن (ص: ٩٧).

(٢) تفسير الرازي (٧٨/٢١).

(٣) عادات القرآن الأسلوبية، الثنيان (٤٠٢/٢).

(٤) المصدر السابق (٤٢٨/٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٢٩/٢)، من غريب بلاغة القرآن الكريم، الرويني (ص: ٣١٤).

والتكاليف، وهذا هو الطريق الأحسن، لا إبقاء الإنسان في النوع الواحد، لأنه يوجب الملل " (١) وقال أيضاً: " من عادة القرآن أن يذكر القصص بعد بيان الأحكام، ليفيد الاعتبار للسامع، ويحمله ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد، ومزيد الخضوع والانقياد" (٢).

قال السعدي: " المقصود الأعظم من سياق القصص أنه يحصل بها العبرة، وأعظم العبر الاستدلال بها على التوحيد، والرسالة والبعث، وغيرها من الأصول الكبار" (٣). مثال على ذلك في سورة البقرة لما ذكر آية الكرسي، المشتملة على التوحيد أتبعها بذكر قصة النمرود مع إبراهيم عليه السلام، ثم قصة صاحب الحمار، ثم أتبع ذلك بذكر النفقات، والحث على الصدقات .

- من عادة القرآن أن يقرن بعض أسماء الله الحسنى ببعض.

ولذلك ذكر ابن القيم في تعداد صفات الله: "صفة تحصل من اقتران الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مُفْرَدَيْهِمَا، نحو (الغني الحميد) و(العفو القدير) و(الحميد المجيد) وكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغنى صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد، كمال آخر، فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذا العفو القدير والحميد المجيد والعزيز الحكيم فتأمل، فإنه من أشرف المعارف" (٤).

وقال السعدي: "عليك بتتبعها في جميع الآيات المختومة بها، تجدها في غاية المناسبة، وتدلّك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته، ومرتبطة بها، وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجلّ المعارف وأشرف العلوم" (٥).

ومن الأمثلة على ذلك اقتران (الغفور بالرحيم)، إذ اقترنا في أكثر من سبعين موضعاً (٦)، واقترن (السميع بالعليم) في واحد وثلاثين موضعاً (٧). واقترن (العزيز بالحكيم) في سبعة وأربعين موضعاً (٨).

(١) تفسير الرازي (٢/٧) .

(٢) المصدر السابق (١٧٤/٦) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص : ١١٣٨) .

(٤) بدائع الفوائد (ص : ٢٨٣) .

(٥) القواعد الحسان (ص : ٥٣) .

(٦) المعجم المفهرس، عبد الباقي (ص : ٣٧٧) .

(٧) المصدر السابق (ص : ٤٤٢) .

(٨) المصدر السابق (ص : ٢٦٢) .

فهذه بعض عادات القرآن في جمع بعض الموضوعات والكلمات مع بعضها . وقد استطرقت في ذكرها لأن معرفتها أصل مهم في الوصول إلى المناسبة، إذ كونها تقرر في مواضع متعددة يدل على مناسبة بينها، فإذا تفكر الناظر في آثارها ولوازمها وعللها، هُدي إلى المناسبة التي ربما خفيت عليه في أول النظر^(١).

١٠ - الاستهداء باسم السورة في الوصول للمناسبة، خاصة الأسماء التي وردت في أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال البقاعي: " إن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها ؛ لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه " (٢) .

لكن ليس الأمر على إطلاقه، كما قال البقاعي " لأنه ليس بلازم أن تكون الصلة قائمة بين اسم السورة ومضامينها كلها"^(٣). لكن يستأنس بهذا الأمر في معرفة المقصد العام للسورة .

١١ - معرفة فواتح السورة وخواتمها، مما يعين على معرفة المناسبة، إذ أن فاتحة السورة تشير إلى أهم القضايا التي ستعالجها الآيات بعد ذلك، وتأتي خاتمة السورة لتعود للتذكير بإحدى تلك القضايا وتأكيداً وترسيخاً، ولذلك اهتم العلماء بتناسب فواتح السور وخواتمها، وقد ألف السيوطي في ذلك كتاباً سماه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)^(٤)، كما اهتموا أيضاً ببيان مناسبة مطلع السورة للغرض العام فيها، تحت مسمى (براعة الاستهلال)، فلا بد من استثمار ذلك كله في كشف الغرض المحوري، الذي تلتقي فيه جميع مواضع السورة^(٥).

قال الدكتور دراز: "ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطاً واضحاً ومحددًا، يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضّح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوته الرئيسية ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيراً تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة"^(٦). وقال في موضع آخر: "اعمد إلى سورة من تلك السور، التي تتناول أكثر من معنى واحد - وما أكثرها في القرآن،

(١) دلائل النظام، الفراهي (ص : ١٢٢) .

(٢) نظم الدرر (١ / ١٨) .

(٣) التفسير الموضوعي، د . زيد عمر (ص : ٢٣٠) .

(٤) طبع بتحقيق د . محمد عمر بازمول، المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ .

(٥) وحدة النسق في السورة القرآنية، الحمداوي، مجلة معهد الإمام الشاطبي، جمادى الآخرة، ١٤٢٨ هـ، العدد الثالث، (ص : ١٩٥) .

(٦) مدخل إلى القرآن الكريم (ص : ١١٩) .

فهي جمهرته - وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدئت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها، ووطأت أولها لأخراها؟" (١).

ومثال على ذلك التناسب بين الفواتح والخواتم سورة القصص، فقد افتتحت بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤]، وختم السورة بما يناسب ذلك فقال: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجَعْنَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] (٢).

١٢ - الاعتناء بالسياق ومراعاته، شرط لمعرفة الترابط والتناسب الصحيح بين الآيات (٣).

قال الزركشي مبيناً الأمور المعينة على توضيح المعنى عند الإشكال، وذكر منها: " دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمال، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظرته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩]، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير" (٤). هذا في التناسب عامة، كذلك في التناسب بين الكلمات خاصة فإن " السياق الدقيق هو الذي يحدد اللفظ المناسب، المناسب بحروفه وجرسه وإيقاعه، والمناسب بمعناه المتفق مع معاني الألفاظ الأخرى مجتمعة، السياق هو الذي يحدد اللفظ المفرد أو الجمع، أو المعرفة أو النكرة، أو اللفظ المقارب له بمعناه، أو التعبير في موضع بلفظ، وفي موضع آخر بلفظ آخر، السياق القرآني المعجز هو الحكم في كل هذا" (٥).

١٣ - العناية بفواصل الآيات لمعرفة ترابط أجزاء الآيات وتناسبها.

والمقصود بالفاصلة: الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها (٦).

(١) النبأ العظيم (ص: ١٩٤).

(٢) الاستقامة، ابن تيمية (١٩/١)، روضة المحبين، ابن القيم (ص: ٣٦٦).

(٣) المناسبات في القرآن، القرني (ص: ٩٤).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٢/٢٠٠).

(٥) إعجاز القرآن البياني، الخالدي (ص: ١٣٢).

(٦) مباحث في علوم القرآن، القطان (ص: ١٤٥).

قال الزركشي: " اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض."

وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب " (١) .

ثم ذكر أنواع الفاصلة القرآنية فقال:

" الأول: التمكين وهو أن تمهّد قبلها تمهيداً، تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافذة ولا قلقة، متعلّقا معناها بمعنى الكلام كله تعلّقا تاماً، بحيث لو طُرحت اختل المعنى واضطرب الفهم، وهذا الباب يطلعك على سر عظيم من أسرار القرآن فاشدد يدك به.

ومن أمثلته قوله تعالى ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، فإن الكلام لو اقتصر فيه على قوله: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم ولم يبلغوا ما أرادوا، وأن ذلك أمر اتفاقي، فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة، ليعلم المؤمنون ويزيدهم يقيناً وإيماناً على أنه الغالب الممتنع، وأن حزبه كذلك، وأن تلك الريح التي هبت ليست اتفاقاً، بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته، وأنه ينوع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيماناً وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر، وتارة بالريح كيوم الأحزاب، وتارة بالرعب كبنى النضير، وطوراً ينصر عليهم كيوم أُحد، تعريفاً لهم أن الكثرة لا تغني شيئاً، وأن النصر من عنده كيوم حنين" (٢).

وبهذا ونحوه تتبين أهمية الفاصلة القرآنية في معرفة وجه المناسبة في الآية.

١٤ - مما يرشد إلى التناسب معرفة أنواع الروابط المعنوية بين الآيات والجمل، فقد يكون الرابط عاماً أو خاصاً، عقلياً، أو حسياً، أو خيالياً، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول والنظيرين والضدّين، والإجمال والتفصيل، وغير ذلك من أنواع العلاقات والروابط المعنوية (٣).

(١) البرهان في علوم القرآن (٧٨/١) .

(٢) المصدر السابق (٧٨/١) .

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٩٧٨/٢) .

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦] فإن أول السورة كان حديثاً عن المؤمنين، ثم أعقبه بحديث عن الكافرين فبينهما رابط المضادة (١).

ومثال لعلاقة الإجمال والتفصيل، ما ذكره الرازي عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٣٠ - ٣٣].

قال: "اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته، وإسكانه تعالى إياهم في الأرض، وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أراد تعالى أن يزيدهم بياناً وأن يفصل لهم ذلك المجمل، فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من ذلك معلوماً لهم، وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم، فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي" (٢).

ومعنى هذا أن العلاقة بين الآية (٣٠) والآيات الثلاث بعدها علاقة إجمال وتفصيل (٣).

١٥ - مما يرشد إلى التناسب الاهتمام بالروابط اللفظية بين الجمل والآيات، إذ أن هناك علامات وألفاظاً تُظهر التناسب والترابط بين الآيات، ومنها على سبيل الإجمال: أسماء الإشارة، والاستفهام، وحروف العطف، والضمائر. وعلى سبيل التفصيل مثل كلمة (قُلْ) و(إِنَّ) و(إِذْ) و(الظرف يوم) و(ذلك) و(كذلك) و(الذين) و(كَلَّا) وغيرها من الروابط اللفظية (٤).

(١) المصدر السابق (٩٧٨/٢).

(٢) تفسير الرازي (١٩١/٢).

(٣) الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش (ص: ٢٧٠).

(٤) انظر هذه الروابط وغيرها، مع الأمثلة في كتاب دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، عبد الحكيم القاسم

(١٥٩/١) (٤١٨/٢).

قال الفيروزآبادي^(١): "والجملة إذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول، جاءت مربوطة بما قبلها إما بواو العطف، وإما بكناية تعود من الثانية إلى الأولى، وإما بإشارة فيها إليها. وربما يُجمع بين اثنين منها، والثلاثة؛ للدلالة على مبالغة فيها. ففي السورة ﴿خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ﴾ [التوبة: ٦٣]، و﴿خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ﴾ [التوبة: ٨٩]، وفيها أيضاً ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ﴾ فجمع بين اثنين، وبعدهما ﴿فَاسْتَبَشِرُوا بِّبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، فجمع بين الثلاثة"^(٢).

(١) أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط، توفي سنة ٨١٦هـ. بغية الوعاة، السيوطي (٢٧٣/١).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٢٣٤/١).

المطلب الثاني

طرق معرفة المناسبة بين كلمات الآية الواحدة

سبق في المطلب السابق ذكر أهم الطرق الموصلة إلى استنباط المناسبات عموماً، بما في ذلك المناسبة بين كلمات الآية، ويضاف إلى تلك الطرق طرق أخرى في كيفية التعرف على المناسبات بين كلمات الآية خاصة .

ومن أهم هذه الطرق مايلي:

١- أن أهم طريقة للوصول إلى استنباط المناسبة بين كلمات الآية، هو النظر إلى هذه الكلمات من جميع وجوها، ويدخل في ذلك مايلي:

-النظر إلى الكلمات من حيث نوعها، وانقسامها إلى اسم وفعل وحرف، إذ لكل نوع دلالاته .

ومن الأمثلة على ذلك اختلاف الدلالة في الجملة إذا كان الخبر اسماً أو فعلاً، فإن الخبر إذا كان اسماً، أثبت المعنى للشيء من غير تجدد، أما إذا كان فعلاً فإنه يقتضي تجدد المعنى شيئاً بعد شيء (١).

قال الجرجاني (٢): "وإذا أردت أن تعتبره حيث لا يخفى أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّبُوهُمْ بِأَسِطُرٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: ١٨]، فإنَّ أحداً لا يشكُّ في امتناع الفعلِ هاهنا، وأن قولنا: كَلَّبُوهُمْ بِأَسِطُرٍ ذِرَاعِيهِ لا يؤدي الغرض . وليس ذلك إلاَّ لأنَّ الفعلَ يقتضي مُزاولَةً وتجدُّدَ الصِّفَةِ في الوقتِ . ويقتضي الاسمُ ثبوتَ الصِّفَةِ وحصولها من غير أن يكونَ هناك مُزاولَةً وتَرَجِيَةً فعل، ومعنى يحدثُ شيئاً فشيئاً" (٣).

ولا يقف النظر فقط عند موضوع الاسمية والفعلية، بل يتعداه إلى أمر مهم، وهو الحديث عن صيغ الأفعال، والفرق بينها في الدلالة المعنوية والزمنية، فالمضارع غير الماضي مثلاً، ويبحث في الفرق في التعبير بأحدهما عن الآخر، كالتعبير عن المستقبل بالماضي ونحوها (٤).

(١) دلائل الإعجاز، الجرجاني (ص : ١٧٤) .

(٢) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الشافعي من أئمة اللغة، توفي سنة ٤٧١هـ، وقيل ٤٧٤ هـ . سير أعلام النبلاء (٤٣٢/١٨) .

(٣) دلائل الإعجاز (ص : ١٧٥) .

(٤) البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات، الزيد (١٧٣/١) .

-النظر إلى الكلمات من حيث اختلاف بنيتها الصرفية، فإن دلالة الكلمات تختلف باختلاف أوزانها الصرفية .

مثال على ذلك في قوله تعالى ﴿ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ [يوسف: ٢٣]، فإن صيغة التفعيل تؤيد هذا الإحكام، وقد تدل على الكثرة، وإلى هذا ينبّه أبو السعود بقوله: قيل كانت سبعة، ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الإفعال، وقيل للمبالغة في الإيثاق و الإحكام^(١). ويوضح القرطبي بأن صيغة (غَلَّقَ) للتكثير، ولا يقال غلق الباب، وأغلق يقع للكثير والقليل^(٢). وللراغب ملمح آخر في أن الصيغة تدل على إغلاق الباب الواحد أكثر من مرة يقول: وأغلت الباب وغلقته على التكثير وذلك إذا أغلقت أبواباً كثيرة، أو أغلقت باباً واحداً مراراً، أو أحكمت إغلاق باب واحد وعلى هذا (وغلقت الأبواب)، ولكن السياق الذي نحن بصدده يبين تعدد الأبواب، بدليل صيغة الجمع (الأبواب) وهو المناسب للقصور المترفة، لذا فإن القول بدلالة الكثرة والإحكام مجتمعة، هي الأكثر مناسبة للموقف^(٣).

-النظر إلى الكلمات من حيث التقديم والتأخير، والتعريف والتكثير، والإفراد والجمع، ونحوها، فالقرآن دقيق في اختيار الألفاظ، وانتقاء الكلمات فإذا اختار اللفظ معرفة كان ذلك لسبب، وإذا انتقاه نكرة كان ذلك لغرض، كذلك إذا كان اللفظ مفرداً، كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كان مجموعاً، كان لحال يناسبه، وهكذا لكل مقام مقال في التعبير القرآني^(٤).

وستأتي الأمثلة على ذلك في الفصل الثالث.

-النظر إلى الكلمات من حيث اتساقها، وائتلافها في الحروف والحركات والسكنات والمدات والغنات، وغير ذلك من صفات الحروف. وستأتي الأمثلة على ذلك في الفصل الثالث.

٢ - للوصول إلى المناسبة بين كلمات الآية يُنظر فيما بينها من علاقة معنوية، كالزمان والمكان والفئة والسبب والنتيجة، وغيرها من أنواع العلاقات المذكورة في الفصل الثاني.

(١) إرشاد العقل السليم (٤/٢٦٥) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٠٥) .

(٣) جماليات النظم القرآني في قصة المراودة، العطوي (ص : ٢٥) .

(٤) صفاء الكلمة، لاشين (ص : ١٥)، دلائل الإعجاز، الجرجاني (ص : ٨١)، المغني، القاضي عبد الجبار

(١٦/١٩٩) .

ومن الأمثلة على ذلك: العلاقة السببية في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فالتوبة سبب للطهارة^(١)، وكذلك قوله ﴿ كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٌ ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]، لأن الإفك سبب الإثم^(٢).

٣- على الناظر في كتاب الله أن يبحث عن أسباب الاختلاف في التعبير القرآني في النصوص التي تعالج موضوعات متشابهة أو متقاربة، فعسى أن يهتدي إلى دلالات مقصودة زائدة على مجرد التنويع في أسلوب التعبير القرآني، وهذا الموضوع يبحثه العلماء في التشابه اللفظي بين الآيات، ومن الكتب المصنفة في ذلك كتاب (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل)^(٣) لابن الزبير الثقفي، وكتاب (كشف المعاني في المتشابه المثاني)^(٤) لابن جماعة^(٥)، وغيرهما.

٤- على الناظر في كتاب الله لاستخراج المناسبة أن يوازن بين صياغة مذكورة في القرآن، وصياغة أخرى مفترضة لم يأت عليها القرآن، فسيظهر له وجه الفرق بين التعبيرين.

مثال على ذلك في قوله تعالى ﴿ فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ ﴾ [يوسف: ١٧]، إذ أن كلمة افترسه لا تؤدّي نفس المعنى كما ذكر الخطابي^(٦). كذلك في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ﴾ [يوسف: ١١٠]، قال ابن تيمية: لم يقل يئس الرسل ولا ذكر ما استيأسوا منه، ثم ذكر توجيه ذلك^(٧).

وعليه فالموازنة بين صورتين وتعبيرين، يُعد أنجح الوسائل لفقه اللغة، وذوق التراكيب^(٨).

٥- على الناظر في كتاب الله لاستخراج المناسبة أن يسترعي نظره أي تغيير في المفرد والعبارة، ولو كان فيما يبدو له غير ذي بال، فإن وجد له تعليلاً فذاك، وإلا فسيأتي من يبسر الله له تعليله وتفسيره^(٩).

(١) بدائع الفوائد (ص : ١٠٩)، البرهان في علوم القرآن (٢٤٧/٣)، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٦٧٨).

(٢) بدائع الفوائد (ص : ١٠٩)، البرهان في علوم القرآن (٢٤٧/٣)، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٦٧٨).

(٣) طبع بتحقيق د. سعيد الفلاح .

(٤) طبع بتحقيق د. عبد الجواد خلف .

(٥) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنايني الحموي الشافعي ولد في حماة، وولي القضاء بمصر وتوفي بها سنة ٧٣٣هـ. الأعلام (٥/ ٢٩٧).

(٦) انظر مبحث (التناسب بين كلمتين في جملة واحدة) من هذا البحث .

(٧) دقائق التفسير (٣/ ٣٠٤).

(٨) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د . أبو موسى (ص : ٢٨٨).

(٩) على طريق التفسير البياني، السامرائي (١/ ١٣).

٦ - من العوامل المؤثرة في اختلاف وتنوع الخطاب القرآني السياق، وهو أمر مهم لمعرفة المناسبات، وقد سبق ذكره في الطرق العامة، وإنما كرّرت هنا لأهميته أيضاً في معرفة التناسب بين الكلمات، ولأنه يحتاج إلى مزيد من التفصيل .

فالسباق له أثر كبير وبارز في تنوع واختلاف الكلمات الواردة في الآيات، وذلك بسبب التغير الحاصل في الزمان والمكان، أو المخاطب أو المخاطب، أو أحداث الواقع، أو الغرض والهدف من الخطاب.

فمثلاً نوعية المخاطبين لها أثر في اختيار الألفاظ، فخطاب أهل مكة ليس كخطاب أهل المدينة، وخطاب المشركين ليس كخطاب اليهود والنصارى وهكذا. كذلك الهدف والغرض من الخطاب له أثر في تنوع الكلمات والعبارات، فكل هدف منها يجد صدها يتردد داخل النص في بنيته وتركيبه ومفرداته وأسلوبه وأصواته وبداءاته وفواصله^(١).

وهذا الهدف أو الغرض أخص من المقصد العام للسورة، إذ أنها أهداف صغرى تدخل ضمن الهدف العام، والمقصد الأصلي للسورة.

مثال على ذلك وهو أثر نوعية المخاطب في اختيار الألفاظ: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن حوالي ١٨٠ مرة^(٢). لكن طريقة ذكره مختلفة، فقد ذكر باسم العلم (محمد) أربع مرات، ومرة خامسة باسم أحمد فقط، وذكر بصفة (النبي) ٣٣ مرة، وبصفة (الرسول) حوالي ١٤٣ مرة، وقد ذكر الأنبياء قبله بأسمائهم، فموسى عليه السلام ذكر باسمه ١٣٦ مرة، وعيسى عليه السلام ٢٥ مرة، فما هو السر في عدم ذكر نبينا باسمه إلا خمس مرات؟.

إن ذكر الله سبحانه لنبيه في القرآن بوصف الرسالة والنبوة، له أثر ودور في إقناع المخاطبين المنكرين لرسالته، فأهل مكة لم يكونوا يعرفون سوى محمد الذي عاش بينهم، وهو من عامة الناس عندهم، بل أن غيره أعظم منه في نظرهم، ولهذا كانوا إذا حاوروه لم يدعوه إلا باسم محمد .

لذلك أكثر القرآن من وصفه بالرسالة لما في ذلك من معنى، وهو أنه صاحب رسالة، ومرسل إلى هؤلاء، وأن هؤلاء ملزمون بطاعته، إذ كونه رسولاً، والرسول يطاع، كل هذه المعاني متضمنة في وصف محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة، ولذلك ذكره القرآن في كل المواضع بذلك، حتى في المواضع الخمسة التي ذكر فيها باسمه، فقد قرن فيها بما يؤكد ويدل على رسالته ونبوته، قال تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

(١) الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش (ص : ٢٩١) .

(٢) الحجاج في القرآن، صولة (ص : ١٧٥) .

﴿ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [إل عمران: ٤٤]، وقوله ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقوله ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢] وقوله ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، و قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

وعليه فاستخدام لفظ (رسول) و (نبي)، عوضاً عن (محمد)، فيه تأكيد على اختياره للرسالة والنبوة، ثم إن هذا الاختيار يستدعي طاعته والتزام أمره، فالرسول يُطاع ويلتزم أمره كما هو معلوم (١).

إذن فكان اختيار الكلمة مناسباً لنوع المخاطبين، الذين كانوا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم رجلاً وبشراً عادياً، مثل غيره من الرجال.

٧- من الطرق المهمة في معرفة التناسب بين كلمات الآية تتبّع الكلمة في مواطن ذكرها في القرآن كله، والاستقراء الجيد في ذلك.

وقد سبق ذكر الاستقراء، لكن أعدته لأن ذكره ألصق بالمناسبة بين الكلمات. فالناظر في كتاب الله لا بد أن يسترعي انتباهه تكرار الكلمة، وعليه أن ينتبه لعدد مرات ورودها، ليقوده بعد ذلك إلى معرفة السر في تكرارها، وكثرة ورودها في القرآن عامة، أو في سورة أو في مقطع محدد.

وقد قام المتقدمون بجهود كبيرة في ذلك، وتبعهم المتأخرون أيضاً، ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتابات عائشة بنت عبدالرحمن في التفسير، القائمة على التتبع والاستقراء، للوصول إلى معرفة معاني الكلمات والسر في اختيارها.

وأيضاً كتابات فاضل السامرائي (٢) في التفسير، فله جهود كبيرة في ذلك. ومن الأمثلة على ذلك ورود اسم الرحمن في سورة مريم ١٦ مرة، ومعرفة ذلك ساعد في الوصول إلى وجوه المناسبة في كثير من آيات السورة (٣).

(١) المصدر السابق (ص: ١٧٤).

(٢) أستاذ اللغة والأدب في جامعة الشارقة، له عدة مؤلفات في الدراسات القرآنية منها: التعبير القرآني، بلاغة الكلمة، لمسات بيانية في نصوص التنزيل، وله برنامج عنوانه (لمسات بيانية) في قناة الشارقة، الإمارات.

(٣) انظر مبحث (المناسبة بين اسم وفعل) من هذا البحث.

الفصل الثاني

أقسام المناسبة بين الكلمات من حيث المعنى

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أقسام المناسبة من حيث
العلاقة بين الكلمات

المبحث الثاني: أقسام المناسبة من حيث
الظهور والخفاء

المبحث الأول

أقسام المناسبة من حيث العلاقة بين الكلمات

هناك تناسب بين الكلمات من حيث العلاقة بينها، فقد تكون الكلمتان ترتبطان ببعضهما من حيث الزمان أو المكان أو الفئة وغيرها . ولاشك أن بين كل كلمتين مجتمعتين في آية علاقة ما، هذه العلاقة تؤدي دوراً كبيراً في إظهار المعنى وتقويته كما سيأتي، وقد تكون هذه العلاقة واضحة، وقد تخفى، لكن مما لا شك فيه أنه لا بد من وجود ارتباط بين الكلمتين المذكورتين، ولكثرة هذه العلاقات سأكتفي بذكر أكثرها وروداً وماكان منها واضحاً و جلياً.

ومن أهم هذه العلاقات مايلي^(١):

- ١- علاقة تضاد.
- ٢- علاقة الخاص بالعام.
- ٣- علاقة أصل وفرع.
- ٤- علاقة مكانية.
- ٥- علاقة زمانية.
- ٦- علاقة فئة.
- ٧- علاقة سبب ونتيجة.
- ٨- علاقة تتابع وتدرج.
- ٩- علاقة اقتران وملازمة.
- ١٠- علاقة شيء بوظيفته.

(١) انظر البرهان في علوم القرآن (٣٥/١)، الإتيقان (٩٧٨/٢)، التناظر اللفظي، محمود سعادوي (ص: ٢)، البلاغة العربية، الميداني (١٤٢/١).

المطلب الأول

علاقة تضاد

وهي أن تكون إحدى الكلمتين عكس الأخرى في المعنى، فيجتمع في الآية الواحدة متضادان، كالبياض والسواد^(١) والإحياء والإماتة.

وهذه العلاقة بين الكلمات لها أثر كبير في توضيح المعنى في القرآن إذ " إنه بجمعه بين الأضداد يخلق صوراً ذهنية ونفسية متعاكسة، يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه، فيبين ما هو حسن منها ويفصله عن ضده " ^(٢)، إن القرآن استخدم هذه العلاقة استخداماً نفسياً في مجال الترغيب والزهد، وذلك ليزداد المؤمنون اطمئناناً، وأهل الكتاب خوفاً، وأيضاً لإطماع الكفار في الإيمان، وتحذير المؤمنين من العصيان، ولذلك ففي القرآن دوماً، البشارة مع النذارة والجنة والنار^(٣)، ولاشك أن إبراز المعنى من خلال ذكر المتضادات، له دور كبير في الإقناع والتأثير، إذ المعاني تزداد وضوحاً بذكر المتضادات، كما قال المتنبي:

وبضدها تتبين الأشياء^(٤).

ويزداد حُسن الضد إذا ذكر مع ضده، كما قال الشاعر:

فألوجه مثل الصبح مبيضٌ والفرع مثل الليل مسودٌ

ضِدَانٌ لَمَّا اسْتَجْمَعَا حَسَنًا وَالضُّدُّ يُظْهِرُ حَسَنَهُ الضُّدُّ^(٥)

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [يوسف: ٢٦ - ٢٧].

إذ "في ذكر الصدق والكذب في هذا الأسلوب التقابلي (صدقت، كذبت)، (من الصادقين، من الكاذبين)، ما يشير إلى العناية بأمر هاتين الصفتين في ذلك المقام، لأنه مقام وجود تهمة، ورد لها، فلزم أن أحد الخصمين كاذب، لذا دار الاحتمال بينهما، وتكرر الوصف معهما"^(٦). وكذلك في ذكر (القبل، والدبر) تصوير حي للقصة، وفيه قرينة على ترجيح قول أحد الطرفين .

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/٢٧٩) .

(٢) البلاغة والتطبيق، مطلوب وبصير (ص : ٤٤٣)

(٣) البلاغة العربية تأصيل وتجديد، الجويني (ص : ٦٩) .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي (ص : ١٠٦) .

(٥) في نسبة القصيدة التي منها البيتان اختلاف كبير وهما مما يعرف بالدعوية التي نسبت لدوقلة المنبجي،

انظر البلاغة فنونها وأفنانها -علم المعاني -، عباس (ص : ٣٠) .

(٦) جماليات النظم القرآني في قصة المرادة في سورة يوسف (ص : ٥٣) .

إن القرآن الكريم أكثر من ذكر هذا الأسلوب، ليوضح المحورين الأساسيين، وهما الإيمان والكفر، فالتقابل القرآني يفرز الدلالة الدينية في تغليب فريق الإيمان ونصرتة، والتحقير من شأن الكفار والتهوين من قدرهم، وهذه هي قضية العقيدة الإسلامية الكبرى^(١)، إن آيات القرآن تكاد تكون جميعها مشتملة على هذا الأسلوب، لأن الهدف الأعظم في القرآن هو التمييز بين الحق والباطل، ولذلك سمّاه الله الفرقان، كما قال ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، لأنه فرق بين الحق والباطل والمسلم والكافر والمؤمن والمنافق^(٢)، وكذلك سمّاه القول الفصل، كما قال ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: ١٣]، لأنه يفصل بين الحق والباطل والخطأ والصواب^(٣)، وستظهر هذه العلاقة فيما سيأتي من أمثلة.

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناصب بين أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، والذكر والأنثى في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّرَّاجِينَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٣ - ٤٥].

وجه المناسبة: ذكر الله سبحانه أنه خلق المتضادات، ليدل على كمال علمه وقدرته.

قال الخازن^(٤): " والغرض أنه تعالى هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد: الضحك والبكاء، والإحياء والإماتة، والذكر والأنثى، وهذا شيء لا يصل إليه فهم العقلاء ولا يعلمونه، وإنما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة، وفيه تنبيه على كمال قدرته، لأن النطفة شيء واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة، وطباعاً متباينة، وخلق منها الذكر والأنثى، وهذا من عجب صنعته وكمال قدرته"^(٥).

فسياق الآيات في " بيان قدرة الله سبحانه بأوسع معانيها، وأشمل مظاهرها، وأكمل سلطانها، فليس يقدر سبحانه على الإضحاك وحده أو الإماتة وحدها، وإنما هو قادر على الشيء وضده، فكان ذكر المقابل أو الضد لأمحيص عنه، لكمال القدرة وسعة السلطان، وإن هذا لا يتم إلا بالجمع بين الضدين"^(٦). وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ

(١) التقابل اللفظي في القرآن، مرزوك (ص: ٣٤).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٨٢)، البرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٠٦)، إشراقات قرآنية، العودة (١/ ٣٣٥).

(٤) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، ولد ببغداد وسكن دمشق وتوفي بحلب سنة ٥٧٤١هـ. الأعلام (٥/٥).

(٥) تفسير الخازن (٤/ ٢١٤).

(٦) أبحاث في بلاغة القرآن الكريم (ص: ١٢٦).

أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿ [النجم: ٤٣ - ٤٤]، أتى بضمير الفصل (هو) الدال على أن الوارد بعده خبر لاصفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره، أي للقصر (١).

وفي ذكره سبحانه للأنثى مقابل الذكر، ما يفيد أنه خالقهما، فلا يجوز التقليل من شأن الأنثى، وهذا يدل عليه أنه سبحانه قد ذكر قبل ذلك من ينتقص الأنثى، كما في قوله تعالى ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ [النجم: ٢١]، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴾ [النجم: ٢٧]، فذكرها هنا، ليردّ بذلك على من ينتقصها، ويقلل من شأنها .

وقد أشار إلى هذه المناسبة كل من الرازي والسمين الحلبي (٢) وابن عادل (٣) والبقاعي وابن عاشور (٤) وغيرهم (٥).

المثال الثاني: التناسب بين الأعمى والبصير، الظلمات والنور، الظل والحرور، الأحياء والأموات، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢].

وجه المناسبة: ذكر الله هذه المتضادات ليبين كمال حال المؤمن، ونقص حال الكافر، لأن الأشياء تتبين بأضدادها، وليدل ذلك أيضاً على اختلاف طبائع الأشياء في هذا الكون.

"وقدم تشبيه حال الكافر وكفره على تشبيه حال المؤمن وإيمانه ابتداءً، لأن الغرض الأهم من هذا التشبيه، هو تفضيح حال الكافر، ثم الانتقال إلى حسن حال ضده" (٦). قال السعدي: "فكما أنه من المتقرر عندكم، الذي لا يقبل الشك، أن هذه المذكورات لا تتساوى، فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى وأولى، فلا يستوي المؤمن والكافر، ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها، فبين هذه الأشياء من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله

(١) الكشاف (١/١٦١)، معاني النحو (١/٤٧) .

(٢) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف الشافعي، مفسر، عالم بالعربية، والقراءات، من أهل حلب، استقر واشتهر في القاهرة توفي سنة ٧٥٦ هـ . الأعلام (١/٢٧٤) .

(٣) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي صاحب التفسير الكبير (اللباب في علوم الكتاب) توفي سنة ٨٨٠ هـ . الأعلام (٥/٥٨) .

(٤) تفسير الرازي (٢٠/٢٩)، الدر المصون (١٠/١٠٥)، اللباب (١٨/٢١٠)، نظم الدرر (١٩/٧٤)، التحرير والتنوير (٢٧/١٤٢) .

(٥) البلاغة العربية، الميداني (١/٨٧) .

(٦) التحرير والتنوير (٢٢/٢٩٢) .

تعالى، فإذا علمت المراتب وميزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده، فليختر الحازم لنفسه ما هو أولى به وأحقها بالإيثار^(١).

إذن "فافتراق هذه المعاني التي تصوّر الإيمان والهدى، والكفر والضلال، تنبّه القارئ وتحثه بالإقبال على الحق، والتخلي عن الباطل والضلال"^(٢).

وفي الآيات أيضاً التنبيه على أن الفوارق من طبيعة هذا الكون إذ "أن الفوارق أصيلة في طبيعة الكون، وفي طبيعة النفس واختلاف طباع الناس واختلاف استقبالهم لدعوة الله أصيل كأصالة الفوارق الكونية في البصر والعمى، والظل والحرور، والظلمات والنور، والحياة والموت. ووراء ذلك كله تقدير الله وحكمته، وقدرته على ما يشاء، وإذن فالرسول ليس إلا نذيراً"^(٣).

وفي هذا تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أشار إلى هذه المناسبة كل من الرازي والسمين الحلبي وابن عادل والألوسي (ت ١٢٧٠)^(٤) وغيرهم^(٥).

المثال الثالث: التناسب بين البياض والسواد، والعلو والسفل.

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وجه المناسبة: إن الجهة واللون معروفان عند العرب، و من عاداتهم أن ينسبوا البياض والعلو إلى الأمور الحسنة، بينما ينسبون السواد والسفل إلى الأمور السيئة، قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢): "ولما كان البياض أفضل لون عندهم، كما قيل البياض أفضل والسواد أهول، والحمرة أجمل والصفرة أشكل، عبّر عن الفضل والكرم بالبياض"^(٦).

قال الزمخشري: "والبياض من النور، والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وُسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابتضت صحيفته وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل، وُسم بسواد اللون وكسوفه وكمدته، واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب"^(٧).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٧).

(٢) من بلاغة النظم القرآني، بسيوني (ص: ٢٧٣).

(٣) في ظلال القرآن (٥/٢٩٤٠).

(٤) تفسير الرازي (١٦/٢٦)، الدر المصون (٩/٢٢٣)، اللباب (١٦/١٢٣)، روح المعاني (٢٢/١٨٧).

(٥) من بلاغة النظم، بسيوني (ص: ٢٧٣).

(٦) المفردات للراغب الأصفهاني (ص: ٦٦).

(٧) الكشاف (١/٦٠٧).

كذلك أيضاً كلمة (السفل)، وكلمة (العلو) من الكلمات التي كرسّت معانيها في كلام العرب؛ للتعبير عن الحقارة أو الرفعة، فالعلو في القرآن هو دائماً من صفات الله وأنصاره، وهو من صفات الجنة ومن صفات مكان الأبرار منها، أما السفل فهو من نصيب المشركين، وهو قرار المنافقين في النار، وبه توصف حال المشركين^(١).

إن الأهمية الحجاجية في ذكر مواد اللون والاتجاه من حيث هي مواضع قول، للتعبير عن البهجة والغم، والإيمان والكفر، والغلبة والهزيمة، والكرامة والحقارة، وغير ذلك، لا تكمن في مجرد أنها تؤكد هذه المعاني وتكسوها فخامة وأبهة، وإنما تكمن في جعل هذه المعاني مما لا يجادل فيه متلقو القرآن من العرب خاصة، فهم وإن جادلوا في كون محمد ﷺ على حق، وفي كون دين الإسلام هو الدين الحق، فإنهم لا يجادلون في كون البياض والعلو أموراً حسنة، وفي كون السواد والسفل أموراً مستقبحة، وفي كون الأبيض أفضل من الأسود، والعلو أفضل من السفل، لا سيما وهذه المواضع داخلية لديهم في نظام قيمي عام ثابت الأركان لا يتزعزع^(٢)، وباختصار إدخال صفات المؤمنين والكفار تحت مواد اللون والجهة (البياض - السواد - العلو - السفل) مما يزيد في الحجة والافتناع لدى المتلقين.

وقد أشار إلى هذه المناسبة كل من الرازي والبيضاوي (ت ٦٨٥) وأبي حيان (ت ٧٤٥) والفيروز ابادي و ابن عادل وابن عاشور والشعراوي (ت ١٤١٩)^(٣).

(١) الحجاج في القرآن (ص: ٥٤٠).

(٢) الحجاج في القرآن (ص: ٥٤٢).

(٣) تفسير الرازي (١٨٥/٨)، تفسير البيضاوي (٢٦٦/٦)، البحر المحيط (٢٤/٣)، بصائر ذوي التمييز (١٣٣/٢ و ١٥٨) (٢/٣ ٧٢)، اللباب (٤٥٣/٥)، التحرير والتلوين (٢٠٥/١٠)، تفسير الشعراوي (٥١٣١/٨) (١٠٠٤٠/١٦).

المطلب الثاني

علاقة الخاص بالعام

وهي أن يذكر العام، ويعطف عليه بعض أفرادها، مما حق العموم أن يتناوله (١)، فيؤتى به معطوفاً عليه بالواو، للتنبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنس العام، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات (٢)، فالفائدة من ذلك التنويه بشأن الخاص، والتنبيه على فضله، كأنما هو شيء آخر، مثاله في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فلقد ذكرت الصلاة الوسطى مرتين، فهي داخلة في قوله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ ثم ذكرت مرة أخرى تنويهاً وتعظيماً، كأنما هي شيء آخر (٣).

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين جبريل والملائكة في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤].

وجه المناسبة: في هذه الآية يكون جبريل كالمذكور أربع مرات؛ فإنه اندرج تحت عموم ملائكته، وتحت عموم رسله، وعموم حزيه؛ لأن عداوة الله راجعة إلى عداوة حزيه، ثم خصوصه بالتخصيص عليه (٤)، وفي ذلك ما يدل على عظيم شأنه وفضله (٥). قال ابن جرير الطبري: "أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل؛ إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم ثم اختلفوا في السبب" (١).

وقد حصر ابن حجر أسباب عداوة اليهود لجبريل في ثلاثة: "أحدها قول الجمهور: إن عداوتهم لكونه ينزل بالعذاب.

ثانيها: كونه حال دون قتل بختنصر (٧) الذي خرب مسجدهم، وسفك دماءهم وسبى

ذرائعهم.

(١) أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي (١/ ٢٦٥).

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٢٨٦).

(٣) البلاغة فنونها وأفانها - علم المعاني - عباس، (ص: ٥٠٣)، البلاغة العربية، الميداني (٢/ ٦٩).

(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٤٦٦).

(٥) الكشاف (١/ ٣٠٣).

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٢٨٣).

(٧) ملك من ملوك بابل في القرن السادس قبل الميلاد، انظر قصته في البداية والنهاية (٢/ ٣٦١).

ثالثها: كونه عدل بالنبوة عن بني إسرائيل إلى بني إسماعيل^(١).

ولا تتنافى بين هذه الأقوال الثلاثة، إذ مرجعها في الأخير، الطعن في تبليغ جبريل ورسالته، وخصوصاً إلى النبي ﷺ؛ ولذلك كان في الآية "التتويه بجبريل منطوقاً وبالرسالة المحمدية مفهوماً، وذلك لوجود علاقة حميمة بين الرسالة المحمدية وبين جبريل، وهي العلاقة التي بسببها ناصب اليهود جبريل العدا، وهو معنى صريح ورد قبل هذه الآية مباشرة بقوله: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧] " (٢) .

فنصّ الله على جبريل باسمه؛ لئلا يقول اليهود إنما قال الله: من كان عدواً لله وملائكته ورسله ولسنا لهم بأعداء؛ لأن الملائكة اسم عام يحتمل خاصاً، وجبريل غير داخل فيه، فنصّ الله على ذلك، ليقطع تلبيسهم على أهل الضعف، ويحسم تمويههم أمورهم على المنافقين^(٣).

وقد أشار إلى هذه المناسبة كل من الرازي والقرطبي والبيضاوي وابن جزي^(٤) والخازن وأبي السعود (ت ٩٨٢) والشنقيطي، وابن عاشور^(٥).

المثال الثاني: التناسب بين النبيين، و محمد وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ الآية. [الأحزاب: ٧].

وجه المناسبة: ذكر هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من باب عطف الخاص على العام، وقد خصّوا بالذكر لأمرين:

الأول: إنما ذكروا " للإيدان بمزيد مزيتهم وفقههم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع، وأساطين أولي العزم من الرسل" (٦) .

الثاني: أن لكل واحد منهم مزية خاصة، فنبينا ﷺ لأنه رسول المخاطبين، وأما موسى وعيسى عليهما السلام فكان لهما في زمان نبينا قوم، فذكرهما احتجاجاً على قومهما، وإبراهيم عليه السلام كان العرب يقولون بفضلته وكانوا يتبعونه في بعض

(١) العجائب في بيان الأسباب (٢٩٨/١).

(٢) الحجاج في القرآن (ص: ٣٣٥) .

(٣) تفسير الطبري (٣٠٣/٢) .

(٤) أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، فقيه، من علماء اللغة والأصول، من أهل غرناطة، توفي سنة ٧٤١ هـ . الأعلام (٣٢٥/٥) .

(٥) تفسير الرازي (٢١٤/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/٢)، تفسير البيضاوي (٦٦/٤)، التسهيل (٦٢٧/٢)،

تفسير الخازن (٧٢/١)، إرشاد العقل السليم (١٣٤/١)، أضواء البيان (١٥/٤)، التحرير والتنوير (٨/٢٦).

(٦) إرشاد العقل السليم (٤٠٢/٤).

الشعائر، ونوح عليه السلام لأنه كان أصلاً ثانياً للناس، حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان^(١).

وقد يكون لأن نوحاً عليه السلام كان أول الرسل لحديث: " فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض... " رواه مسلم^(٢).

وقد أشار إلى هذه المناسبة كل من ابن كثير وأبي السعود والألوسي والشنقيطي وابن عاشور^(٣).

المثال الثالث: التناسب بين (الفاكهة)، (والنخل والرمان) في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرْمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

وجه المناسبة: ذكر الخاص وهو النخل والرمان بعد العام وهو الفاكهة.

قال ابن عاشور: " وعطف (ونخل ورمان) على (فاكهة) من باب عطف الجزئي على الكلي، تنويهاً ببعض أفراد الجنتين " ^(٤).

قال الزركشي: " وغلط بعضهم من عد هذه الآية من هذا النوع، من جهة أن (فاكهة) نكرة في سياق الإثبات فلا عموم لها، وهو غلط لأمرين:

أحدهما: أنها في سياق الإثبات، وهو مقتضى العموم، كما ذكره القاضي أبو الطيب الطبري^(٥).

والثاني: أنه ليس المراد بالخاص والعام ها هنا المصطلح عليه في الأصول، بل كل ما كان الأول فيه شاملاً للثاني. وهذا الجواب أحسن من الأول، لعمومه بالنسبة إلى كل مجموع يشتمل على متعدد^(٦).

فإذا تبين أنهما من باب عطف الخاص على العام، فإنما أفردا بالذكر " اختصاصاً لهما وبياناً لفضلهما، كأنهما لِمَا لهما من المزية جنسان آخرا " ^(٧). هذا بالإضافة إلى أن هناك فائدة أخرى في ذكر هذين النوعين، وهي الإشباع في المعنى^(٨). وقد أشار إلى

(١) تفسير الرازي (١٩٨/٢٥).

(٢) صحيح مسلم رقم (٣٢٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٨٢/٦)، إرشاد العقل السليم (٩١/٧)، روح المعاني (١٥٤/٢١)، أضواء البيان (١٥/٤)، التحرير والتنوير (٢٧٥/٢١).

(٤) التحرير والتنوير (٢٧٣/٢٧).

(٥) طاهر بن عبدالله بن طاهر، قاضٍ من أعيان الشافعية، له شرح على مختصر المزني، استوطن بغداد ومات بها سنة ٤٥٠هـ. سير أعلام النبلاء (٦٦٨/١٧).

(٦) البرهان في علوم القرآن (٤٦٩/٢).

(٧) الكشاف (١٨/٦).

(٨) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ص: ٢٤٠).

هذه المناسبة كل من الطبري والقرطبي والبيضاوي، وابن جُزي وابن كثير وأبي السعود^(١) وغيرهم^(٢).

(١) تفسير الطبري (٢٦٠/٢٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/٢٠) (٢٦٢/٢)، تفسير البيضاوي (٣٨٠/١٨)،
التسهيل (٣٩٧/٢)، تفسير ابن كثير (٥٠٧/٧)، إرشاد العقل السليم (١٨٦/٨) .
(٢) أبحاث في بلاغة القرآن، كواز (ص : ١٨) .

المطلب الثالث

علاقة أصل وفرع

وهي أن تكون إحدى الكلمتين أصلاً والأخرى فرعاً لها، كالأب مع الابن .
وفائدة ذلك الإشارة إلى قدرة الله سبحانه على خلق الأطوار المختلفة، والتبنيه على طبيعة النشأة الإنسانية، وأنها معتمدة على التوالد، كذلك الإشارة إلى تسلسل الفضائل في الأصول، والفروع واختصاص هذه الفروع المذكورة عن غيرها، بمزايا معينة كما سيتضح في الأمثلة.

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التماسك بين داود وسليمان عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾ [النمل: ١٥ - ١٦].

وجه المناسبة: قرن الله تعالى في كتابه بين داود وسليمان عليهما السلام في ثمانية مواضع، ووجه اقتران سليمان بداود عليهما السلام أنه من ذريته، وفهمه الله الأحكام، ولأنه ورثه في الحكم، فسليمان عليه السلام من فضائل داود عليه السلام، ومن مئة الله عليه حيث وهبه له، ومن أكبر نعم الله على عبده أن يهب له ولداً صالحاً، فإن كان عالماً فإنه نور على نور^(١). قال ابن القيم في قوله (وورث سليمان داود): "فهو ميراث العلم والنبوة لا غير، وهذا باتفاق أهل العلم من المفسرين وغيرهم، وهذا لأن داود عليه السلام كان له أولاد أكثر سوى سليمان، فلو كان الموروث هو المال لم يكن سليمان مختصاً به، وأيضاً فإن كلام الله يسان عن الإخبار بمثل هذا، فإنه بمنزلة أن يقال (مات فلان وورثه ابنه)، ومن المعلوم أن كل أحد يرثه ابنه وليس في الإخبار بمثل هذا فائدة " وإنما سيق هذا لبيان فضل سليمان، وما خصّه الله به من كرامته وميراثه، وما كان لأبيه من أعلى المواهب، وهو العلم والنبوة"^(٢).

وكثيراً ما يقرن القرآن بين أسماء الأصول والفروع لعلاقة القرابة وغيرها، فقد قرن الله تعالى بين إبراهيم عليه السلام وأبيه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُكُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾ [الأنعام: ٧٤].

وقرن بين زكريا وابنه يحيى عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٧].

(١) عادات القرآن الأسلوبية (٣٧٨/٢).

(٢) بدائع التفسير (٢٧٩/٢).

وقرن بين نوح عليه السلام وابنه في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢].
وقد يقرن الله بين الأسماء لصلة قرابة أخرى غير الأبوة والبنوة، كقرابة الزوجية، وقد ورد ذلك في آيات عدة منها: ﴿ وَقُنَّا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥].
وقوله: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ ﴾ الآية. [التحريم: ١٠].
وقد أشار إلى هذه المناسبة كل من الرازي والبيضاوي والخازن وابن كثير والسعدي والشنقيطي وابن عاشور^(١).

المثال الثاني: التناسب بين عيسى ومريم عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧].
وجه المناسبة:

قرن الله في هذه الآية بين أسماء عدة من الأنبياء، ولم يقرن أحد بأصله إلا عيسى بن مريم؛ "فإن الله جل ثناؤه أنبأ عباده عن نسبة عيسى وأنه ابن أمه مريم، ونفى بذلك عنه ما أضاف إليه الملحدون في الله جل ثناؤه من النصارى، من إضافتهم بنوته إلى الله عز وجل، وما قذفت أمه به المفترية عليها من اليهود"^(٢).
وقد تكرر اسم عيسى عليه السلام في القرآن خمساً وعشرين^(٣) مرة.
منها ست عشرة مرة نُسب إلى أمه، وفي ذلك الرد الواضح على النصارى واليهود.
قال الزركشي: "لم يذكر الله تعالى امرأة في القرآن، وسماها باسمها إلا مريم بنت عمران، فانه ذكر اسمها في نحو ثلاثين موضعاً" ثم ذكر الحكمة في ذلك فقال: "فلما قالت النصارى في مريم وابنها ما قالت، صرح الله تعالى باسمها، ولم يكن عنها تأكيداً لأمر العبودية التي هي صفة لها، وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر أبنائها، ومع هذا فان عيسى لا أب له، واعتقاد هذا واجب، فاذا تكرر ذكره منسوباً إلى الأم، استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه، وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله"^(٤).

(١) تفسير الرازي (١١٩/٩) (١٨٦/٢٤)، تفسير البيضاوي (٣٥٩/١٤)، تفسير الخازن (٤٠٣/٣)، تفسير ابن كثير (١٨١/٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٠٢)، أضواء البيان (٢٦٦/٤)، التحرير والتنوير (٢٣٥/١٩).

(٢) تفسير الطبري (٤٠٩/٥).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (ص: ٦٠٧).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/١٦٣).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً بعض المعاصرين^(١).

المثال الثالث: التناسب بين (والد وما ولد) في قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾

[البلد: ٣].

وجه المناسبة:

أقسم الله تعالى في هذه الآية بالوالد وما ولد، وللعلماء في ذلك أقوال منها: أن الوالد آدم عليه السلام كما رجّحه ابن كثير بقوله: "وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي؛ لأنه تعالى لما أقسم بأُم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالسكن وهو آدم أبو البشر وولده"^(٢).

وذهب ابن عاشور إلى أن الوالد هو إبراهيم عليه السلام والولد إسماعيل عليه السلام؛ لأن ذلك يناسب القسم بالبلد التي بنى فيها البيت، وأسكن ولده إسماعيل عليه السلام فيها ولأنه والد محمد ﷺ^(٣).

وعلى كلا القولين فإن هناك علاقة بين أصل وفرع وفي "هذا إشارة إلى طبيعة النشأة الإنسانية، واعتمادها على التوالد، تمهيداً للحديث عن حقيقة الإنسان التي هي مادة السورة الأساسية"^(٤).

ولا شك أن في طبيعة خلق الإنسان وانتقاله من طور إلى طور حكمة بالغة.

قال محمد عبده: "ثم أقسم بوالد وما ولد، ليلفت نظرنا إلى رفعة قدر هذا الطور من أطوار الوجود، وهو طور التوالد، وإلى ما فيه من بالغ الحكمة، وإتقان الصنع، وإلى ما يعانیه الوالد، والمولود، في إبداء النشء، وتكميل الناشئ، وإبلاغه حده من النمو المقدر له"^(٥).

وسر الإقسام بالوالد والولد، على القول بأن ذلك القسم مقصود به الإنسان، دون سائر المخلوقات؛ لأنه أعجب ما خلق الله تعالى على وجه الأرض، ولما في الإنسان من التبيان، والنطق والتدبير؛ ولأن فيهم الأنبياء عليهم السلام والدعاة إلى الله تعالى^(٦).

(١) انظر كيف نفهم القرآن، الحسيني الشيرازي (ص: ٣٠)، ومقال بعنوان (لماذا اقترن اسم عيسى عليه السلام

بنسبه لأمه) د. محمد الجبالي على الرابط: <http://www.tafsir.net/vb/tafsir31618>

(٢) تفسير ابن كثير (٤٠٣/٨).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/٣٤٩).

(٤) في ظلال القرآن (٦/٣٩٠٩).

(٥) الأعمال الكاملة (٥/٣٩٤).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٢/٢٩١).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الزمخشري، والبقاعي، وأبي السعود، والألوسي، والشنقيطي، وابن عثيمين (ت ١٤٢١) ^(١)، وغيرهم ^(٢).

(١) الكشف (٣٧٦/٦)، نظم الدرر (٤٨/٢٢)، إرشاد العقل السليم (١٦٠/٩)، روح المعاني (١٣٥/٣٠)، البيان (٢٢٦/٩)، تفسير جزء عم (ص: ٢١٦).

(٢) إشراقات قرآنية، العودة (٤٣٢/١).

المطلب الرابع

علاقة مكانية

وهي أن يكون الرابط بين الكلمتين هو المكان، وفائدة ذلك التتبيه إلى شرف ذلك المكان، و قد يكون الغرض من ذكره هو الإحاطة والشمول.
أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين السموات والأرض في قوله تعالى ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤] .
وجه المناسبة: السموات والأرض من مخلوقات الله العظيمة، وقد قرن الله سبحانه بينهما في كتابه في أكثر من مئة وثمانين موضعاً^(١).

"ولا شك أن إكثار ذكر الله تعالى من ذكر السموات والأرض، يدل على عظم شأنهما، وعلى أن له سبحانه وتعالى فيهما أسراراً عظيمة، وحكماً بالغة، لا يصل إليها أفهام الخلق ولا عقولهم"^(٢) .

مما يدل على عظمتها أيضاً أنهما تكررا مرتين في أعظم آية من كتاب الله، وهي آية الكرسي^(٣).

فهذان المكانان بحد ذاتهما آيتان، وهما محلان أيضاً لكثير من آيات الله في الكون، ففي السماء: الكواكب والشمس والقمر، وفي الأرض: الجبال والبحار والأشجار والمعادن، وهذه كلها محيطة بالإنسان أنى ولّى وجهه رآها أمامه ؛ لذلك أكثر الله سبحانه وتعالى من ذكرهما، وحث على التفكير فيهما ؛ لما فيهما من دلائل واضحة على كمال خلقه، وبديع صنعه سبحانه.

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من ابن كثير و الألويسي و القاسمي (ت ١٣٣٢) وابن عاشور والشعراوي^(٤) وغيرهم^(٥).

المثال الثاني: التناسب بين التين والزيتون في قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾

[التين: ١].

(١) عادات القرآن الأسلوبية، الثنيان (٤١٤/٢).

(٢) تفسير الرازي (١١٦/٢)، وانظر أيضاً (١٧٧/١٢) .

(٣) عادات القرآن الأسلوبية، الثنيان (٤٢٠/٢) .

(٤) تفسير ابن كثير (١٣٨/٦)، روح المعاني (٢٤٣/٧)، محاسن التأويل (٢٢٥٨/٦)، التحرير والتنوير

(١١٧/١٩)، تفسير الشعراوي (١٠٥٥٧/١٧) .

(٥) انظر دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، د . عبد الرحمن السلمي، مجلة الشاطبي، العدد العاشر، ١٤٣١هـ،

(ص: ٢٣٤) .

وجه المناسبة: قرن الله تعالى بين هذين النوعين من الفاكهة، وقد ذهب كثير من العلماء يعدّد خصائص هذين النوعين، وما تميّزا به على سائر أنواع الفاكهة. وذهب آخرون إلى أن هناك بالإضافة إلى خصائص هذين النوعين فائدة أخرى، وهي الإشارة إلى المكان الذي ينبت فيه هذان النوعان وهو بيت المقدس، فأقسم الله سبحانه في هذه السورة بالأماكن الثلاثة التي أنزل فيها كتبه الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن، وظهر منها موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، فالتين والزيتون: الأرض التي بُعث فيها المسيح، وكثيراً ما تسمى الأرض بما ينبت فيها فيقال: فلان خرج إلى الكرم وإلى الزيتون وإلى الرمان ونحو ذلك، ويُراد الأرض التي فيها ذلك، فإن الأرض تتناول ذلك فعبر عنها ببعضها (١).

ورجّح ذلك ابن القيم بقوله: " فالتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين المعروفتين ومنبتهما، وهو أرض بيته المقدس، فإنها أكثر البقاع زيتوناً وتيناً" (٢)، فالرابط بين هذين الصنفين أنهما ينبتان في الأرض المقدسة وتشتهر بهما، ولذلك جاءت الإشارة إلى هذا المكان بهذين الصنفين المعروفين .

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الطبري والزمخشري والرازي والبيضاوي وابن كثير والباقعي والقاسمي والسعدي (٣) وغيرهم (٤).

المثال الثالث: التناسب بين النخيل والأعناب في قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ ﴾ [الإسراء: ٩١].

وجه المناسبة: ورد في القرآن ذكر الجنة المكونة من هذين الصنفين من الفاكهة في خمسة مواضع، كما ورد ذكر هذين الصنفين من الفاكهة مقرونين في خمسة مواضع أخرى، لكن بدون ذكر (الجنة) (٥).

وقد ذكر العلماء أن هذين الصنفين لهما مزايا خاصة، ولهذا السبب يجمعان عند ذكر الجنة.

قال ابن القيم: " حَصَّ هذين النوعين من الثمار بالذكر ؛ لأنهما أشرف أنواع الثمار، وأكثرهما نفعاً، فإن منهما القوت، والغذاء، والدواء، والشراب، والفاكهة، والحلو،

(١) منهاج السنة (٢٣٠/٧) .

(٢) بدائع التفسير (٣٣٤/٣) .

(٣) تفسير الطبري (٥٠٤/٢٤) الكشاف (٤٠١/١)، تفسير الرازي (٩/٣٢)، تفسير البيضاوي (٣٣٨/٢٠)، تفسير ابن كثير (٤٣٤/٨)، نظم الدرر (١٣٥/٢٢)، محاسن التأويل (٢٥٨/١٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢٩) .

(٤) إشراقات قرآنية، العودة (٨٦/٢)، التعبير القرآني، السامرائي (ص: ٣٤٦) .

(٥) المعجم المفهرس (ص: ٧٨٥) .

والحامض، ويؤكلان رطباً، ويابساً، ومنافعها كثيرة جداً^(١).
ويظهر أن ذكر هذين الصنفين يرجع إلى ما كان معروفاً عند أهل مكة عن جنات الطائف ذات النخيل والأعناب، قال ياقوت الحموي^(٢): " والطائف ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه وبها مياه جارية وأودية"^(٣)، "وقد استغل أثرياء قريش أموالهم في الطائف، فاشترتوا فيها الأرضين وغرسوها واستثمروها، واشتروا بعض المياه، وبنوا لهم منازل في الطائف، ليتخذوها مساكن لهم في الصيف ... وحاولوا جهد إمكانهم ربط الطائف بمكة في كل شيء"^(٤).

ويدل على ذلك سبب نزول الآيات إذ نزلت في ملا من قريش اجتمعوا لمناظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاجته فكلموه بما أخبر الله عنهم في هذه الآيات^(٥)، وبناءً على هذا فإن متلقي القرآن الأولين، كلما ذكر لهم القرآن عبارة الجنة ذات النخيل والأعناب، على سبيل الحقيقة، أو التمثيل، تبادرت إلى أذهانهم جنات الطائف المذكورة^(٦).

ولهذا ذهب ابن عاشور إلى أن الجنتين المذكورتين في سورة الكهف كانتا بالطائف قال: " ولم يذكر المفسرون أين كانت الجنتان، ولعلمنا كانتا بالطائف ؛ فإن فيه جنات أهل مكة"^(٧).

إذن فقد خاطب الله أهل مكة، بما كانوا يعرفونه من جنات في الطائف، مشتملة على هذين الصنفين المشهورين من الفاكهة.

(١) بدائع التفسير (٢٠١/١) .

(٢) أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، مؤرخ، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب، توفي سنة ٦٢٦ هـ . الأعلام (١٣١/٨) .

(٣) معجم البلدان (٩/٤) .

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٥٣/٤) .

(٥) تفسير الطبري (٨٧/١٥) .

(٦) الحجاج في القرآن، صولة (ص: ٥٠٦) .

(٧) التحرير والتنوير (٣١٦/١٥) .

المطلب الخامس

علاقة زمانية

وهي أن يكون الرابط بين الكلمتين هو الزمان، والغرض من ذلك التنبيه إلى شرف ذلك الزمان بعينه، أو المقصود الإحاطة الزمانية، أو أن يكون الغرض أعم من ذلك، وهو الإشارة إلى قيمة الزمن وأنه نعمة عظيمة على المسلم أن يغتتمها في الخير. أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين الليل والنهار في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ تَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [غافر: ٦١].

وجه المناسبة: قرن الله تعالى بين الليل والنهار في أكثر من خمسين موضعاً في القرآن^(١). وهذا يدل على قيمة الزمن، وأنه نعمة عظيمة، ولذلك أقسم الله به في مختلف أطواره، فأقسم سبحانه بالليل والنهار، والفجر والصبح، والشفق والضحى والعصر^(٢). فكثر ذكر الله للزمن والقسم به؛ لما فيه من أعاجيب، لأنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر، ولأن العمر لا يقوّم بشيء نفاسة وغلاء، فلو ضيّعت ألف سنة فيما لا يعني ثم تبت، وثبتت لك السعادة في اللحمة الأخيرة من العمر، بقيت في الجنة أبد الآباد، فعلمت أن أشرف الأشياء حياتك في تلك اللحمة، فكان الزمان من جملة أصول النعم، فلذلك أقسم الله به، ونبّه سبحانه على أن الليل والنهار فرصة يضيعها الإنسان، وأن الزمان أشرف من المكان فأقسم به، لكون الزمان نعمة خالصة لا عيب فيها^(٣).

فاقتتران هذين الوقتين يدل على أنهما آيتان، و نعمتان من نعم الله، ينبغي القيام بحق الله فيهما؛ لأنهما يشكّلان عمر الإنسان، ولذلك قال عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١): "إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما"^(٤). وقد جعل الله كلاً منهما يخلف الآخر، فما فات في أحدهما من عمل يعمل فيه الله، أدرك قضاؤه في الآخر^(٥).

ولابن عاشور لفظة جميلة في ذكر المناسبة بين الليل والنهار في سورة الليل إذ

(١) المعجم المفهرس، عبد الباقي (ص: ٨١٣).

(٢) قيمة الزمن عند العلماء (ص: ٢٠).

(٣) تفسير الرازي (٣٢/٨٤).

(٤) مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا (ص: ٢٩).

(٥) تفسير الطبري (٢٩٠/١٩).

يقول: " واختير القسم بالليل والنهار لمناسبته للمقام ؛ لأن غرض السورة بيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة"^(١).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً الرازي والقاسمي^(٢) وغيرهما^(٣).

المثال الثاني: التناوب بين المساء والصبح، والعشي والظهر في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم ١٧، ١٨)

وجه المناسبة: جمع الله بين هذه الأوقات المختلفة في الليل والنهار ؛ لأنها أوقات العبادة . قال الرازي "ورد في بيان أوقات الصلاة بإطباق المفسرين"^(٤).

فذكر الله سبحانه في هذه الأوقات المختلفة، له مزية وفضل، سواء كانت تلك العبادات واجبة أو مستحبة .

قال السعدي: " فهذه الأوقات الخمسة، أوقات الصلوات الخمس، أمر الله عباده بالتسبيح فيها والحمد ويدخل في ذلك الواجب منه، كالمشتملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب كأذكار الصباح والمساء، وأدبار الصلوات وما يقترن بها من النوافل، لأن هذه الأوقات التي اختارها الله لأوقات المفروضات هي أفضل من غيرها " ^(٥).

وفي اختلاف الأوقات وتنوعها دليل على أن المسلم ينبغي أن يكون ذاكرةً لله متصلاً به، طوال ليله ونهاره .

وقد أشار إلى هذه المناسبة كل من الطبري والقرطبي والبيضاوي والباقعي وأبي السعود والشنقيطي وابن عاشور^(٦).

(١) التحرير والتنوير (٣٧٨/٣٠) .

(٢) تفسير الرازي (١٧٧/١٢)، محاسن التأويل (٢٢٥٨/٦) .

(٣) انظر إشراقات قرآنية، للعودة (٢٧/٢) (٢٤٣/٢)، عادات القرآن الأسلوبية، الثنيان (٤٠٧/٢)، البديع في ضوء أساليب القرآن، لاشين (ص : ٣٥)، من بلاغة النظم القرآني، بسيوني (ص : ٣٣٢)، قضايا اللغة في كتب التفسير، الجطلاوي (ص : ٤٨٠) .

(٤) تفسير الرازي (١٣٨ / ٣١) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن (ص : ٧٤٩) .

(٦) تفسير الطبري (٤٧٣/١٨)، الجامع لأحكام القرآن (٤٠٨/١٦)، تفسير البيضاوي (١١٦/١٥)، نظم الدرر (٦٠/١٥)، إرشاد العقل السليم (٥٤/٧)، أضواء البيان (٤٤٥/١)، التحرير والتنوير (٦٥/٢١) .

المثال الثالث: التناسب بين الشفع والوتر .

في قوله تعالى ﴿ وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ ﴾ [الفجر: ٣].

وجه المناسبة: أقسم الله تعالى بهذين اليومين العظيمين يوم عرفة ويوم النحر، على قول أكثر المفسرين^(١). وقد ورد في ذلك حديث عن النبي ﷺ وفيه " أن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر " ^(٢) وهذا التفسير موافق لسياق الآيات إذ أقسم الله تعالى بـ ﴿ الفجر وليال عشر وبالنيل إذا يسر ﴾ وكلها آيات زمنية^(٣).

والقسم بهذه الأزمان من حيث أنها دلائل بديع صنع الله، وسعة قدرته فيما أوجد من نظام يظاهر بعضه بعضاً . وذكر الشفع والوتر تخصيص لهذين اليومين للاهتمام بهما بعد شمول الليالي العشر لهما^(٤).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الطبري والرازي وابن كثير والسيوطي^(٥) وغيرهم^(٦).

(١) بدائع التفسير (٣ / ٢٩٧) .

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٤٥١١) وقال محققو المسند " هذا إسناد لا بأس برجاله وأبو الزبير لم يصرح بسماعه من جابر " .

(٣) تنمة أضواء البيان، المختار الشنقيطي (٩ / ٢١٠) .

(٤) التحرير والتنوير (٣٠ / ٣١٢، ٣١٤) .

(٥) تفسير الطبري (٢٤ / ٣٤٨)، تفسير الرازي (٣١ / ١٦٣)، تفسير ابن كثير (٨ / ٣٩١)، الإتقان في علوم القرآن (٢ / ١٠٥٣) .

(٦) انظر إشراقات قرآنية، العودة (١ / ٤٠٢) .

المطلب السادس

علاقة فئة

وهي أن تختلف الكلمات، لكنها تتدرج تحت جنس واحد، مثل أن تُذكر أنواع متعددة من الفاكهة كالرمان والعنب والتين، فهي أنواع مختلفة، لكنها مندرجة تحت جنس واحد، وهو الفاكهة .

وفائدة ذلك استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه (١)، بحيث لا يغادر شيئاً، فهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء كقوله تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذنِ اللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢] (٢).
أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين الأنبياء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُيُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

وجه المناسبة: هؤلاء الأنبياء كلهم مندرجون تحت جنس واحد، وفئة واحدة (الأنبياء والرسل)، وفي ذلك عدة فوائد (٣)، منها: أن محمداً ﷺ ليس ببدع من الرسل، بل أرسل الله قبله من المرسلين العدد الكثير، فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد. ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضاً ويوافق بعضهم بعضاً.

ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم، وأخلاقهم متفقة، ومصدرهم واحد وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين ولا بالكاذبين، ولا بالملوك الظالمين .

ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيماناً، ومحبة لهم، واقتداء بهديهم. وقد أشار إلى هذه المناسبة كل من الخازن و ابن كثير وسيد قطب (٤).

المثال الثاني: التناسب بن لفظ الجلالة " الله " والملائكته والكتب والنبين واليوم الآخر، في قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ

(١) علم المعاني-البيان-البيديع، عتيق (ص: ٥٥٣) .

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢٨٨/٣) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص : ٢٣٤) .

(٤) تفسير الخازن (٤٥١/١)، تفسير ابن كثير (٤٦٩/٢)، في ظلال القرآن (٨٠٥/٣) .

وَالنَّبِيِّينَ ﴿ [البقرة: ١٧٧] وقوله ﴿كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].
وقوله ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾
[النساء: ١٣٦].

وجه المناسبة:

أن هذه الأركان مندرجة تحت فئة واحدة ومسمى واحد، وهو "الإيمان" وقد دل على ذلك حديث جبريل المشهور وفيه: "قال فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" رواه مسلم^(١). قال السعدي: "اعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها؛ لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض"^(٢).

قال الخازن: "بين خصالاً من البر فقال تعالى: (من آمن بالله) أي ولكن البر من آمن بالله، فالمراد بالبر هنا الإيمان بالله والتقوى من الله (والיום الآخر)، وإنما ذكر الإيمان باليوم الآخر، لأن عبدة الأوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت (والملائكة) أي ومن البر الإيمان بالملائكة كلهم؛ لأن اليهود قالوا: إن جبريل عدونا (والكتاب) قيل: أراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والتبيين) يعني أجمع، وإنما خص الإيمان بهذه الأمور الخمسة؛ لأنه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة، مما يلزم المؤمن أن يصدق بها"^(٣).

وذكر الرازي السبب في ذكر هذه الأركان الخمسة فقط فقال: "لأنه دخل تحتها كل ما يلزم أن يصدق به، فقد دخل تحت الإيمان بالله: معرفته بتوحيده وعدله وحكمته، ودخل تحت اليوم الآخر: المعرفة بما يلزم من أحكام الثواب والعقاب والمعاد، إلى سائر ما يتصل بذلك، ودخل تحت الملائكة ما يتصل بأدائهم الرسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليؤديها إلينا، إلى غير ذلك مما يجب أن يعلم من أحوال الملائكة، ودخل تحت الكتاب القرآن وجميع ما أنزل الله على أنبيائه، ودخل تحت النبيين الإيمان بنبوتهم، وصحة شرائعهم، فثبت أنه لم يبق شيء مما يجب الإيمان به إلا دخل تحت هذه الآية، وتقرير آخر: وهو أن للمكلف مبدأً ووسطاً ونهاية، ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات، وهو المراد بالإيمان بالله واليوم الآخر، وأما معرفة مصالح الوسط فلا تتم إلا بالرسالة وهي لا تتم إلا بأمور ثلاثة: الملائكة الآتين بالوحي، ونفس ذلك الوحي وهو الكتاب، والموحي إليه وهو الرسول"^(٤).

(١) صحيح مسلم رقم (٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٢٨).

(٣) تفسير الخازن (١/١١٤).

(٤) تفسير الرازي (٥/٤٢).

وفي ذكر هذه الأركان أيضاً مناسبة لطيفة وهي الرد على اليهود والنصارى .
قال أبو حيان: " مضمون الآية: ان البر لا يحصل باستقبال المشرق والمغرب بل
بمجموع أمور .

أحدها: الإيمان بالله، وأهل الكتاب أخلوا بذلك، أمّا اليهود فللتجسيم ولقولهم: (عزيرُ
ابن الله)، وأمّا النصارى فقولهم: (المسيحُ ابنُ الله).
الثاني: الإيمان بالله واليوم الآخر، واليهود أخلوا به حيث قالوا: (لن تمسنا النار إلاّ
أياماً) والنصارى أنكروا المعاد الجسماني.

والثالث: الإيمان بالملائكة، واليهود عادوا جبريل.
والرابع: الإيمان بكتب الله، والنصارى واليهود أنكروا القرآن.
والخامس: الإيمان بالنبیین، واليهود قتلوهم، وكلا الفريقين من أهل الكتاب طعنا في
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم^(١).

وبين ابن تيمية أهمية الإيمان بهذه الأركان فقال: " تضمنت هذه السورة (البقرة)
جميع ما يحتاج الناس إليه في الدين، أصوله وفروعه، وافتتحها بالإيمان بالكتب والرسول،
ووسطها بالإيمان بالكتب والرسول، وختمها بالإيمان بالكتب والرسول، فإن الإيمان بالكتب
والرسول هو عمود الإيمان وقاعدته وجماعه"^(٢). وقال في موضع آخر: " ثم شهد لهم
جميعاً بأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله، فتضمنت هذه الشهادة إيمانهم بقواعد
الإيمان الخمسة التي لا يكون أحد مؤمناً إلا بها، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه
ورسوله واليوم الآخر، وقد ذكر الله تعالى هذه الأصول الخمسة في أول السورة ووسطها
وأخرها "^(٣).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من البقاعي وأبي السعود ورشيد رضا
(ت ١٣٥٤) ^(٤).

المثال الثالث: التناسب بين القيام والقعود وعلى الجنب، في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ
يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ
الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣].

وجه المناسبة: هذه هي أقسام الهيئات الثلاث، فلم يترك الله قسماً من أقسامها
حتى أتى به، فهي أقسام مختلفة، لكنها مندرجة تحت مسمى واحد وفئة واحدة، وهي
حالات الجسم أو هيئاته التي لا يخلو منها.

(١) البحر المحيط (٥/٢) .

(٢) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٦٤/٥) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٣٤/١٤) .

(٤) نظم الدرر (٣/٣)، إرشاد العقل السليم (١٩٣/١) (٢٧٤/١)، تفسير المنار (١١١/٢) .

قال القرطبي: " ذكر الله تعالى ثلاث هيئات لا يخلو ابن آدم منها في غالب أمره، فكأنها تحصر زمانه، ومن هذا المعنى قول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه) أخرجه مسلم (١) " (٢).

وقال ابن كثير " أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم، بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم " (٣).

قال الشعراوي: " قال بعض العلماء في تفسير قول الحق: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ إن المقصود بذلك هو الصلاة، فمن لا يستطيع الصلاة قائماً يصلي قاعداً . ومن لا يستطيع الصلاة قاعداً فليصل مضطجعاً.

ونقول لهؤلاء العلماء: لقد خصصتم هذا المعنى حيث المقام للتعميم، لماذا ؟ لأن القرآن لا يتعارض مع بعضه، بل يفسر بعضه بعضاً، والحق يقول عند صلاة الخوف: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء: ١٠٢].

وحتى لا يظن المؤمن أن الفروض الخمسة، هي التي يذكر فيها الله فقط، قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣].

أي إنه حصلت الصلاة أولاً، وحصلت الصلاة ثانياً ، كأن ذكر الله أمر متصل واجب في الصلاة، وفي غيرها" (٤).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الرازي وأبي السعود والسعدي وابن عاشور (٥) وغيرهم (٦).

(١) صحيح مسلم رقم (٣٧٣) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٦٦) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٤) .

(٤) تفسير الشعراوي (٤/ ١٩٥٩) .

(٥) تفسير الرازي (٩/ ١٤٠)، إرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٩)، تيسير الكريم الرحمن (ص : ١٦١)، التحرير والتنوير (٤/ ١٩٦) .

(٦) انظر البديع في ضوء أساليب القرآن، لاشين (ص : ٩٤) .

المطلب السابع

علاقة سبب ونتيجة

وهي أن تكون إحدى الكلمتين سبباً في حدوث الأخرى، أو تتطلب حصولها. وفائدة ذلك هو أن تعليق النتائج بأسبابها، إن كان في الخير فهو حث للمسلمين أن يلتزموا بهذه الأسباب الموصلة لهم بإذن الله إلى هذه النتائج الحسنة، وإن كان في الشر فهو تحذير لهم من الوقوع في هذه الأعمال الموصلة لهم إلى نتائج سيئة، فمن وقع في الأسباب المنهي عنها بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناصب بين قوله (سأصرف) و(يتكبرون) في قوله تعالى:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وجه المناسبة: الكبر سبب لئن يصرف الله صاحبه عن فهم القرآن والاهتداء به.

قال سفيان بن عيينة (ت ١٩٨) في هذه الآية: " انزع عنهم فهم القرآن " (١).

ويذكر العلماء في آداب طلب العلم أن المتكبر لا ينال العلم، كما قال مجاهد

(ت ١٠٤): " لا يتعلم العلم مُستح ولا مستكبر " رواه البخاري تعليقاً (٢).

قال الزركشي " اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له

أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر " (٣).

إن من أهم صفات العالم والمتعلم التحلي بخصلة التواضع العلمي، ومتى فقدت هذه

الصفة العظيمة تردى المتعلم في دركات الجهل والغرور، وفاته كثير من العلم وبعُد شيئاً

فشيئاً عن الحق، ولقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة في التواضع العلمي، فهذا

الإمام أبو حنيفة (ت ١٥٠) يفتي أحد تلاميذه في مسألة، فيقول التلميذ له: يا إمام، هذا

الذي أفيتت به أهو الحق الذي لاشك فيه؟ فيقول أبو حنيفة: بل لعله الباطل الذي

لاشك فيه " (٤). هكذا يقول الإمام بكل تواضع، إنه باحث عن الحق، لا محتكر له.

وهذا البقاعي يقول: " وأنا لم أدع العصمة فيما قلت، وما تركت أحداً ممن يلّم بي،

إلا قلت له: المراد الوقوف على الحق من معاني كتاب الله تعالى، والمساعدة على ما

ينفع أهل الإسلام، فمن وجد لي خطأ، فليخبرني به لأصلحه . ووالله الذي جلت قدرته،

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٧٥).

(٢) البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم .

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/١٨٠).

(٤) المعرفة والتاريخ، الفسوي (٢/٧٨٢).

وتعالت عظمته، لو أن لي سعة تقوم بما أريد لكنت أبذل ما لآ لمن ينبّهني على خطأي، فكما نبهني أحد على خطأ، أعطيته ديناراً . ولقد نبّهني غير واحد على أشياء فيه، فأصلحتها، وكنت أدعو لهم، وأثني عليهم، وأقول لهم هذا الكلام، ترغيباً في المعاودة إلى الانتقاد، والاجتهاد في الإسعاف بذلك والإسعاد" (١).

هكذا كان أئمتنا يحفلون ويفرحون بالنقد الهادف، ويعترفون بالتقصير والخطأ مع سعة علمهم واطلاعهم فبلغوا ما بلغوا . لكن للأسف اليوم، نجد نكوصاً عن هذا الخلق في كثير من الأوساط العلمية بين المسلمين، في حين أن غيرهم قد نال نصيباً وافراً منه، قال محمد الغزالي: " إنني أغوص في بحر من الحيرة والأسف حين أرى عظماء العالم على جانب رائع من دماثة الخلق، ولطف المعاشرة، وسهولة الطبع وقلة التكلف، على حين ترى المتسولين من موائدهم، متعجرفين، متعاضمين كأنهم (أتوا بالذيب من ذيله) كما يقول العوام في أمثالهم . إن بُناة التاريخ من سلفنا الصالح كانوا يتميزون بخُلقين: عظم الكفاءة، ونكران الذات، ذلك ما استفادوه من إيمانهم الوثيق بالإسلام " (٢).

إن الكبر إذن صفة رذيلة، تقود صاحبها إلى البعد عن الحق شيئاً فشيئاً، إلى أن تصرفه عن الإيمان وحقائق القرآن.

لذلك قال ابن تيمية: "إن القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر" (٣).

هذا هو العقاب العاجل على الاستكبار، لأنه أعظم جريمة يرتكبها العبد في حق ربه، وليس من عقاب أليق بهذه الجريمة، من العقاب الذي قضى به الله لأصحابها، ألا وهو صرفهم عن الحق، وإغلاق سبل الهداية أمام أبصارهم، وبصائرهم، ليتقلّبوا مع استكبارهم في أودية الضلال، لا يجدون مخرجاً أو ملاذاً إلى أن يقوم الناس لرب العالمين (٤).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الطبري والسيوطي والسعدي والشنقيطي وابن عاشور (٥).

المثال الثاني: التناسب بين (الشرك) و(الرعب) في قوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [آل عمران: ١٥١].

(١) مصاعد النظر (١٠٤/١) .

(٢) قذائف الحق (ص : ١٨٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤٢ / ١٣) .

(٤) لا يأتيه الباطل، البوطي (ص : ٦٤) .

(٥) تفسير الطبري (٤٤٢/١٠)، الإتقان في علوم القرآن (١٢١٢/٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص : ٣٠٣)،

أضواء البيان (٣٤٧/٢)، التحرير والتنوير (١٠٤ / ٩) .

وجه المناسبة: جعل الله الأمن في الإيمان، وجعل الخوف والرعب في الكفر والشرك، فقوله تعالى (بما أشركوا) الباء هنا للتعليل، فالرعب مقابل الشرك^(١)، وقد دل على ذلك عدة آيات مثل قوله تعالى: ﴿ سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأففال: ١٢] وقوله: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦] وقوله ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ [الحشر: ٢].

يبين الله في هذه الآيات أن من آمن به نصره، وأعانته، ومن كفر وأشرك به ألقى في قلبه الخوف، والرعب، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: " نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ " (٢).

فالخوف الذي يصيب الكافر، هو الخوف بمعناه العام، فقد يكون خوفاً من العدو، وقد يكون الخوف من الفقر، والمرض والجوع وانقطاع النسل، ومن عذاب النار في الآخرة، وغير ذلك من أنواع الخوف، قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

في هذه الآية الربط بين الكفر والخوف من ناحية، وبين الإيمان والأمن من ناحية أخرى (٣).

فالمشرك خائف، ويعيش في رعب، وعلى عكسه المؤمن المطمئن، له الأمن والأمان في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

" وهذا يعني أن الكفر هجر لدائرة الأمن، والإيمان خروج من دائرة الخوف " (٤).

إن المعاصي عامة - وأعظمها الشرك - سبب للخوف، والقلق، كما قال ابن القيم: "ومن عقوباتها ما يلقى الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي، فلا تراه إلا خائفاً مرعوباً، فإن الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الأمنين من عقوبات الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب، فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أماناً، ومن عصاه انقلبت مآمنه مخاوف، فلا تجد العاصي إلا وقلبه كأنه بين جناحي طائر، إن حرّكت الريح الباب قال: جاء الطلب، وإن سمع وقع قدم خاف أن يكون نذيراً بالعطب، يحسب كل صيحة عليه، وكل مكروه قاصداً إليه،

(١) معاني النحو، السامرائي (٣/ ٧٧).

(٢) البخاري، كتاب التيمم، رقم (٣٣٥)، ومسلم رقم (٥٢١).

(٣) الحجاج في القرآن (ص: ١٢٦).

(٤) المصدر السابق.

فمن خاف الله آمنه من كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء. **بدا قضي الله بين الخلق مذ خلقوا أنّ المخاوف والإجرام في قرن** ^(١). وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من أبي حيان، والسعدي وابن عاشور والشعراوي ^(٢) وغيرهم ^(٣).

المثال الثالث: التناسب بين الظالمين، وجهنم، في قوله تعالى ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنَ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١]. **وجه المناسبة:** يذكر الله تعالى السبب الذي من أجله عوقب الخصوم بما عوقبوا وهو الإجرام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعُقِبَى الكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]، أي بسبب كفرهم، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤]، أي بسبب إجرامهم ^(٤).

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ، لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنَ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠ - ٤١]: "وجملة (وكذلك نجزي المجرمين) تذييل يؤذن بأن الإجرام هو الذي أوقعهم في ذلك الجزاء، فهم قد دخلوا في عموم المجرمين الذين يُجزون بمثل ذلك الجزاء" "وذيل به بقوله وكذلك نجزي الظالمين، ليدل على أن سبب ذلك الجزاء بالعقاب، هو الظلم وهو الشرك" ^(٥).

إذن فإن يعاقب الكافر و المجرم و الظالم والفاسق بالنار، فذلك مما لا يماري فيه أحد، لذلك عبّر به القرآن، وعدل عن التعبير بالمشرك، لأن ذلك في رأي المشركين لا يستقيم لافتقاره إلى السبب المنطقي عندهم، الذي أدى بهم إلى هذا المصير، إذ هم يعتبرون أن حالة الشرك التي هم عليها حالة طبيعية، أرادها الله لهم إذ جاء في القرآن ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وهو ما يعني أن صفة (الشرك) بالإضافة إلى أنها لا تحرجهم، ولا تؤذيهم لا يمكن أن تكون سبباً منطقياً في رأيهم لإلحاق العقاب بهم، لهذا لا يكاد يوجد سياقات لغوية في القرآن تشتمل على كلمة (المشركون) أو (الذين أشركوا) وفيها وعيد و تهديد بالعقاب، وبالمصير البئيس، وإنما حلت محلها هذه الصفات (الكفر، الفسق، الإجرام، الظلم) التي لا يمكن

(١) الجواب الكافي (ص: ١٨٢) .

(٢) البحر المحيط (٨٣/٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥٢)، التحرير والتنوير (١٢٣/٤)، تفسير الشعراوي (١٨١٦/٣) .

(٣) انظر مغني المريد الجامع لشروح كتاب التوحيد، عبد المنعم إبراهيم (٣٥٦/١)، من لطائف التعبير القرآني، فؤاد سندي (ص: ١٧١) .

(٤) الحجاج في القرآن (ص: ١٩٨) .

(٥) التحرير والتنوير (٨/ ١٢٨ - ١٢٩) .

أن تكون معلّلة على غير وجه ذلك العقاب وذلك المصير^(١).
وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الزمخشري، والبيضاوي والباقعي وأبي
السعود^(٢).

(١) الحجاج في القرآن (ص: ١٩٩) .
(٢) الكشاف (٤٤٣/٢)، تفسير البيضاوي (٣٨٣/٨)، نظم الدرر (٤٠١/٧)، إرشاد العقل السليم (٢٢٨/٣) .

المطلب الثامن

علاقة تتابع وتدرج

تدرّج إليه: تقدم شيئاً فشيئاً وتدرّج فيه: تصعدّ درجة درجة (١).
فالتدرّج: هو الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى أعلى منها، والمقصود هنا أن الكلمتين تمثلان مرحلتين مختلفتين، إحداهما أعلى من الأخرى .
والغرض من ذلك تعداد مراتب الشيء، وبيان تمايز أهله فيه، وكذلك الإحاطة والشمول للمعنى المذكور .

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين الإسلام والإيمان في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقوله ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٥] وقوله ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ ﴾ [التحریم: ٥].

وجه المناسبة: أن الإسلام أول مراحل الدخول في الدين، ثم يترقى بعدها المسلم، فينتقل إلى مرتبة أعلى عندما يستقر الإيمان في قلبه، ولذلك في قوله تعالى (قالت الأعراب) الآية، بين الله للأعراب الفرق، وأنهم مازالوا في بداية المرحلة، ولم يصلوا بعد إلى المرحلة العليا وهي الإيمان .

قال ابن كثير: "وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل (٢) عليه السلام، حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه " (٣).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الطبري والفيروزبادي والشنقيطي (ت ١٣٩٣) وابن عاشور والشعراوي (٤)، وغيرهم (٥).

المثال الثاني: التناسب بين المهد والكهل في قوله تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ [آل عمران: ٤٦]، وقوله تعالى ﴿ إِذْ أَيْدِيكُ بِرُوحِ الْقُدْسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي

(١) المعجم الوسيط (ص : ٢٧٧) .

(٢) رواه مسلم، رقم (٨) .

(٣) تفسير ابن كثير (٧ / ٣٨٩) .

(٤) تفسير الطبري (٢١ / ٣٩٢)، بصائر ذوي التمييز (٢ / ١٨٣)، أضواء البيان (٧ / ٦٧٤)، التحرير والتنوير

(٢٦ / ٢٦٤)، تفسير الشعراوي (١٩ / ١٢٠٢٠) .

(٥) البلاغة العربية، الميداني (٢ / ٤٦٨) .

الْمَهْدِ وَكَهْلًا» [المائدة: ١١٠].

وجه المناسبة: ذكر الله سبحانه وتعالى أن عيسى عليه السلام يتكلم في حالين وطورين من أطوار حياته، فقوله تعالى ﴿ فِي الْمَهْدِ ﴾ واضح فيه المناسبة، لكن ما هو السر في ذكر أنه يتكلم عليه السلام حال كونه كهلاً . ذكر العلماء في ذلك عدة أجوبة منها (١):

- ١- أن المراد منه بيان كونه عليه السلام متقلباً في الأحوال من الصبأ إلى الكهولة، والتغير على الإله محال، وفيه الرد على من ادعى أنه إله.
 - ٢- أنه يكلم الناس في المهد لظهور طهارة أمه، ثم يتكلم كهلاً بالوحي والنبوة .
 - ٣- أنه يتكلم حال كونه في المهد، وحال كونه كهلاً، على حد واحد وصفة واحدة، وذلك غاية في الإعجاز .
 - ٤- أنه يبلغ حال الكهولة ؛ لأنه كان في العادة أن من تكلم في المهد أنه لا يعيش ولا يتمادى به العمر .
- وهذه الأجوبة أقواها الأول والثاني، ولا مانع من احتمالها جميعاً، إذ لا تنافي بينها، وفيها أيضاً زيادة إعجاز وبيان في كلام الله سبحانه وتعالى .
- وقد أشار إلى هذه المناسبة كل من الطبري والبيضاوي وابن كثير والسعدي والشعراوي (٢) وغيرهم (٣).

المثال الثالث: التناسب بين السنّة والنوم، في قوله تعالى ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾

[البقرة: ٢٥٥].

وجه المناسبة: أن السنّة هي النعاس في قول الجمهور (٤)، وقُدّمت على النوم كونها تتقدمه في الوجود . ولم يكتفِ الله بنفي السنّة فقط دون النوم، أو العكس، والسبب أن النوم قد يرد ابتداءً من دون نعاس، فلا يستلزم نفي السنّة نفي النوم . وأيضاً فإن الإنسان يقدر على أن يدفع عن نفسه السنّة، ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه النوم، فقد يأخذ النوم ولا تأخذه السنّة، فلو وقع الاقتصار في النظم القرآني على نفي السنّة لم يفد

(١) انظر الكشاف (٥٥٩/١)، تفسير الرازي (٥٧ / ٨) التحرير والتنوير (٣ / ٢٤٧)، البرهان في علوم القرآن (٣ / ٦٧) .

(٢) تفسير الطبري (٤١٢/٥)، تفسير البيضاوي (١٥١/٦)، تفسير ابن كثير (٤٣/٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص : ١٣١)، تفسير الشعراوي (٣ / ١٤٦٧) .

(٣) انظر نظرات لغوية في القرآن الكريم، العابد (ص : ١٧٠) .

(٤) فتح القدير للشوكاني (١ / ٤٦٥) .

ذلك نفي النوم، وهكذا لو وقع الاختصار على نفي النوم لم يفد نفي السنّة^(١). قال الزركشي: لم يكتفِ بقوله (لاتأخذه سنّة) دون ذكر النوم، لئلا يتوهم أن السنّة لم تأخذه لضعفها، ويتوهم أن النوم قد يأخذه لقوته، فجمع بينهما لنفي التوهّمين^(٢). ونفي استيلاء السنّة والنوم عن الله تعالى، تحقيق لكمال الحياة، ودوام التدبير، وإثبات لكمال علم الله سبحانه، فالمقصود أن الله تعالى لا يحجب علمه شيء، حجباً ضعيفاً ولا طويلاً، ولا غلبة ولا اكتساباً^(٣).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً الطبري والزمخشري والرازي والبيضاوي وأبو السعود^(٤) وغيرهم^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) البرهان في علوم القرآن (٤٠٤/٣).

(٣) التحرير والتنوير (٢٠-١٩/٣).

(٤) تفسير الطبري (٥٣٠/٤)، الكشاف (٤٨٠/١)، تفسير الرازي (٨/٧)، تفسير البيضاوي (٣٨٣/٥)، إرشاد العقل السليم (٢٤٨/١).

(٥) انظر من بلاغة القرآن، بدوي (ص: ٩٣)، العلم وصفاً لله في البيان القرآني، شومه البلوي (٢٣٤/١).

المطلب التاسع

علاقة اقتران وملازمة

قارن الشيء الشيءَ مُقارنةً وقراناً: اقترن به وصاحبه^(١).
والاقتران: كالأزدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني^(٢).
والملازمة: أصلها من اللام والزاء والميم، التي تدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائماً^(٣).

والمقصود أن تكون الكلمتان مرتبطين في الوجود والحصول معاً غالباً، فإذا وقعت إحداها جاءت الأخرى معها.
أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين الناس والحجارة، في قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].
وجه المناسبة: قرن الله سبحانه بين الناس - وهم عباد الأصنام - والحجارة، وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها وجعلها وقوداً للنار كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨].
ووجه الجمع بين الناس والحجارة عدة أمور^(٤).

١- أنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا، حيث نحتوها أصناماً، وجعلوها لله أنداداً، فكان جزاؤهم أن قرنوا جميعاً في جهنم، وفي ذلك تحقير لهذه الأصنام، وزيادة إظهار خطأ عبديتها، وتكرّر لحسرتهم على إهانتها وحسرتهم أيضاً على أن كان ما أعدوه سبباً لعزهم وفخرهم ونجاتهم، صار سبباً لتعذيبهم.

٢- أنهم يعذبون بها كما يعذب أصحاب الذهب والفضة بهما عندما منعوا زكاتهما، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَدُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

٣- وفي ذكر الناس والحجارة ترهيب من النار، وتعظيم لشأنها، فإن هذه النار توقد

(١) لسان العرب (٣٣٦/١٣).

(٢) المفردات، للراغب (ص: ٤٠١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥ / ٢٤٥).

(٤) انظر الكشاف (٢٢٥/١)، تفسير الرازي (١٣٣/٢)، البحر المحيط (٢٥٠/١)، المفردات للراغب (ص:

١٠٨)، روح المعاني (١٩٩/١)، في ظلال القرآن (٤٩/١)، التحرير والتنوير (٣٤٥/١).

بالأحجار التي من عاداتها أن تكون مطفئة للنيران في الدنيا، لكن نار الآخرة عظيمة فهي على العكس من ذلك، توقد بالحجارة؛ فحصل بذلك الاقتران المزيد من التخويف والزجر.

٤- أن بين الناس (الكفار) والحجارة تناسباً من جهة القسوة والغلظة، لكن قساوة قلوبهم قساوة معنوية تجاه الحق والخير والفضيلة، أما الحجارة فقساوتها مادية كما قال تعالى: ﴿ تَمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤]. وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من البغوي والبيضاوي والنسفي^(١) والفيروزآبادي والشعراوي^(٢) وغيرهم^(٣).

المثال الثاني: التناسب بين إنزال القرآن، والليل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]. **وجه المناسبة:** إن بين القرآن والليل سرّاً وارتباطاً عظيماً؛ لذلك خص الله إنزاله بالليل، وجعل الليل محلاً للاشتغال بتلاوته وتدبره.

قال الرازي: " أجمع المفسرون على أن المراد: إنا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، ولكنه تعالى ترك التصريح بالذكر، لأن هذا التركيب يدل على عظم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها: أنه أسند إنزاله إليه وجعله مختصاً به دون غيره، والثاني: أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التصريح، ألا ترى أنه في السورة المتقدمة لم يذكر اسم أبي جهل ولم يخف على أحد لاشتهاره، وقوله: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُقُومَ ﴾ [الواقعة: ٨٣]، لم يذكر الموت لشهرته، فكذا ههنا، والثالث: تعظيم الوقت الذي أنزل فيه"^(٤).

فكون إنزال القرآن في الليل دون النهار مشعراً بأهميته وفضل التعبد فيه، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقوله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩]. وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ١-٤]، والتعبير بالقيام في الآية بدلاً عن الصلاة جاء لهدف عظيم، ذلك أن القيام هو من أهم أركان الصلاة، كيف

(١) أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، فقيه حنفي، مفسر، من أصحابه، توفي بها سنة ٧١٠ هـ. الأعلام (٦٧/٤).

(٢) تفسير البغوي (ص: ٢١)، تفسير البيضاوي (٤٥٧/٢)، تفسير النسفي (٣٧/١)، بصائر ذوي التمييز (٤٣٥/٢)، تفسير الشعراوي (٢٠٢/١).

(٣) البلاغة العربية، الميداني (٢ / ١٢٨)، من غريب بلاغة القرآن الكريم، الرويني (ص: ١٢٨).

(٤) تفسير الرازي (٢٧/٣٢) و (٢٤٠/٢٧).

لا وهو محل تلاوة الكتاب الكريم، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: " أفضل الصلاة طول القنوت" (١) أي القيام (٢). وقوله ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [المزمل: ٦] وقوله: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقوله ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨]، وقد جعل الله سماع القرآن في الصلوات الخمس في العشاءين والفجر مما يدل على شدة ارتباطه بهذه الأوقات أكثر من غيرها، فهذا كله يدل على أن العبادة في الليل معتادة للصالحين، وفي آية الذاريات ما يدل على ذلك وهو قوله (كانوا) التي تفيد الدلالة على الماضي المعتاد (٣).

ومن السنة قوله ﷺ: " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعتك الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتك النوم بالليل، فشفعني فيه، قال فيشفعان". رواه أحمد (٤). وقوله ﷺ: " من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة" رواه أحمد (٥).

فدل ذلك على أن الليل أخص بالنفحات الإلهية، وبتجليات الرب سبحانه لعباده، كما في حديث النزول (٦)، وذلك لخلو القلب وانقطاع الشواغل، و لأن سكون الليل ورهبته أقوى على استحضار القلب وصفائه (٧).

إذن لقد جاء القرآن بمعنى جديد لليل، فبعد أن كان ليل الجاهلي مشحوناً بالقلق والخوف والوحشة والاضطراب، وكان في مخيلته أنه عالم يموج بالجن والأشباح . صار ليل القرآن آناء رضية للعبادة، ومناجاة الله، وتلاوة الآيات، وإطالة القيام والسجود والاستغفار بين يدي الله سبحانه وتعالى (٨).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً بعض المعاصرين (٩).

المثال الثالث: التناسب بين الدار، والإيمان، في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الحشر: ٩].

وجه المناسبة: قرن الله بين الدار وهي المدينة مع الإيمان ؛ لأنه يبرز إليها

(١) رواه مسلم رقم (٧٥٦) .

(٢) شرح مسلم للنووي (ص: ٥١٥) .

(٣) معاني النحو، السامرائي (١/١٩٥) .

(٤) المسند رقم (٦٦٢٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨٨٢) .

(٥) المسند رقم (١٦٩٥٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٤٦٨) .

(٦) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل رقم (١١٤٥)، رقم، ومسلم رقم (٧٥٨) .

(٧) تنمة أضواء البيان، المختار الشنقيطي (٣٩٢/٩).

(٨) الليل في القرآن، سعد جرجيس (ص: ٢١٥) نقلاً عن الاتساع في المعنى، مقبول النعمة (ص: ١٥٧) .

(٩) انظر تنمة أضواء البيان، المختار الشنقيطي (٣٩٢/٩)، إشراقات قرآنية، العودة (١٤٣/٢) .

ويجتمع فيها كما قال ﷺ: "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها".
رواه البخاري ومسلم^(١). ومعنى يأرز: أي ينضم إلى المدينة ويجتمع بعضه إلى بعض
فيها^(٢).

قال ابن عطية: " (الذين تبوءوا) هم الأنصار، والضمير في (قبلهم) للمهاجرين، و
(الدار) هي المدينة، والمعنى تبوءوا الدار مع الإيمان معاً، وبهذا الاقتران يصح معنى
قوله (من قبلهم) فتأمله، (والإيمان) لا يتبوء لأنه ليس مكاناً، ولكن هذا من بليغ الكلام،
ويتخرّج على وجوه كلها جميل حسن"^(٣).

قال ابن عاشور: "وفي ذكر الدار وهي المدينة، مع ذكر الإيمان إيماء إلى فضيلة
المدينة، حيث جعل تبوءهم المدينة قرين الثناء عليهم بالإيمان، ولعل هذا هو الذي عناه
مالك رحمه الله (ت ١٧٩) فيما رواه عنه ابن وهب قال:

سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق، فقال: إن المدينة تبوّئت
بالإيمان، والهجرة، وإن غيرها من القرى افتتحت بالسيف^(٤) ثم قرأ:
﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ [الآية. الحشر: ٩]^(٥).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الزمخشري والرازي والبيضاوي وابن جزي
وأبي حيان وأبي السعود والشعراوي^(٦).

(١) البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة رقم (١٨٧٦)، ومسلم رقم (١٤٧).

(٢) النهاية لابن الأثير (٣٧/١).

(٣) المحرر الوجيز (٢٨٧/٥).

(٤) روي مرفوعاً والصواب أنه من قول مالك كما رجّح ابن حجر في المطالب العالية (١٤٤/٧).

(٥) التحرير والتنوير (٩١/٢٨).

(٦) انظر الكشاف (٨٠/٦)، تفسير الرازي (٢٨٨/٢٩)، تفسير البيضاوي (١٩/١٩)، التسهيل (٤٢٩/٢)،

البحر المحيط (٢٤٥/٨)، إرشاد العقل السليم (٢٢٩/٨)، تفسير الشعراوي (٨٤٦٨/١٤).

المطلب العاشر

علاقة شيء بوظيفته

وهي أن تذكر الكلمة مع وظيفتها، أو الآلة وما تستخدم له، كالكتابة باليد، والقول باللسان، والعقل بالقلب والتوكؤ على العصا ونحوها.

وفائدة ذلك في الآية التأكيد على الحقيقة، وحصول الشيء فعلاً، وزيادة الإيضاح والتقرير^(١)، مع فوائد أخرى بحسب سياق الآية.

ففي قوله تعالى ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾ [النور: ١٥] "هذه الطريقة تأتي في كل شيء يعظم مناله، ويعز الوصول إليه، وأنه يؤتى بذكر هذه الأدوات على جهة الإطناب، دلالة على نيله وأن حصوله غير متعذر، وقد جاءت هذه الآيات على هذا الأسلوب، لأنها رد وإنكار لما كان من المنافقين في شأن الإفك، ولما كان من بعضهم في جعل الزوجات أمهات، وفي جعل الأعداء أبناء، وهذه أمور عظام فأعظم الله فيها الرد والإنكار " (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ [التوبة: ٣٠]، " للنتبيه على أنه قول لادلل عليه، بل ليس فيه إلا مجرد اللسان، أي لا يعضده حجة ولا برهان، أو لرفع توهم إرادة حديث النفس، أو لأن القول يطلق على الاعتقاد فأفاد (بأفواههم) التنصيص على أنه باللسان دون القلب، ولو لم يقيد لم يستفد هذا المعنى " (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ [طه: ١٨]، الغرض من تعداد وظائف العصا هنا هو النتبيه على أن هذه العصا عصا طبيعية في واقع الأمر، لتظهر المعجزة منها بعد ذلك، فتكون واضحة وجلية^(٤). وزاد بعضهم أنه ليزيد لذة بمناجاة الله سبحانه^(٥).

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناصب بين القلب والعقل في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى

(١) البلاغة العربية، الميداني (٣١٥/١).

(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، أبو موسى (ص: ٧٢٣).

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/٢٦٣)، بصائر ذوي التمييز، الفيروز ابادي (٢/١٦٩) (٤/٣٠٤)،

البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات، الزيد (١/١١٤).

(٤) تفسير الرازي (٢٢/٢٥)، تفسير أبي السعود (٣/٦٢٢).

(٥) روح المعاني (١٦/١٧٦).

الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿ [الحج: ٤٦].

وجه المناسبة: ذكر الله في الآية وظيفة من وظائف القلب وهي العقل، فقوله سبحانه (قلوب يعقلون بها) دلالة على أن القلب آلة لهذا التعقل، فوجب جعل القلب محلاً للتعقل^(١)، فهذه إحدى وظائف القلب المذكورة في القرآن. وقد ذُكر القلب في القرآن مئة وإحدى وثلاثين مرة^(٢). وكل الآيات التي ذُكر فيها القلب، جاءت بوصفه عضواً تُتَاطَب به وظائف معرفية، مثل التدبّر والتعقّل والتذكّر، أو وظائف شعورية مثل الرأفة والرحمة والقسوة والغلظة، أو وظائف روحية مثل الإيمان والتقوى والهداية والزيغ.

فمن الوظائف المعرفية قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. ومن الوظائف الشعورية قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤]. ومن الوظائف الروحية قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١]. وقد دلت على ذلك أيضاً السنة النبوية في قوله ﷺ: " ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ". رواه البخاري و مسلم^(٣).

وقد ساق الأستاذ الدكتور فؤاد يحيى أحمد - أستاذ التشريح في طب عين شمس - كثيراً من المعلومات الطبية الحديثة التي تؤكد ذلك، ثم قال: " مما سبق نتبين أوجه الإعجاز الطبي للقرآن الكريم فيما يتعلق بالمضغة الأهم في الجسم ألا وهي القلب، ونذكر أن ما جاء في آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، هي وظائف علمية وحقيقية وليست مجازية تخيلية، فتبارك الله أحسن الخالقين"^(٤). وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من ابن القيم وابن عادل والشوكاني والألوسي والشعراوي^(٥) وغيرهم^(٦).

المثال الثاني: التناسب بين القلم وما يسطرون في قوله تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا

(١) تفسير الرازي (٤٦/٢٣) .

(٢) المعجم المفهرس، عبد الباقي (ص: ٦٥٨) .

(٣) البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢) ومسلم رقم (١٥٩٩) .

(٤) القلب بين القرآن والطب، د . فؤاد يحيى أحمد، مجلة الإعجاز العلمي، العدد ٤١، شعبان، ١٤٣٣هـ، (ص: ٦) .

(٥) انظر روضة المحبين (ص : ١٦٧)، الباب (١١١/١٤)، فتح القدير (٦٢٦/٣)، روح المعاني (١٦٧/١٧)، تفسير الشعراوي (٩٨٦١/١٦) .

(٦) انظر شرح رياض الصالحين للعثيمين (٣٤١/١)، البلاغة العربية، الميداني (١١٨ /٢)، فتوى محمد الأمين الشنقيطي (محل العقل في القلب) على الرابط :

<http://www.ahlalheeth.com/vb/showthread.php?t=115725>

يَسْطُرُونَ ﴿ [القلم: ١] .

وجه المناسبة: أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم ووظيفته وهي الكتابة، لما فيها من المنافع، قال الزمخشري: "ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو وما دونت العلوم ولا قيّدت الحكم، ولا ضُبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به" (١). وقال ابن القيم: "ويكفي في جلالة القلم أنه لم تُكتب كتب الله إلا به" (٢).

فالقلم آلة جاءت لتبيان أهمية العلم الإسلامي في بداية الوحي الذي أرسله الله إلى محمد ﷺ، وكان نداؤه الأول بمفردة (اقرأ)، وتكرارها الذي يمنحها أهميتها ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥] (٣).

وتتسع لفظة التعليم بالقلم، لتشمل تعليم الكتابة، وتعليم النطق، وتعليم الفهم كما يقول ابن تيمية: "ذكر القلم لأن التعليم بالقلم هو الخط، وهو مستلزم لتعليم اللفظ فإن الخط يطابقه وتعليم اللفظ هو البيان، وهو مستلزم لتعليم العلم، لأن العبارة تطابق المعنى، فصار تعليمه بالقلم مستلزماً للمراتب الثلاث اللفظي والعلمي والرسمي، بخلاف ما لو أطلق التعليم أو ذكر تعليم العلم فقط، لم يكن ذلك مستوعباً للمراتب" (٤). ويقول أيضاً مبيناً سر القسم بالقلم والمكتوب: "أقسم سبحانه بالقلم وما يسطرون؛ فإنَّ القلم به يكونُ الكتاب السَّاطِرُ للكلام: المتضمَّن للأمر والنَّهي والإرادة والعلم المحيط بكلِّ شيءٍ؛ فالإقسام وقعَ بقلمِ التَّقديرِ ومسطوره، فتضمَّن أمرين عظيمين تُتَّسَببُ المقسم عليه، أحدهما: الإحاطة بالحوادث قبل كونها، وأن من علم بالشيء قبل كونه أبلغ ممن علمه بعد كونه، فأخبره عنه أحكم وأصدق، الثَّاني: أنَّ حصوله في الكتابة والتقدير يتضمَّن حصوله في الكلام والقول والعلم من غير عكس، فأقسامه بآخر المراتب العلمية يتضمَّن أولها من غير عكس، وذلك غاية المعرفة واستقرار العلم إذا كان مكتوباً، فليس كل معلوم مقولاً، ولا كل مقول مكتوباً وهذا يبيِّن لك حكمة الإخبار عن القدر السابق بالكتاب دون الكلام فقط أو دون العلم فقط" (٥).

"ويتسع المقام لكل ما أعده المفسرون من شرف القلم، وفوائد الكتابة، على أن

(١) الكشاف (٤٠٤/٦) .

(٢) بدائع التفسير (١٨١/٣) .

(٣) الآلة والأداة في التعبير القرآني (ص: ١٩٣) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٥٨/٢) .

(٥) مجموع الفتاوى (٦٢/ ١٦) .

يظل للبيان القرآني دلالته في لفت النبي الأُمِّي، والعرب الأُمِّيِّين إلى جلال القلم، آية من آيات الخالق، الذي خلق الإنسان من علق، وعلمه ما لم يكن يعلم، بما تعني من اختصاص الإنسان دون سائر الكائنات بالقلم، وكسب العلم، وهذا من الخصائص الإنسانية التي يضيف إليها الوحي من بعد ذلك ما يجلوها ويزيدها بياناً، إذ يجعل العلم مناط تكريم آدم الإنسان الأول، وحقه في الخلافة في الأرض، ويسوق الآيات ويضرب الأمثال للذين يعلمون، ويقصر خشيته تعالى على العلماء^(١).

ومن وجوه المناسبة في الآية أيضاً، ما أشار إليه ابن عاشور بقوله: "وأوثر القَسَم بالقلم والكتابة، للإيماء إلى أن باعث الطاعنين على الرسول صلى الله عليه وسلم والألاميزين له بالجنون، إنما هو ما أتاهم به من الكتاب"^(٢). وبقوله: "ومن فوائد هذا القسم أن هذا القرآن كتاب الإسلام، وأنه سيكون مكتوباً مقروءاً بين المسلمين"^(٣)، إذن "فالقَسَم بالقلم وما يسطرون، يأتي تشريفاً للقلم والكتابة معاً، وحثاً للأمة الإسلامية على تعلم القرآن، والاعتراف من معين العلم والمعرفة، وكأنه ﷺ يرتبط بالعلم والمعرفة في عقيدته وشريعته"^(٤). وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الرازي، والبقاعي، وأبي السعود، والألوسي والسعدي^(٥) وغيرهم^(٦).

المثال الثالث: التناسب بين اليمين، والخط، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لِأَرْتَابِ الْمُبْطُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]
وجه المناسبة: نفى الله سبحانه عن نبيه ﷺ أن يكون كاتباً، وأكد ذلك بنسبة الخط إلى اليمين لإرادة الحقيقة، قال الزمخشري: "فإن قلت: ما فائدة قوله (بيمينك)؟ قلت: ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتباً، ألا ترى إنك إذا قلت في الإثبات: رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه، كان أشدّ لإثباتك أنه تولى كتبته فكذلك للنفي"^(٧).

فالتعبير بالخط هنا أبلغ، لما فيه من التجسيم والتصوير، الذي ينقل صورة الخطوط وأنواعها كما أن الفعل أيضاً بتشديد الطاء (تخطّ)، وبما يوحي به صوتها الانفجاري المفحّم، يساعد على رسم الصورة، فيكون أبلغ؛ لأنه نفى لشيء واضح التصور، وليس

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم (٢٣/٢).

(٢) التحرير والتنوير (٦١/٢٩).

(٣) المصدر السابق (٦٠/٢٩).

(٤) مدخل إلى البلاغة القرآنية، القاعد (ص: ١١٦).

(٥) انظر تفسير الرازي (٧٨/٣٠)، نظم الدرر (٢٨٤/٢٠)، إرشاد العقل السليم (١١/٩)، روح المعاني

(٢٣/٢٩)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٧٨).

(٦) انظر تنمة أضواء البيان، المختار الشنقيطي (٣٥٣/٩).

(٧) الكشاف (٥٥٥/٤).

نفيًا لشيء غائم مهوم^(١).

ففي هذا أبلغ الرد على من قال أن محمداً ﷺ افتراه، وهل من المعقول أن يكذب الصادق الأمين ليبعد عن نفسه أعظم عظمة وأمجد مجد، ولا شيء أعظم من القرآن وأمجد، فلو أن محمداً ﷺ كان كاذباً، لكذب في أن ينسب هذا القرآن إلى نفسه، كيما يحرز به الشرف الأعلى، ويدرك المقام الأسمى، ولكنه ﷺ كان معروفاً عندهم بأنه الصادق الأمين، كامل العقل، سليم الفطرة، كريم الأخلاق، صادق الحديث، وبهذا كله وبما ثبت من سيرته ﷺ، عُرف أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا من الله سبحانه وتعالى حتى قال بعض الباحثين: لو وجدت نسخة من القرآن ملقاة في فلاة، ولم يخبرنا أحد عن اسمها ومصدرها لعلمنا بمجرد دراستها، أنها كلام الله ولا يمكن أن تكون كلام سواه^(٢).

قال محمد الغزالي: " بحثت في طول القرآن وعرضه، عما صنعه محمد ﷺ لنفسه في هذا الكتاب، فلم أجد شيئاً صنعه محمد ﷺ لنفسه، إلا أنه عبد لا يملك ضراً ولا نفعاً، عبد فقير إلى الله كسائر العباد... إن تكذيب القرآن مهزلة شائنة، وإن دراسة هذا القرآن الكريم أورتنتني إحساساً بعظمة الله، لم أحسه أبداً في قراءة كتاب آخر"^(٣).
وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من البيضاوي وأبي حيان وابن كثير والبقاعي والألوسي^(٤) وغيرهم^(٥).

(١) بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم، كمال إبراهيم (ص: ٤٨).

(٢) مناهل العرفان (٤٠١/٢).

(٣) المحاور الخمسة في القرآن الكريم (ص: ١٢).

(٤) تفسير البيضاوي (٦٩/١٥)، البحر المحيط (٤٤٤/١) (١٥١/٧)، تفسير ابن كثير (٢٨٦/٦)، نظم الدرر (٤٥٣/١٤)، روح المعاني (٤/٢١).

(٥) انظر لغة الجسد في القرآن الكريم، كمال إبراهيم (ص: ٨٨).

المبحث الثاني

أقسام المناسبة من حيث الظهور والخفاء

تتقسم المناسبة من حيث الظهور والخفاء إلى قسمين^(١):
مناسبة ظاهرة: وهي التي تُبنى على الصلات القريبة الواضحة^(٢).
مناسبة خفية: وهي المناسبة التي تحتاج إلى مزيد من التدبر، والتفكر والغوص في معاني الآيات^(٣).
 ومنهج العلماء في ذكر المناسبات: أنهم لا يطرّقون لذكر المناسبة الواضحة^(٤) إلا قليلاً، بينما يكون تركيزهم على المناسبة الخفية، التي يعتمد استخراجها على قدرة المفسر ونفاذ بصيرته، وهذا النوع تظهر فيه براعة العلماء، ودقة أفهامهم، وحسن استنباطهم.

(١) البرهان في علوم القرآن (٣٨/١) .

(٢) الإتيان للسيوطي (٩٧٨/٢) .

(٣) المناسبات في القرآن الكريم (ص: ١٤٧) .

(٤) البرهان في علوم القرآن (٤٠/١) .

المطلب الأول

المناسبة الظاهرة

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التماسك بين (آمنوا) و(عملوا الصالحات) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢].

وجه المناسبة: قرن الله تعالى بين الإيمان والعمل الصالح في أكثر من ثمانين موضعاً في القرآن، وذلك لأن الإيمان لا يصح بلا عمل صالح، والعمل لا يكون صالحاً بلا إيمان^(١).

قال ابن عاشور: "وهذا اصطلاح القرآن في الغالب أن يقرب الإيمان بالعمل الصالح"^(٢).

قال السعدي: "والآيات التي قرن الإيمان فيها بالعمل الصالح: كقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يُفسَّر الإيمان فيها بما في القلوب من المعارف والتصديق، والاعتقاد والإنابة . والعمل الصالح بجميع الشرائع القولية والفعلية " ^(٣)

وقال: "وقد يعطف الله على الإيمان، الأعمال الصالحة، أو التقوى، أو الصبر، للحاجة إلى ذكر المعطوف، لئلا يظن الظان أن الإيمان يكتفى فيه بما في القلب، فكم في القرآن من قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ثم يذكر خبراً عنهم، والأعمال الصالحات من الإيمان، ومن لوازم الإيمان، وهي التي يتحقق بها الإيمان . فمن ادعى أنه مؤمن، وهو لم يعمل بما أمر الله به ورسوله من الواجبات، ومن ترك المحرمات، فليس بصادق في إيمانه " ^(٤).

لذلك " الجمع بين الإيمان وعمل الصالحات بواو العطف وصيغة المضى، يدل على ضرورة اقتران الإيمان بالعمل الذي يصدق، ويظهره، وشرعية وقوعه وفعله، وأن تأخير العمل عن الإيمان أو إرجاءه عنه، مصادمة للنصوص الشرعية، وبدعة في الدين، لا يترتب عليها ذلك الجزاء الحسن، بل ينتظر عكسه، وفي ذلك رد على المرجئة ومن عانق فكرتهم، التي تقول: إن الإيمان في القلب فحسب، وأنه لا يزيد بعمل ولا ينقص بتركه " ^(٥).

(١) عادات القرآن الأسلوبية، الثنيان (٤٤٩/٢) .

(٢) التحرير والتنوير (١١٧/٢١) .

(٣) القواعد الحسان (ص : ٤٨) .

(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص : ٢٠)

(٥) النظم القرآني في آيات الجهاد، الخنين (ص ٣١٦).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من ابن تيمية والخازن وابن عثيمين^(١) وغيرهم^(٢).

المثال الثاني: التناسب بين (الصلاة) و(الزكاة) في قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وجه المناسبة: أن هاتين العبادتين هما أهم العبادات، ولذلك ذكرهما الله كثيراً في كتابه منفردتين، ومجتمعتين .

قال الجاحظ (ت ٢٥٥): " وفي القرآن معانٍ لاتكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة"^(٣).

وقال ابن تيمية: " وأما قرنه بين الصلاة والزكاة في القرآن فكثير جداً"^(٤). وقال في موضع آخر:

" وَقَوْلُهُ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما الصلاة والنسك، الدالتان على القرب والتواضع والافتقار، وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته وأمره وفضله وخلفه، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله، الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر وتركاً لإعانة الفقراء وإعطائهم وسوء الظن منهم بربهم، ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه، والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله ؛ فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب، لأن فعل ذلك وهو (الصلاة والنحر) سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر والخير الكثير، فشكر المنعم عليه وعبادته، أعظمها هاتان العبادتان " ^(٥).

قال ابن كثير: " كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال، فإن الصلاة حق الله وعبادته، وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه، وتمجيده والابتغال إليه، ودعائه والتوكل عليه؛ والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم، وأولى الناس بذلك القرابات والأهلون والمماليك، ثم الأجانب"^(٦).

(١) انظر دقائق التفسير (٦٩/٣)، تفسير الخازن (٦٦/١)، أحكام من القرآن الكريم (٢٣٢/١) .

(٢) انظر إشراقات قرآنية، العودة (٢٤٨/٢) .

(٣) البيان والتبيين (٢١/١) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣٦٢/ ٢٨) .

(٥) المصدر السابق (٥٣١/ ١٦) .

(٦) تفسير ابن كثير (١٦٨/١) .

وقال السعدي: " (فأقيموا الصلاة) بأركانها وشروطها وجميع حدودها ولوازمها، (وآتوا الزكاة) المفروضة في أموالكم إلى مستحقيها، وهاتان العبادتان هما أمّ العبادات البدنية والمالية، فمن قام بهما على الوجه الشرعي فقد قام بحقوق الله وحقوق عباده"^(١). وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الرازي وأبي حيان وأبي السعود^(٢) وغيرهم^(٣).

المثال الثالث: التناسب بين (الشمس) و (القمر) وكذلك التناسب بين (النجم) و (الشجر) في قوله تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن: ٥-٦].

وجه المناسبة: التناسب بين الشمس والقمر واضح، وهو أنهما سماويان، وكذلك التناسب بين النجم والشجر هو أنهما أرضيان^(٤)، على من فسّر (النجم) بأنه النبات الذي لا يقوم على ساق، كما رجّح الطبري^(٥). وعلى هذا التفسير (للنجم) ففي الآية ما يسميه علماء البلاغة بإيهام التناسب، وهو أن يرد لفظان أو أكثر يكون لأحدهما معنيان: أحدهما غير مناسب لمعنى سابقه، لكنه المعنى المقصود في السياق، والآخر مناسب لمعنى سابقه لكنه غير مقصود في السياق، فالنجم هنا على هذا التفسير النبات الذي ينجم أي يظهر من الأرض لاساق له، وهو المقابل للشجر الذي له ساق، فهنا صورتان لمراعاة التناسب: الشمس والقمر وهما متناسبان والنجم والشجر وهما متناسبان أيضاً، لكن في النجم مع الشمس والقمر مراعاة للتناسب لامن حيث معناه في هذا السياق (النبات العديم الساق)، بل من حيث معناه غير

المراد هنا (الكوكب)، ومن ثمّ يسمي البلاغيون هذه الصورة إيهام التناسب^(٦). ومن وجوه المناسبة بينهما أيضاً، أن هاتين الآيتين بينهما اتصال كبير، فأحدهما آية الليل، والأخرى آية النهار، كذلك يتبين بهما حساب الشهور، والعبادات والمعاملات، وبهما تقوم مصالح العباد في معاشهم ودنياهم، وبذلك يتبين فضل الله الكبير على عباده في هاتين الآيتين^(٧).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٩٨).

(٢) انظر تفسير الرازي (١٣٠/٣٢)، البحر المحيط (١٦٤/١)، إرشاد العقل السليم (٤٤/٤).

(٣) انظر إشراقات قرآنية، العودة (٣٤٥/٢)، عادات القرآن الأسلوبية، الثنيان (٤٢٨/٢).

(٤) تفسير الكشاف (٦/٦)، تفسير النسفي (١١٧٦/٤).

(٥) تفسير الطبري (١٧٥/٢٢).

(٦) المفصل في علوم البلاغة العربية، العاكوب (ص: ٥٦٥)، البلاغة العربية، الميداني (٣٨٤/٢).

(٧) عادات القرآن الأسلوبية، الثنيان (٤٠٦/٢).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الرازي والسمن الحلبي وابن عادل و أبي السعود والشنقيطي^(١) وغيرهم^(٢).

(١) انظر تفسير الرازي (١٩٠/٣١)، الدر المصون (١٥٦/١٠)، اللباب (٢٩٤/١٨)، إرشاد العقل السليم (١٧٧/٨)، أضواء البيان (٦٥٤/٤).

(٢) انظر إشراقات قرآنية، العودة (١١/٢)، البديع في ضوء أساليب القرآن، لاشين (ص: ٣٨)، قضايا اللغة في كتب التفسير، الجطلوي (ص: ٤٨٠)

المطلب الثاني

المناسبة الخفية

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناصب بين (حجاباً) و (مستوراً) في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [الإسراء، ٤٥].
وجه المناسبة: عدل الله تعالى عن وصف الحجاب بأنه ساتر، إلى قوله مستور، مبالغة في إخفاء هذا الحجاب .

قال ابن القيم عن قوله (مستوراً): " قيل بمعنى ساتر، وقيل على النسب أي ذو ستر، والصحيح أنه على بابه، أي مستوراً عن الأبصار فلا يرى " (١) .
ومما يدل على ذلك ماورد عند نزول سورة المسد، من أن امرأة أبي لهب أتت وفي يدها حجر، متوعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان جالساً عند المسجد مع أبي بكر رضي الله عنه، فقال أبو بكر: قد أقبلت وأخاف أن تراك، فقال صلى الله عليه وسلم: لن تراني وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال وقرأ ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥]، فوقف المرأة عند أبي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث (٢) .

إذن فهذا من قبيل المبالغة في الستر والإخفاء، والمعنى أن الحجاب الذي يمنعهم من سماعك أو رؤيتك، هو نفسه مستور، فمابالك بما خلفه (٣) .
فالحجاب كاد يكون لشدة ستره مستوراً، أي أن أثره تعدى موضعه حتى شمل الحجاب نفسه (٤) .

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الطبري والزمخشري والرازي وابن كثير وابن عاشور (٥) .

المثال الثاني: التناصب بين (تركنا) و (ظلموا) و (تمسكتم) في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود: ١١٣].
وجه المناسبة: التعبير بالمسّ عقاب مناسب لمجرد الركون، قال أحمد بن حنبل

(١) بدائع التفسير (١٣٩/٢) .

(٢) رواه الحاكم برقم (٣٤٣٤) وقال : صحيح الإسناد .

(٣) تفسير الشعراوي (٨٥٧٣/١٤) .

(٤) خصائص التعبير القرآني (٣١٨/١) .

(٥) انظر تفسير الطبري (٦٠٨/١٤)، الكشاف (٥٢٣/٣)، تفسير الرازي (٢٢٣/٢٠)، تفسير ابن كثير (٨٢/٥)،

التحرير والتنوير (١١٧/١٥) .

(ت ٢٤١) عن معنى ﴿لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: "لا ترضوا أعمالهم"^(١). قال الزمخشري: "والنهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيمهم، ومد العين إلى زهرتهم. وذكرهم بما فيه تعظيم لهم. وتأمل قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾ فإن الركون هو الميل اليسير. وقوله: ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي إلى الذين وجد منهم الظلم، ولم يقل إلى الظالمين"^(٢).

قال السيوطي: "لما كان الركون إلى الظالم، وهو الميل إليه والاعتماد عليه دون مشاركته في الظلم، وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم، فأتى بلفظ (المس) الذي هو دون الإحراق والاصطلاء"^(٣).

إذن " في هذا النص تلاؤم بديع بين اللفظ والمعنى المراد، وبيانه أن الركون إلى الذين ظلموا نوع من الميل إليهم والاعتماد عليهم، دون انغماس معهم في الظلم، فلام هذا المعنى أن يُختار في بيان العقاب لفظ (فتمسك النار)، لأن المس فيه معنى ملاصقة النار دون الانغماس فيها، أي فعذاب من يركن إلى الظالمين هو من نوع عذاب الظالمين، لكنه دونه في الكيف والكم، إنه للراكنين مس، لكنه للظالمين انغماس وحريق"^(٤).

فالتعبير بلفظ المس، دون اللمس، مناسب لمعصية الركون إلى الظالم، لأن المس أخف من اللمس، فاللمس ماكان مبالغاً فيه، والمس هو أدنى ملاقاته جسم لآخر، وهذا هو الفرق بين اللمس والمس، والذوق اللغوي يوحي بهذا الفرق الدقيق، فالمس لمس خفيف، واللمس مس ثقيل، ومن الشواهد على خفة المس دون اللمس، قول أهل الجنة الذي حكاه عنهم القرآن وهو ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحْضَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤ - ٣٥].

فنفا أدنى درجات التعب والإعياء^(٥).

إذن فإذا كانت العقوبة تتناول من ركن ورضي بأعمال من ظلموا، ولو كان هذا ميلاً إلى من وقع في الظلم قليلاً فقط، فكيف تكون عقوبة الظالمين المستبدين أنفسهم، إن هذا التوجيه القرآني العظيم فيه التحذير من كل أنواع الظلم والاستبداد، بكل درجاته

(١) بدائع الفوائد (ص: ١٠٣٣).

(٢) الكشف (٢٤١/٣).

(٣) الإتقان (٩١٢/٢).

(٤) البلاغة العربية، الميداني (٥٢٢/٢).

(٥) دراسات جديدة في إعجاز القرآن، المطعني (ص: ٩١).

وأشكاله، وعدم القرب إليهم، والرضا بأعمالهم والبعد كل البعد عن كانت هذه صفتهم .
وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً الزركشي^(١).

المثال الثالث: التناسب بين (علم) و (القوى) في قوله تعالى (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)

النجم: ٥.

وجه المناسبة: يستفاد من الآية أن العلم سبب القوة، فإن شديد القوى في الآية، هو

جبريل عليه السلام، وهو الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم الوحي^(٢).

وقد وصفه الله بالقوة أيضاً في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ

ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٠].

فجبريل عليه السلام قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، وقوي على إيصال الوحي

الى الرسول صلى عليه وسلم^(٣).

لذلك قال الرازي: " وفيه لطيفة وهي أنه تعالى أراد بقوله (شديد القوى) قوته في

العلم " ^(٤).

وبدل على ذلك أيضاً قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ

أَيْكُمْ يَا تَبْنِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجَنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ

تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ

أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠].

وسواء كان (الذي عنده علم) في الآية هو سليمان عليه السلام، أو غيره،

فالمقصود أن العلم كان سبب هذه القوة الخارقة^(٥).

وهذه النظرية توصل إليها الغرب أخيراً في العصور الحديثة، كما أعلن فرنسيس

بيكون^(٦) في قولته المشهورة: "المعرفة هي القوة" ^(٧)، وقاموا بتطبيقها فتغلبوا علينا في

شتى المجالات، وأصبحنا نحن المسلمين

- أصحاب هذه النظرية - أضعف الأمم، فما أحرانا نحن المسلمين بالعمل بها،

والحرص عليها، والاجتهاد في تحصيلها.

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/٣٧٩) .

(٢) تفسير الرازي (٢٨/٢٨٤) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٦٥) . وانظر له أيضاً (ص: ٨٤٢) .

(٤) تفسير الرازي (٢٨/٢٨٥)، وانظر له أيضاً (٢٩/٢٤١) .

(٥) محاضرة بعنوان العلم في المنظور القرآني هو القوة، عدنان إبراهيم انظر الشبكة على الرابط

<http://www.youtube.com/watch?v=AzLvWdL1Y4w>

(٦) فيلسوف بريطاني يُعدّ مؤسس المنهج الاستقرائي، توفي سنة ١٦٢٦م . معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي (ص

: ٢٢٦) .

(٧) معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي (ص: ٢٢٦) .

قال محمد الغزالي: " ولن يبصر المسلمون الطريق، إلا إذا عادوا إلى الفلسفة القرآنية العملية وفقهوا قوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥]، وتذييل الآية الكريمة باسمين من أسماء الله الحسنى، يدلان على القوة والعزة، فيه إشارة لأولي الألباب، إلى الوسائل التي تتيح الغلبة والعلو، وإشارة أخرى إلى أن الحق لا ينتصر بالحماس الجاهل، فمن فقد عدالة المبدأ وخبرة القدير المدرب، فلا يلومن إلا نفسه " (١).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً ابن القيم (٢) وغيره (٣).

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم (ص : ٦٩) .

(٢) بدائع التفسير (٢/٤٥٦) .

(٣) انظر على طريق التفسير البياني، السامرائي (ص:٢٩٣)، قطاف الأفانين، ندى الكريديس (ص : ٢٢٥) .

الفصل الثالث

أقسام المناسبة بين الكلمات من حيث اللفظ

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أقسام المناسبة من حيث نوع الكلمة

المبحث الثاني: أقسام المناسبة من حيث المطابقة بين الكلمتين وعدمها

المبحث الثالث: أقسام المناسبة من حيث ترتيب الكلمات وموقعها في الآية

المبحث الرابع: المناسبة من حيث غرابة اللفظ

المبحث الخامس: المناسبة من حيث التوافق الصوتي

المبحث الأول

أقسام المناسبة من حيث نوع الكلمة

تتقسم الكلمة في اللغة العربية كما هو معروف إلى ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف، والمناسبة إما أن تكون بين كلمتين هما اسم واسم، أو فعلين، أو تعلق حرف بهما^(١).

ويمكن تقسيمها بالتفصيل على النحو التالي:

- ١- المناسبة بين اسم واسم.
- ٢- المناسبة بين اسم وفعل.
- ٣- المناسبة بين اسم وحرف.
- ٤- المناسبة بين فعل وفعل.
- ٥- المناسبة بين فعل وحرف.

ويمكن أن تجتمع في الآية الواحدة مناسبة بين اسم وفعل وحرف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبأ: ٤٣].

قال الزمخشري: "وفي قوله (وقال الذين كفروا) وفي أن لم يقل (وقالوا)، وفي قوله (للحق لما جاءهم) وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وفي (لما) من المبادهة بالكفر: دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم، وغضب شديد، وتعجيب من أمرهم بليغ، وكأنه قال: وقال أولئك الكفرة المتمردون، بجرأتهم على الله، ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه: (إن هذا إلا سحر مبين)"^(٢).

(١) دلائل الإعجاز (ص: ٤).

(٢) الكشاف (١٢٩/٥).

المطلب الأول

المناسبة بين اسم واسم

يقسم علماء النحو الجملة إلى اسمية وفعلية، ولكل من الجملتين أغراض بيانية، وميزات بلاغية، فإذا أرادوا التعبير عن معنى الثبوت، فإنهم يأتون بالجملة الاسمية مثل: الله خالق كل شيء، وحاتم جواد، وإذا أرادوا أن يعبروا عن معنى التجدد والحدوث، فإنهم يأتون بالجملة الفعلية، مثل ينزل المطر، ويرزق الله الخلق.

فالجملة الاسمية تدل على ثبوت شيء لشيء، وربما تفيد الدوام والاستمرار بقريظة، مثل ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، فإن هذه الجمل تفيد مع الثبوت شيئاً آخر وهو الدوام^(١).

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين الإنسان، والظلم والكفر، في قوله تعالى:

﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وجه المناسبة: في كثير من آيات القرآن، يقرب الله تعالى بين الإنسان وصفات النقص، مثل الظلم والضعف، والفسق، والنسيان، ليؤكد على طبيعة هذا الإنسان، وما فيه من عيوب ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند السعي في إصلاحه ودعوته، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء: ٣٧] ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]، ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ ليطغى﴾ [العلق: ٦]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

وفي هذه الآيات دلالات واضحة على هذا المعنى، ومنها^(٢):

قوله تعالى (الإنسان) إذ دخلت عليه (ال) التي تفيد الاستغراق أي كل إنسان، والتعبير ب (كان) التي تفيد الدوام والاستمرار، وحيث أخبر بها عن صفات الأدميين، فالمراد التثبيته على أنها فيهم غريزة وطبيعة مركوزة في نفوسهم، وأن هذه الأوصاف لازمة لهم، قليلة الانفكاك عنهم، والتعبير بصيغ المبالغة (كفار، ظلم، جهول، كنود،

(١) البلاغة فنونها وأفنانها _ علم المعاني _ عباس (ص: ٩٣).

(٢) الخصائص، ابن جني (٢٠٣/٢)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢٨٩/٣) (١٢٤/٤)، بصائر ذوي

التمييز، الفيروزآبادي (٣٩٣/٤)، معاني النحو، السامرائي (١/١٠٩ و ١٩٦ و ١٩٨) (١٦٤/٣).

عجول) كلها صفات تدل بصيغتها على تأصلها في الانسان، وقوله تعالى (خلق الإنسان من عجل) فوصف الذات (الانسان) بالمصدر (عجل) يجعل الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه، ولاشك أن العجلة ضرب من الضعف؛ لما تؤذن به من الضرورة والحاجة.

قال ابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾: "والصواب أن ضعفه يعمّ هذا كله، وضعفه أعظم من هذا وأكثر، فإنه ضعيف البنية، ضعيف القوة، ضعيف الإرادة، ضعيف العلم، ضعيف البصر، والآفات إليه مع هذا الضعف أسرع من السيل في صيب الحدور، فبالاضطرار لا بد له من حافظ معين، يقوّيه، ويعينه، وينصره، ويساعده، فإن تخلى عنه هذا المساعد المعين، فالهلاك أقرب إليه من نفسه، وخلقته على هذه الصفة هو من الأمور التي يُحمد عليها الرب سبحانه، ويُنثى عليه بها، وهو موجب حكمته وعزّته"^(١).

إذن فمن كمال الإنسان أن يكون ناقصاً، محتاجاً، لأنه لا يستطيع أن يعيش بدون هذه الصفات التي تجعله فقيراً محتاجاً إلى غيره.

إن القرآن الكريم إذا تكلم عن الإنسان فقط، فدائماً ما يكون الخبر عنه من جنس الشر، ولا ينجو الإنسان من خبر الشر، إلا بالاستثناء، كما في سورة العصر^(٢).

هذه طبيعة البشر منذ أن خلق الله أباهم آدم عليه السلام، فقد أسكنه الجنة، وفيها ما يغني ويكفي، ومنعه من الأكل من الشجرة، ولكن آدم عليه السلام أراد اكتشاف المجهول، ولو كان تافهاً، وأراد الحصول على الممنوع وإن كان مؤذياً، وكانت له في ذلك آمال يودّ لو تحققت، إنه يحب الخلود، ويجب أن يكون ملاكاً، وعرف الشيطان مكان الضعف من نفس أبينا، فحلف له بالله أن أمانيه سوف تتحقق إن هو أكل من الشجرة، وكان صوت النهي قد بدأ يخفت، ولم يبئس الشيطان من مهمته، فظل يوسوس ويغرّر بالأب حتى دحرجه من مكانته، وأخرجه من جنته^(٣).

هذه طبيعة آدم كما أرادها الله - لحكم وأسرار عظيمة - كما قال صلى الله عليه وسلم: "احتجّ آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطّ لك بيده، أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى"^(٤). هذه طبيعة آدم عليه السلام وطبيعة ذريته من بعده، ولذلك قال

(١) بدائع التفسير (١/٢٧٣).

(٢) صفاء الكلمة (ص: ١٠١).

(٣) مائة سؤال عن الإسلام، الغزالي (ص: ١٨٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، رقم (٦٦١٤)، ومسلم رقم (٢٦٥٢).

صلى الله عليه وسلم: " فجدد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته" (١). إنا أبناء أبينا ما أشبهنا به وما أشبهه بنا (٢).

هذه طبيعة البشر: الأنانية والنتافس، والبطش، وغيرها، لذلك قالت الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، والمنتبّع لتاريخ البشرية يصل إلى هذه الحقيقة، كما يقول صاحب كتاب (قصة الحضارة): " الحرب أحد ثوابت التاريخ لم تتناقص مع الحضارة والديمقراطية، فمن بين السنوات الحادية والعشرين بعد الثلاثة آلاف والأربعمائة سنة الأخيرة من التاريخ المسجّل، لا توجد سوى ٢٦٨ سنة بغير حرب" "فالحرب أو المنافسة أبو كل شيء وهي الأصل الفعّال للأفكار والمخترعات والمؤسسات والدول" (٣).

إذن البشر يسيرون في حياتهم على نواميس، لا تختلف كثيراً عن نواميس الطبيعة، ومن يريد إصلاحهم، أو حل مشاكلهم يجب أن يفهم تلك النواميس، وأن يحاول الانسجام معها في دعوته (٤).

وعلى المصلح أن يعرف كيف يؤثر في الناس، إذا كانت هذه صفاتهم، ويدرس أعماق نفوسهم، ويعرف كيف يدغدغ مشاعرهم (٥).

والخلاصة لا بد من فهم الطبيعة البشرية كما هي في الواقع، والاعتراف بما فيها من نقائص غريزية، لا يمكن التخلص منها، ثم توضع على أساس ذلك خطة الإصلاح المنشود (٦).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الرازي والبقاعي والألوسي والشعراوي (٧) وغيرهم (٨).

المثال الثاني: التناسب بين الكفر، والترّف، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤].

وجه المناسبة: جاء الترف في القرآن الكريم بمعنى التمتع بالحرام، وقد ورد ذكره في

(١) رواه الترمذي، رقم (٣٠٧٦)، وصححه الألباني .

(٢) مائة سؤال عن الإسلام، الغزالي (ص : ١٨٤) .

(٣) دروس التاريخ، ول ديورانت (ص : ١٥٥) .

(٤) في الطبيعة البشرية (ص : ٦١) .

(٥) المصدر السابق (ص: ٨٥) .

(٦) وعاظ السلاطين (ص: ٢٧١) .

(٧) انظر تفسير الرازي (٢٣٦/٢٥)، نظم الدرر (٢٣٧/٢٢)، روح المعاني (٩٦/٢٢)، تفسير الشعراوي

(٧٥٦٢/١٢) .

(٨) انظر خصائص التعبير القرآني، المطعني (٤٨٣/١)، دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار،

العيداني (ص : ٦٨) .

ثمانية مواضع، كلها في ذم الترف والتحذير منه^(١) وأنه من صفات الكفار .
وورد في القرآن الكريم أن الترف من أسباب هلاك الأمم السابقة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]. "هذا النص قليل الألفاظ، فيه معان كثيرة، لأنه سبحانه يشير إلى أن هلاك الأمم، إنما يكون إذا شاع الفساد بين آحادها، وإنما يشيع الفساد ممن غلبت أهواؤهم، وسيطرت عليهم شهواتهم، وأن ذلك من الذين نشؤوا مترفين، لا يرون حق الحياة خالصة إلا لهم، فيعم الفساد في الأرض، وتتقطع الأمة وتتنافر، وكل ذلك من سيطرة المترفين"^(٢).

إذن فقد ربط القرآن بين الفسق والترف، والهلاك كما في هذه الآية^(٣).
لذلك انحسر الإسلام في أماكن كثيرة، كما في بلاد الأندلس، بعدما أفسد الترف الخاصة والعامة، وبعدها أنشئت بها بحيرات من المسك، على شطآنها أحوال من العنبر^(٤).

ومن الأدلة على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٣].

إن المترفين يقاومون الدعوات الجديدة دائماً، وهم ميالون للمحافظة على ما وجدوا آباءهم عليه من قيم وعادات^(٥).

ولذلك قام أثرياء أهل مكة بمحاربة محمد ﷺ، ورأوا أن مصلحتهم في البقاء على النظام الديني السائد، الذي يضمن هيمنتهم على الطبقات الفقيرة، فكانت طبقة الأثرياء في مكة مناقضة كل المناقضة للأخلاق الحميدة، والنظم الاجتماعية الجديدة التي جاء بها الإسلام^(٦).

إن الترف سبب للاستعلاء والاستغناء، الذي يعقبه الكفر، والتجبر، لذلك قال

(١) عادات القرآن الأسلوبية، الثنيان (١/١٥٣).

(٢) المعجزة الكبرى، أبو زهرة (ص: ٢٣٧).

(٣) كيف تتعامل مع القرآن، الغزالي (ص: ١٣٤).

(٤) نظرات في القرآن، الغزالي (ص: ١٨٧).

(٥) مهزلة العقل البشري (ص: ١٢٩).

(٦) دراسات قرآنية: يوم الدين والحساب، شكري عياد (ص: ١١٤)، نقلاً عن أدبية النص القرآني (ص: ١١١).

سبحانه: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَافِرٌ ﴾ [العلق: ٦-٧].

قال ابن القيم: "إن الاستغناء عن الله، سبب هلاك العبد، وتيسيره لكل عسرى، ورؤيته غنى نفسه سبب طغيانه، وكلاهما مناف للفقر والعبودية"^(١).

إن الترف إذا تغلغل في أمة، جعلها منغمسة في شهواتها مشتغلة بسفاسف الأمور، تاركة عظام الأمور وكبارها، فتلهو بذلك عما ينفعها في دينها ودنياها، لذلك كان هذا التحذير والوعيد من الترف والبطر بالنعم، المؤدّي لا محالة إلى النار، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [الواقعة: ٤٥].

قال السعدي: " أي قد ألتهم دنياهم وعملوا لها وتعموا وتمتعوا بها، فألهاهم الأمل عن إحسان العمل، فهذا هو الترف الذي ذمهم الله عليه "^(٢).

لذلك كله يرى القرآن أن وجود الطبقات المترفة خطر داهم، يتهدد الحياة الإنسانية، ويرى أن تأمين الشعوب على سعادتها، وحققها، يتطلب اتخاذ الوسائل الممكنة، للحيلولة دون الترف والمترفين، وقد ذكر القرآن عدة أسباب لتسوية هذه الخطة الحاسمة. أولاً: يقرّر القرآن أن المترفين أعداء كل إصلاح، وأنهم خصوم الحق المتألبون ضده، في كل زمان ومكان، تكاد لا تثبت دعوة للحق والشرف، حتى ينأوا عنها، متخذين نحوها صفة أحزاب المعارضة.

ثانياً: يقرر القرآن أن الطبقات المترفة مصدر فساد عريض، ومثار فتن متجددة، وأنها بجوار غيرها من طبقات الأمة تشبه المستقع الراكد، لا تزال تهيج منه جرائم المرض. ومرجع ذلك إلى أن حياة الترف تحول دائماً عن مشاغل العمل، وأسباب الكفاح، ولا يتسع الميدان فيها إلا للبطالة واللهو.

ثالثاً: أن المترفين كما يقرر القرآن أعداء الشعوب، وأن على الشعوب التي تريد الحياة الكريمة في الدنيا، والحياة السعيدة في الآخرة، ألا توالي هؤلاء الطغاة، والا كان مصيرهم مصير القائلين: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨]^(٣).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الرازي وابن جزري وأبي حيان والباقين والألوسي وابن عاشور^(٤) وغيرهم^(٥).

(١) بدائع التفسير (٣/٣٤٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٨٣).

(٣) الإسلام والأوضاع الاقتصادية (ص: ٣٣-٣٨).

(٤) انظر تفسير الرازي (١٦/١٠٣) (٢٠/١٧٧)، التسهيل (٢/٢٠٧)، البحر المحيط (٧/٢٧٢)، نظم الدرر

(١٧/٤١١)، روح المعاني (٢٢/١٤٧)، التحرير والتنوير (١٥/٥٥).

(٥) انظر قطاف الأفانين، ندى الكريديس (ص: ١٦٥).

المثال الثالث: التناسب بين المسكين والتراب، في قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤-١٦].

وجه المناسبة: أن الرجل إذا افتقر ذلّ، وتصاغر ونزل إلى الأرض، فيلصق بها وبترابها، من شدة الحاجة و البؤس، لذلك ذكر الله هذا الوصف للمسكين تأكيداً لحاجته، وضره، فليس فوقه ما يستره، ولا تحته ما يؤطئه^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: "المطروح الذي ليس له بيت" وفي رواية أخرى "التُّرْبُ الذي لا يقيه من التراب شيء"^(٢).

قال سعيد حوى^(٣): "أي ذا افتقار فهو من فقره لصق في التراب، فأصبح التراب مأواه"^(٤).

إن الإنسان إذا اغتنى ترفع، وتكبر ونظر إلى الأعلى رافعاً أنفه إلى السماء، وتحرك يميناً وشمالاً، أما إذا افتقر فإنه يخلد إلى الأرض، ويصبح معدوم الحركة، لاصقاً بالتراب، لا يستطيع الانتقال فكأن إرادته وحركته وجميع حواسه قد أهدمت وشلت، إذ المسكين في كلام العرب الذي سكّنه الفقر، أي قلّل حركته، واشتقاقه من السكون^(٥)، وربما أنه يفقد بعض خواصه الإنسانية، وهنا قصة تؤكد ذلك أوردها الدكتور جلال أمين^(٦) مفادها أن امرأة مسكينة لها ستة أطفال، فقدت ثلاثة منهم في حريق شبّ في إحدى بلاد الصعيد في مصر، فجاء الصحفيون إلى هذه البلدة، ليلتقوا المتضررين، ويعاينوا الحدث عن قرب، ومن ضمن هؤلاء: كاتبة صحفية التقت هذه الأم التي فقدت ثلاثة من أطفالها، وسألتها عدة أسئلة، ثم بعد ذلك تصف هذه الكاتبة الصحفية حال الأم فنقول: "إنها لم تكن تبكي على أولادها الذين فقدتهم في الحريق، كما لم تكن تبكي على أولادها الأحياء الذين لا يجدون لقمة العيش، لأن أباهم تركهم وهرب إلى العراق، ولم يرسل مليماً واحداً" ثم علّقت الكاتبة الصحفية على حالة هذه الأم بقولها: "إن الحزن نوع من الرفاهية، لا يقدر عليه إلا من يملك الحد الأدنى من متطلبات الحياة الأدمية"^(٧).

(١) تفسير الرازي (١٨٧/٣١) وانظر له أيضاً (١١٠/١٦-١١١).

(٢) رواهما الحاكم في المستدرک برقم (٣٩٩٤ و ٣٩٩٥) وصحح الأول وسكت عن الثاني .

(٣) سعيد بن محمد بن ديب حوى، ولد في حماة، له مؤلفات كثيرة، من أشهرها (الأساس في التفسير)، توفي

سنة ١٤٠٩ هـ . تكملة معجم المؤلفين، خير رمضان يوسف (ص : ٢١٠) .

(٤) الأساس في التفسير (٦٥٣١/١١) .

(٥) التمهيد، ابن عبد البر (٥٢/١٨) .

(٦) جلال أحمد أمين، ابن الأديب المشهور أحمد أمين، وهو كاتب وعالم اقتصاد، له عدة مؤلفات منها: (ماذا

علمتني الحياة : سيرة ذاتية) .

(٧) شخصيات مصرية فذة (ص: ٩٨) .

لذلك قال ﷺ: "أبغوني الضعفاء ؛ فإنما ترزقون وتتصرون بضعفائكم"^(١). وأوصى بهم كثيراً كما قال أبوذر رضي الله عنه: "أمرني رسول الله بحُب المساكين والذنوّ منهم"^(٢)، وأوصى بهم في مرض موته بقوله صلى الله عليه وسلم: "من خُتم له بإطعام مسكين محتسباً على الله عز وجل دخل الجنة"^(٣).

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]: "يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله، بخلقه وإنشائه لها، وإنما مؤلّم إياها، وخولكم الاستمتاع بها، وجعلكم خُلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة. وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنوّاب"^(٤).

وقد نبّه محمد عبده إلى هذه الدلالة في كلمة (الأموال)، التي أضيفت إلى ضمير الجمع في سبع وأربعين آية، بينما لم تضاف إلى ضمير الفرد إلا في سبع آيات^(٥) فقال إن ذلك "للتببيه على ما قرّرناه مراراً من تكافل الأمة في حقوقها، ومصالحها، كأنه يقول إن مال كل واحد منكم، هو مال أمّتكم، فإذا استباح أحدكم أن يأكل مال الآخر بالباطل، كان كأنه أباح لغيره أكل ماله، وهضم حقوقه، لأن المرء يُدان كما يدين، وأن في هذه الإضافة تنبيهاً إلى مسألة أخرى، وهي أن صاحب المال الحائز له، يجب عليه بذله للمحتاج، فكما لا يجوز للمحتاج أن يأخذ شيئاً من مال غيره بالباطل كالسرقة والغصب، لا يجوز لصاحب المال أن يبخل عليه بما يحتاج إليه"^(٦).

إن الإسلام يريد رجلاً جيّاش العاطفة بالعتاء، صادق الحس بآلام الآخرين، ينطلق كالسهم في تفريجها دون توقف، ولو كان يتعامل مع غير أبناء دينه، إن النبع السيّال لا يحبس بره عن محتاج^(٧)، ولهذا جاء في الحديث المشهور "أن امرأة بغياً سقت كلباً فغفر الله لها"^(٨)، فلئن كانت الرحمة بكلب تغفر ذنوب البغايا، فإن الرحمة بالبشر تصنع العجائب^(٩).

(١) رواه أبو داود رقم (٢٥٩٤) وصححه الألباني.

(٢) مسند أحمد رقم (٢١٤١٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٥٢٥).

(٣) مسند أحمد رقم (٢٣٣٢٤) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٦٤٥).

(٤) الكشاف (٤٣/٦).

(٥) المعجم المفهرس، عبد الباقي (ص : ٧٧٨).

(٦) الأعمال الكاملة (١٩٤/٥).

(٧) كنوز من السنة، الغزالي (ص : ١٤٧).

(٨) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم (٣٤٦٧)، ومسلم رقم (٢٢٤٥).

(٩) خلق المسلم، الغزالي (ص : ٢١٨).

وهذه المناسبة قد أشار إليها أيضاً كل من القرطبي والشوكاني والألوسي والشنقيطي وابن عاشور^(١) وغيرهم^(٢).

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٠٤/٢٢)، فتح القدير (٥٩٥/٥)، روح المعاني (١٢١/١٠)، أضواء البيان (٦٥٨/٥)، التحرير والتتوير (٣٥٩/٣٠).

(٢) إشراقات قرآنية، العودة (٤٣٩/١).

المطلب الثاني

المناسبة بين اسم وفعل

سبق ذكر تقسيم علماء النحو للجملة، وأن لهم في ذلك أغراضاً بلاغية. ومنها أنهم يأتون بالجملة الفعلية عند التعبير عن معنى التجدد والحدوث، كقولهم: ينزل المطر، ومما يدل على ذلك من القرآن قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ١٨ - ١٩]، ففي الآيات جملتان: فعلية وهي قوله (يسبحن)، واسمية وهي قوله (والطير محشورة)، والسر البياني في هذا أن تسبيح الجبال أمر متجدد لداود عليه السلام، وليس كذلك حشر الطير، فإن الطير لا تحشر شيئاً فشيئاً، بل تحشر جملة واحدة، وهذا أدل على القدرة الإلهية^(١).

قال الزمخشري مبيناً التناسب في ذلك: "فإن قلت: هل من فرق بين (يسبحن) و(مسبحات) قلت نعم، وما اختير (يسبحن) على (مسبحات)، إلا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال، وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح " وقوله (محشورة) في مقابلة (يسبحن) إلا أنه لم يكن في الحشر ماكان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء، جيء به اسماً، لا فعلاً، وذلك أنه لو قيل (وسخرنا الطير يحشرن) على أن الحشر يوجد من حشرها شيئاً بعد شيء، والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفاً لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة"^(١).

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين (يمسك) و(العذاب) و(الرحمن) في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴾ [مريم: ٤٥]. **وجه المناسبة:** ذكر كلمة المس التي فيها تخفيف العقاب، ونكر كلمة (عذاب)، وذكر (الرحمن) ولم يذكر الجبار.

قال ابن القيم: " فنسب الخوف إلى نفسه دون أبيه، كما يفعل الشفيق الخائف على من يشفق عليه، وقال (يمسك)، فذكر لفظ المس الذي هو اللطف من غيره، ثم نكر العذاب، ثم ذكر الرحمن، و لم يقل الجبار ولا القهار فأى خطاب اللطف وألين من هذا"^(٢).

(١) الكشاف (٥/٢٥٠).

(٢) بدائع الفوائد (ص: ١٠٦٢).

وقال الزركشي: "لم يخلُ هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرِّح فيه بأن العذاب لاحق له، ولكنه قال (إني أخاف) فذكر الخوف، والمسّ، وذكر العذاب، ونكره ولم يصفه بأنه يقصد التهويل، بل قصد استعطافه، ولهذا ذكر (الرحمن) ولم يذكر المنتقم ولا الجبار"^(١).

إن ذكر كلمة (الرحمن) مع كلمة (المس) و(العذاب)، تدل على مناسبة هذه الكلمة، ليس فقط للآية بل للسورة كلها، فالسورة تبدأ بالرحمة ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ [مريم: ٢]. وتشيع ألفاظ الرحمة في السورة من أولها إلى آخرها، وقد تكرر لفظ (الرحمن) في هذه السورة ست عشرة مرة، ولم يرد لفظ الرحمن في سورة البقرة إلا مرة واحدة. وفي خاتمة السورة قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦].

وهكذا ابتدأت السورة بالرحمة، وتنتهي بالرحمة، ويشيع جوها كله بالرحمة، وتستأثر باسم الرحمن فلا تدانيها في ذلك سورة من السور^(٢). وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الزمخشري، والبيضاوي والألوسي والشعراوي^(٣) وغيرهم^(٤).

المثال الثاني: التناسب بين (عُفي) و(أخيه)، في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وجه المناسبة: أن الله سبحانه سمى القاتل أحياناً للمقتول، وأشار بقوله (عُفي) إلى استحباب العفو، حتى سماه صدقة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ [المائدة: ٤٥].

قال ابن عاشور بعد ذكر أقوال المفسرين في الآية: "اتفق جميعهم على أن المقصد منها الترغيب في المصالحة عن الدماء، وينبغي ألا نذهب بأفهام الناظر طرائق قديداً، فالقول الفصل أن نقول: إن ما صدق مَنْ في قوله (فمن عفي) هو ولي المقتول، وإن المراد بأخيه هو القاتل، وُصِفَ بأنه أخ، تذكيراً بإخوة الإسلام، وترقيقاً لنفس وليّ

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/٣٨١)

(٢) التعبير القرآني، السامرائي (ص: ٢٥٣-٢٥٥).

(٣) انظر الكشاف (٤/٢٤)، تفسير البيضاوي (١٢/٢٤٠)، روح المعاني (١٦/٩٨)، تفسير الشعراوي (١٥/٩١٠٠).

(٤) انظر الحجاج في القرآن، صولة (ص: ٢١١)، من بلاغة النظم القرآني، بسيوني (ص: ٤٣)، في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، قصاب (ص: ٥٥).

المقتول، لأنه إذا اعتبر القاتل أخاً له، كان من المروءة ألا يرضى بالقود منه، لأنه كمن رضي بقتل أخيه" ثم قال "ومعنى (عفي له من أخيه) أنه أعطى العفو، أي الميسور على القاتل من عوض الصلح. ومن معاني العفو أنه الميسور من المال الذي لا يجحف بباذله، وقد فسّر به العفو من قوله تعالى: (خذ العفو)، و إيثار هذا الفعل لأنه يؤذن بمراعاة التيسير والسماحة، وهي من أخلاق الإسلام، فهذا تأكيد للترغيب الذي دلّ عليه قوله (من أخيه)"^(١).

ويقول البوطي: " إن الآية وهي تقرّر هذا الحكم العقلي الفقهي، تثير في ولي المقتول عاطفة الإخاء الإنساني نحو القاتل، عسى أن تحمله على شيء من التجاوز عن حقه، فما هي وسيلة هذه الإثارة؟ إنها كلمة واحدة أيضاً وهي قوله (أخيه)، وانظر إلى طبيعة هذه الكلمة، وموقعها في الآية، إنها تذكر ولي المقتول تذكيراً، دون أن تأمره أو توجّهه إلى شيء، كلمة تحاول بتصويرها العاطفي المباشر، أن تذكر وليّ القصاص، بأنه أخ قريب للقاتل، وأن تُنسيه أنه وليّ للمقتول، وشتان ما بين الوصفين، من تصوير وإيحاء، أما الأولى فتوحي بالرحمة والصفح وأما الآخر فيوحي إليه بما يملك من صلاحية التشفي والانتقام، ولو استبدلت بهذه الكلمة التصويرية المباشرة أي جملة توجيهية أخرى، تخاطب بها الفكر والعقل، لما أغنت شيئاً ولما أغنى العقل - وإن اقتنع بها - أي شيء، لأن النفس هي الملتاعة، المتوثبة للتشفي والانتقام، لا العقل أو الفكر وحده"^(٢).

وقد ورد في السنة النبوية ما يؤكد هذا المعنى، كما في صحيح مسلم^(٣): "أنه جاء رجل يقود آخر بنسعة فقال: يا رسول الله هذا قتل أخي، فقال رسول الله ﷺ: أقتلته؟ فقال: إنه لو لم يعترف أقتت عليه البيّنة. قال: نعم قتلتته. قال: كيف قتلتته؟ قال: كنت أنا وهو نختبئ من شجرة، فسبني فأغضبني؛ فضررته بالفأس على قرنه فقتلته. فقال له النبي ﷺ: هل لك من شيء تؤديه عن نفسك؟ قال: ما لي مال إلا كسائي وفأسي. قال: فترى قومك يشترونك؟ قال: أنا أهون على قومي من ذلك. فرمى إليه بنسعته وقال: دونك صاحبك؛ فانطلق به الرجل فلما وليّ قال ﷺ: إن قتله فهو مثله، فرجع فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك قلت: إن قتله فهو مثله، وأخذته بأمرك. فقال رسول الله ﷺ: أما تريد أن يبيوء بإثمك وإثم صاحبك؟ قال: يا نبي الله (لعله قال) بلى: قال: فإن ذلك كذاك. قال: فرمى بنسعته وخرى سبيله".

(١) التحرير والتنوير (٢/١٤١).

(٢) منهج تربوي فريد في القرآن، محمد سعيد البوطي، على الرابط : <http://www.mohyessin.com/forum/showthread.php?t=205>

(٣) صحيح مسلم رقم (١٦٨٠)

قال النووي (ت ٦٧٦): " أما قوله ﷺ: (إن قتله فهو مثله) فالصحيح في تأويله أنه مثله في أنه لا فضل ولا مئة لأحدهما على الآخر، لأنه استوفى حقه منه، بخلاف ما لو عفا عنه، فإنه كان له الفضل والمئة، وجزيل ثواب الآخرة، وجميل الثناء في الدنيا . وقيل (فهو مثله) في أنه قاتل وإن اختلفا في التحريم والإباحة، لكنهما استويا في طاعتها الغضب، ومتابعة الهوى، لا سيما وقد طلب النبي ﷺ منه العفو، وإنما قال النبي ﷺ ما قال بهذا اللفظ الذي هو صادق فيه، لإيهام لمقصود صحيح، وهو أن الولي ربما خالف فعفا، والعفو مصلحة للولي والمقتول في دينهما، لقوله ﷺ " يبوء بإثمك وإثم صاحبك " وفيه مصلحة للجاني، وهو إنقاذه من القتل، فلما كان العفو مصلحة توصل إليه بالتعريض " (١).

إن القرآن وهو يسوق الأحكام والتشريعات، يربطها بالجوانب الروحية والأخلاقية^(٢)، ليدل بذلك على أن المقصود الأعظم في الدين هو الإيمان والأخلاق، والدليل على ذلك أيضاً " إن مادة القانون الشرعي في العقوبات الخاصة وشتى الأحكام الجزئية لا تستغرق بضع صفحات، أما مئات الصفحات الباقية في القرآن الكريم فهي تستهدف دعم اليقين وتثبيت شعبه في أعماق النفوس"^(٣) . وقد أشار إلى هذه المناسبة الزمخشري والبقاعي وأبو السعود والقونوي^(٤) والألوسي والسعدي والشعراوي^(٥) وغيرهم^(٦).

المثال الثالث: التناسب بين الصلاة، والرزق في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].
وجه المناسبة: الترابط بين إقامة الصلاة - وهي نوع من أنواع العبادة - مع حصول الرزق، يدل على أن المرء إذا تيسرت له سبل العيش الكريم سهّل عليه القيام بعبادة ربه سبحانه وتعالى، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام كما في الآية السابقة وكما في سورة البقرة ﴿ وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٢٦].
وقال سبحانه: ﴿ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّن

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم (ص: ١٠٧٧).

(٢) كيف نتعامل مع القرآن الكريم، الغزالي (ص: ٤٤٩).

(٣) الإسلام والطاقت المعطلة، الغزالي (ص: ٦٤).

(٤) عصام الدين إسماعيل بن محمد، من فقهاء الحنفية، مفسر، له حاشية على تفسير البيضاوي، توفي ١١٩٥ هـ. الأعلام (٣٢٥/١).

(٥) انظر الكشاف (٣٧٠/١)، نظم الدرر (٢٧/٣)، إرشاد العقل السليم (١٩٥/١)، حاشية القونوي على البيضاوي (٤٧٧/٤)، روح المعاني (٥٠/٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٤)، تفسير الشعراوي (٧٤٧/٢).

(٦) جماليات المفردة القرآنية، ياسوف (ص: ٣٠٧).

﴿خَوْفٍ﴾ [قریش: ٣-٤].

قال الرازي عند قوله ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾: "المطلوب من الله تعالى، هو أن يجعل البلد آمناً كثيراً الخصب، وهذا مما يتعلق بمنافع الدنيا، فكيف يليق بالرسول المعظم طلبها؟ والجواب من وجوه أحدها: أن الدنيا إذا طلبت ليتقوى بها على الدين، كان ذلك من أعظم أركان الدنيا، فإذا كان البلد آمناً، وحصل فيه الخصب، تفرغ أهله لطاعة الله تعالى، وإذا كان البلد على ضد ذلك، كانوا على ضد ذلك". (١).

وقال ابن عاشور: "ومقصد إبراهيم من دعوته هذه، أن تتوفر لأهل مكة أسباب الإقامة فيها، فلا تضطرهم الحاجة إلى سكن بلد آخر، لأنه رجا أن يكونوا دعاة لما بنيت الكعبة لأجله، من إقامة التوحيد وخصال الحنيفية وهي خصال الكمال" (٢)، وقد ورد عنه ﷺ الاستعاذة بالله من الفقر مقترناً باستعاذته من الكفر إذ قال: "اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر" (٣)، وفي رواية: "أعوذ بك من الكفر والدين، فقال رجل: يارسول الله: وتعذل الكفر بالدين؟ قال: نعم" (٤) قال المناوي: "قرن الفقر بالكفر، لأنه قد يجز إليه" (٥)، وفي حاشية السندي: "أن قرانهما في الذكر، يقتضي قوة المناسبة بينهما في المضرة، بحيث أن كلا منهما يساوي الآخر" (٦)، فبينهما ارتباط .
ولذلك ورد في الأثر: "كاد الفقر أن يكون كفراً" (٧).

إن الفقر قد يلجئ صاحبه إلى فعل أي كبيرة و رذيلة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

وقال ﷺ عندما سُئل أي الذنب أعظم؟ وذكر منها: "أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك" (٨)، وقال ﷺ مبيناً أثر الدين على صاحبه: "إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف" (٩)، وجاء في الأحاديث أن الرجل قد يستعفف بالمال عن فعل الكبائر، كما في حديث الرجل الذي تصدق بصدقة، فوقع في يد سارق وغني وزانية، فقيل له: "أما صدقتك على سارق، فلعله أن يستعفف عن سرقة، وأما الزانية فلعلها أن تستعفف عن

(١) تفسير الرازي (٥٩/٤).

(٢) التحرير والتنوير (٧١٦/١).

(٣) سنن أبي داود رقم (٥٠٩٠)، قال الألباني: حسن الإسناد.

(٤) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الذهبي، المستدرک مع التلخيص (٥٣٢/١).

(٥) فيض القدير (١٣٥/٢).

(٦) حاشية السندي على النسائي (٦٥٨/٨).

(٧) رواه البيهقي في شعب الإيمان مرفوعاً، رقم (٦١٨٨)، وقال الفتني: ضعيف مرفوعاً، لكن صح من قول أبي سعيد الخدري، تذكرة الموضوعات (ص: ١٧٤).

(٨) البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ رقم (٧٥٢٠).

(٩) البخاري كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب الاستعاذة من الدين رقم (٢٣٩٧).

زناها، وأمّا الغني فلعلّه يعتبر فينفق مما أعطاه الله" رواه البخاري ومسلم^(١).
قال أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥): " نظام الدنيا أعني مقادير الحاجة شرط لنظام
الدين " ^(٢) و"نظام الدين بالمعرفة والعبادة، ولا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن، وبقاء
الحياة، وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات"^(٣) " فلا ينتظم الدين إلا
بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقاً بحراسة
نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى ينفرغ للعلم والعمل، وهما
وسيلتاها إلى سعادة الآخرة " ^(٤).

إنّ الدين الإسلامي يُغرس في الجو المناسب لغرسه، قال الغزالي: " وقد رأيت بعد
تجارب عدة، أنني لا أستطيع أن أجد بين الطبقات البائسة الجو الملائم لغرس العقائد
العظيمة، والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، إنه من العسير جداً أن تملأ قلب إنسان
بالهدى، إذا كانت معدته خالية، أو أن تكسوه بلباس التقوى إذا كان بدنه عارياً " ^(٥)،
وقال: " ولست هنا أنكر قيمة الوازع الأدبي، أو أحاول بخس الضمير الإنساني حقه، فقد
توجد أحوال شديدة تقف الإنسان على شفا جرف هار، وتطلق فيه غرائزه الدنيا،
ويتضافر الحرمان والإغراء معاً على سؤق المرء إلى الجريمة سوقاً عنيفاً، ومع ذلك
يتراجع عنها، ويستتكمف مقارفتها، وتتنصر مواهبه العليا آخر النزاع، غير أن هذه
الأحوال لا يجوز انتظارها من كافة البشر، بل لا يجوز انتظارها أبداً على تطاول
الأزمنة، واختلاف الأحوال من إنسان يضيء الإيمان قلبه، مهما بلغ فضله وربما
علمه " ^(٦).

لذلك ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صعد المنبر يوماً، فحمد الله ثم قال: " إنّنا
أجرينا عليكم أعطياتكم، وأرزاقكم في كل شهر - وفي يديه المدي والقسط ^(٧) - قال: ثم
حركهما فمن انتقصهم ففعل الله به كذا وكذا قال فدعا عليه ^(٨) . هكذا قال الخليفة
العقبوري رضي الله عنه الذي كان بحق رجل دولة، من طراز فريد.

لكن للأسف جاء من ينتقص هذه الأعطيات على الأمة، وجعلها تركض طوال

(١) البخاري كتاب الزكاة باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم رقم (١٤٢١) ومسلم رقم (١٠٢٢).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص : ٢٣٦) .

(٣) المصدر السابق (ص : ٢٣٥) .

(٤) المصدر السابق (ص : ٢٣٦) .

(٥) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص : ٤٢ - ٤٣ .

(٦) المصدر لسابق .

(٧) القسط : نصف الصاع، والمدي : مكيال لأهل الشام يسع خمسة عشر مكوكاً، والمكوك : صاع ونصف

وقيل أكثر من ذلك . النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (ص : ٨٦٢) .

(٨) الأموال لأبي عبيد، بإسناد حسن رقم (٦٢٥) .

حياتها في معركة الخبز، وتئنّ تحت نير الفقر والجوع والمرض عقوداً طويلة، لكنها بحمد الله نفضت عنها غبار الذل، ورفعت عن كاهلها أنقال التسلط، فخرجت تطالب بحقوقها التي انتقصت، وما أمر ثورات الربيع العربي عنا ببعيد.

إذن فلا بد لمن أراد التغيير أن يوفر للمجتمعات ضرورياتها، وحاجياتها، ثم يطالبها بعد ذلك بالإصلاح المنشود ولذلك قيل: "غير ظروف الناس، تتغير بذلك أخلاقهم"^(١).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الخازن، وابن كثير، والبقاعي^(٢)، وغيرهم^(٣).

(١) وعاظ السلاطين (ص: ٨٥).

(٢) تفسير الخازن (٨٨/٣)، تفسير ابن كثير (٥١٤/٤)، نظم الدرر (٤٢٨/١٠).

(٣) إشراقات قرآنية، العودة (٣١٢/٢).

المطلب الثالث

المناسبة بين اسم وحرف

للحروف دور كبير في إظهار المعنى، وتقويته، ولذلك تتغير معاني الكلمة الواحدة، سواء كانت اسماً أو فعلاً بتغير ما يتعلق بها من حروف، فمثلاً كلمة (راغب عن) غير (راغب في)، وقد يكون المعنى الذي يستعمل فيه حرف معين، مختلفاً عن مشابهه الذي يستعمل فيه حرف آخر، فالظرفية التي يستعمل فيها حرف (الباء) غير الظرفية التي يستعمل فيها حرف (في)، والتعليل الذي يفيد حرف (اللام)، غير التعليل الذي يفيد حرف (الباء) وهكذا (١).

والقرآن يختار الحرف المناسب، الذي يؤدي المعنى الدقيق في كل موضع، لذلك ينبغي على المتدبر لكلام الله الاهتمام بالحروف وما تفيد من معان دقيقة، قال الزركشي: "وينبغي العناية بتدبر الألفاظ كي لا يقع الخطأ، كما وقع لجماعة من الكبار، فروى الخطابي (ت ٣٨٨)، عن أبي العالية (٢): أنه سئل عن معنى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]، فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته، ولا يدري عن شفع أو وتر، قال الحسن (ت ١١٠): مه يا أبا العالية، ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم، ألا ترى قوله (عن صلاتهم)، فلما لم يتدبر أبو العالية حرف (في) و(عن) تنبه له الحسن، دلّ على أن المراد به الذهاب عن الوقت، ولذلك قال ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ [الزخرف: ٣٦]، أنه من عشوت أعشو عشواً: إذا نظرت، وغلطوه في ذلك، وإنما معناه يعرض، وإنما غلط لأنه لم يفرق بين عشوت إلى الشيء، وعشوت عنه (٣).

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين كلمة (المولود) وبين (اللام)، في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].
وجه المناسبة: لم يقل الله تعالى: (وعلى الوالد)، بل قال (وعلى المولود له) وفي

(١) معاني النحو، السامرائي (٩/٣).

(٢) رُفيع بن مهران الرياحي البصري من كبار التابعين، حافظ، مفسر، توفي سنة ٩٣ هـ. سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٤).

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢٩٤/١).

ذلك تتناسب من عدة وجوه^(١):

١- أن الولد ينفع أباه أكثر مما ينفع أمه، فهو يحمل أباه في المحافل، ويدفع عنه في الحروب، ويعتز به في القبيلة حسب مصطلح الأمم، ولأن اللام تستعمل في النفع فيقال شهد له.

٢- يدل ذلك على إعلام الوالد بفضل الله عليه، حيث منحه الولد، وأعطاه إياه دون مشقة ولا نصب من الأب، فالله وحده هو المتفضل به، حين رزقه إياه، واللام تفيد شبه التمليك، فالولد شبه الملك لأبيه، يتصرف في ماله وفي نفسه بما يختار غالباً.

٣- تذكير الوالد بواجبه في الإنفاق والكسوة، فالمرأة إنما ولدت له، ولذلك يجب عليه أن يرزقها ويكسوها إذا أرضعت ولده.

٤- إن ذلك للدلالة على أن النفقة واجبة، على كل من يكفل الوليد في حال وفاة أبيه، كجده أو أخيه أو عمه، أو غير ذلك، فالتعبير بهذه اللفظة أشمل من التعبير بالأب.

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من البيضاوي وأبي السعود والقونوي والألوسي والسعدي^(٢) وغيرهم^(٣).

المثال الثاني: التناصب بين حرف (الكاف) و (مثله)، في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وجه المناسبة: إن الله نفى عن نفسه المثل والشبيه، وقد أتى بكلمة (مثل) و(بالكاف) التي تفيد التشبيه أيضاً، فما هو سر هذه الكاف في هذه الآية؟ قال كثير من علماء النحو أنها زائدة للتوكيد، والتقدير ليس شيء مثله^(٤).

والوجه الثاني: أنها ليست زائدة بل هي على معناها، وإيضاح ذلك أنك تقول (هي مثل البدر) و(هي كمثل البدر)، فقولك (هي مثل البدر) أقرب في الشبه إلى البدر من (كمثل البدر)، وذلك لمجئك في الثانية بأداتي تشبيه: الكاف ومثل، وإذا حذفنا أداة التشبيه كان الشبه أقرب، فلو قلت (هي البدر) لكان أقرب، كما هو معلوم لأنك تدعي أنها البدر وليست شبيهة به، فلو قال تعالى (ليس مثله شيء) لكان ينفي ذا الشبه

(١) انظر الكشف (٤٥٥/١) تفسير الرازي (١٢٨/٦) البحر المحيط (٢٢٤/٢) فوائد في مشكل القرآن

(ص: ٩٩)، اللباب (١٧٤/٤)، التحرير والتنوير (٤٣٢/٢) نظرات لغوية في القرآن الكريم (ص: ١٢٣).

(٢) انظر تفسير البيضاوي (٢٨٦/٥)، إرشاد العقل السليم (٢٣٠/١)، حاشية القونوي على البيضاوي (٢٨٦/٥)،

روح المعاني (١٤٦/٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٠٤).

(٣) في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، قصاب (ص: ٥٤).

(٤) مغني اللبيب، ابن هشام (١٩/٣).

القريب، أو المثل القريب، لكنه قال (ليس كمثل شيء) مريداً بذلك نفي المشابهة من جميع الوجوه، ولو من وجه بعيد^(١).

وهناك وجه ثالث ذكره محمد دراز بقوله: "إن المقصود الأولي من هذه الجملة، وهو نفي الشبيه، وإن كان يكفي لأدائه أن يقال (ليس كالله شيء) أو (ليس مثله شيء) لكن هذا القدر ليس هو كل ما ترمي إليه الآية الكريمة، بل إنها كما تريد أن تعطيك هذا الحكم، تريد في الوقت نفسه أن تلتفتك إلى وجه حجته، وطريق برهانه العقلي، ألا ترى أنك إذا أردت أن تتفي عن امرئ نقيصة في خلقه فقلت (فلان لا يكذب ولا يبخل)، أخرجت كلامك مخرج الدعوى المجردة عن دليلها، فإذا زدت فيه كلمة فقلت (مثل فلان لا يكذب ولا يبخل) لم تكن بذلك مشيراً إلى شخص آخر يماثله، مبرراً من تلك النقائص، بل كان هذا تبرئة له هو ببرهان كلي، وهو أن من يكون على مثل صفاته وشيمه الكريمة، لا يكون كذلك، لوجود التنافي بين طبيعة هذه الصفات، وبين ذلك النقص الموهوم. على هذا المنهج القويم وضعت الآية الحكيمة قائلة: (مثلته تعالى لا يكون له مثل). تعني أن من كانت له تلك الصفات الحسنى، وذلك المثل الأعلى، لا يمكن أن يكون له شبيه، ولا يتسع الوجود لاثنتين من جنسه، فلا جرم جيء فيها بلفظين كل واحد منهما يؤدي معنى المماثلة، ليقوم أحدهما ركناً في الدعوى والآخر دعامة لها وبرهاناً، فالتشبيه المدلول عليه (بالكاف) لما تصوّب إليه النفي تأدى به أصل التوحيد المطلوب، ولفظ (المثل) المصرّح به في مقام لفظ الجلالة، أو ضميره نّبّه على برهان ذلك المطلوب"^(٢).

ففي هذا الرد الشافي على من زعم أن الكاف زائدة، بل هي مفيدةٌ أسراراً عظيمة، كما يظهر في الوجهين الأخيرين.

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الزمخشري والرازي وابن جزي والسمين الحلبي وابن عادل^(٣).

المثال الثالث: التناصب بين حرف (اللام) و(الفقراء) وما بعدهما، وكذلك بين حرف(في) و(الرقاب) وما بعدهما، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [التوبة: ٦٠].

وجه المناسبة: ذكر الله سبحانه الأصناف الثمانية المستحقة للزكاة، لكنه عبّر

(١) معاني النحو، السامرائي (٥٤/٣).

(٢) النبأ العظيم (ص: ١٦٥).

(٣) انظر الكشاف مع الانتصاف (٣٩٧/٥)، تفسير الرازي (١٥٣/٢٧)، التسهيل (٢٩٩/٢)، الدر المصون

(٥٤٣/٩)، اللباب (١٧٣/١٧).

عن الأصناف الأربعة الأولى باللام، والأربعة الأخيرة بـ (في) وقد ذكر العلماء وجهين للمناسبة في ذلك:

١- قيل: عدل عن اللام إلى (في) في الأصناف الأخيرة، للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره، لأن (في) للوعاء فنبه على أنهم أحقأ بأن توضع فيهم الصدقات، ويجعلوا مظنة لها ومصباً، وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر، وفي فك الغارمين من الغرم، من التخليص والإنقاذ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال . وهذا ما رجّحه الزمخشري^(١).

٢- وقيل أن الأصناف الأربعة الأوائل ملاك لما عساه يدفع إليهم، وإنما يأخذونه ملكاً، فكان دخول اللام لائقاً بهم . وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم، بل ولا يصرف إليهم، ولكن في مصالح تتعلق بهم، فالمال الذي يصرف في الرقاب، إنما يتأوله السادة المكاتبون والبائعون، فليس نصيبهم مصروفاً إلى أيديهم، حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يُصرف نحوهم، وإنما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به، وكذلك الغارمون إنما يُصرف نصيبهم لأرباب ديونهم، وهكذا البقية. وهذا ما رجّحه ابن المنير^(٢) والخازن^(٣).

والوجه الثاني أرجح، لأن تقديم القرآن لهم يدل على أحقيتهم، وكذلك أوصافهم في الجملة لازمة لهم كالفقر والمسكنة، بعكس الأربعة الأخيرة فإن الأوصاف عارضة وطارئة عليهم .

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الرازي وابن تيمية وابن عادل وأبي السعود^(٤) وغيرهم^(٥).

(١) الكشاف (٦٠/٣-٦١).

(٢) الانتصاف لابن المنير، مطبوع على هامش الكشاف (٦٠/٣) .

(٣) تفسير الخازن (٢٥٣/٢).

(٤) انظر تفسير الرازي (١١٥/١٦)، دقائق التفسير (٨٦/٣)، اللباب (١٢٦/١٠)، إرشاد العقل السليم (٧٦/٤).

(٥) انظر فقه الزكاة، القرضاوي (٦١٢/٢)، العلم وصفاً لله في البيان القرآني، شومه البلوي (١٦٧١/٣)، البيان في ضوء أساليب القرآن، لاشين (ص : ١٧٧) .

المطلب الرابع

المناسبة بين فعل وفعل

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناصب بين (خانوا) و (أمكن)، في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١].

وجه المناسبة: ذكر الله في القرآن عدة صفات للكفار، مثل الاستهزاء والكيد والمكر، وكان يعاملهم بما يناسب تلك الصفات قال تعالى:

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

وقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [التوبة: ١٤٢].

هذه الصفات تكون كمالات إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها ؛ لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد، ولذلك قال سبحانه في مقابلة خداع المنافقين: (وهو خادعهم)، فأتى بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام^(١) ليفيد أن خداع الله لهم هو الأكمل والدائم مهما حاولوا المخادعة، وقال أيضاً في مقابلة استهزائهم: (الله يستهزئ بهم) كذلك أتى بالجملة الاسمية ليفيد أن الله هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ، الذي ليس استهزؤهم إليه باستهزاء^(٢).

لكن هذه الصفات تكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بها . أما صفة الخيانة فإنها صفة ذم مطلقاً ولهذا لم يذكر الله تعالى أنه خان من خانوه في قوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١]، بل قال سبحانه: (فأمكن منهم) ولم يقل (فخانهم) لأن الخيانة خدعة، ونفاق، ونقض للعهد، في مقام الائتمان، لا تليق بالله تعالى^(٣)، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]. وقال صلى الله عليه وسلم: " إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين " ^(٤)، وقال أيضاً: " أدّ الأمانة

(١) البلاغة فنونها وأفانها - علم المعاني - عباس (ص : ٩٦)

(٢) الكشاف (١/١٨٥).

(٣) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، العثيمين (ص: ٢٩)، القول المفيد، العثيمين (٢/٢٠٢)، معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد (ص: ٢٤٦).

(٤) رواه أبو داود رقم (٢٦٨٣) وصححه الألباني .

إلى من ائتمنك ولا تخن من خائنك " (١) .

فلما كانت الخيانة صفة نقص مطلقاً، ناسب أن يقول (أمكن) في مقابلة خيانتهم.

المثال الثاني: التناسب بين (تجوع) و(تعري) وكذلك بين (تظماً) و(تضحى)، في

قوله تعالى ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ [طه: ١١٨ -

١١٩].

وجه المناسبة:

قال ابن القيم: " كيف قابل الجوع بالعري، والظماً بالضحى، و الواقف مع القلب ربما يخيل إليه أن الجوع يقابل بالظماً، والعري بالضحى، والداخل إلى بلد المعنى يرى هذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة والجلالة، لأن الجوع ألم الباطن والعري ألم الظاهر فهما متناسبان في المعنى، وكذلك الظماً مع الضحى لأن الظماً موجب لحرارة الباطن، والضحى موجب لحرارة الظاهر، فاقتضت الآية نفي جميع الآفات ظاهراً وباطناً" (٢).

وهناك وجه آخر لطيف، وهو أن الله أجرى الخطاب على مستعمل العادة لأن العادة أن يقال: جاع عريان، ولم يستعمل في هذا الموضع عطشان ولاظمان، وفي (تظماً) و(تضحى) تناسب، لأن الضاحي هو الذي لا يستره شيء عن الشمس، والظمان شأن من كانت هذه حاله (٣).

والوجه الثالث ذكره ابن المنير (٤) فقال: " وفي الآية سر بديع من البلاغة يسمى قطع النظير عن النظير، وذلك أنه قطع الظماً عن الجوع، والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب، والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم، وتصنيفها ولو قرن كلاً بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحد" (٥).

والوجهان الأولان أقوى لأن الأصل ذكر النظير مع نظيره.

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من ابن عطية والسمين الحلبي وأبي حيان

وأبي السعود والألوسي والشنقيطي وابن عاشور (٦) وغيرهم (٧).

(١) رواه أبو داود رقم (٣٥٣٥) و صححه الألباني .

(٢) بدائع الفوائد (ص: ١٢٢٩).

(٣) العمدة، ابن رشيق (١ / ٢٥٩) .

(٤) أحمد بن محمد بن منصور من علماء الأسكندرية، وأدبائها، ولي قضاءها وخطابتها مرتين، له كتاب

(الانتصاف من الكشاف) توفي سنة ٦٨٣ هـ . الأعلام (١/ ٢٢٠) .

(٥) الانتصاف لابن المنير، مطبوع على هامش الكشاف (٤/ ١١٤) .

(٦) انظر المحرر الوجيز (٤/ ٦٧)، الدر المصون (٤/ ٥٦٥)، البحر المحيط (٦/ ٢٦٣)، إرشاد العقل السليم

(٦/ ٤٦)، روح المعاني (٧/ ١١٣)، أضواء البيان (٤/ ٦٥٥)، التحرير والتنوير (١٦/ ٣٢٢) .

(٧) البديع في ضوء أساليب القرآن، لاشين (ص: ٤٦، ١٥٠) .

المثال الثالث: التناسب بين (ا مشوا) و(اصبروا) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٦].

وجه المناسبة: مناسبة قوله (امشوا) لقوله (اصبروا)، أن القوم يريدون الاستمرار على ما كانوا عليه من عبادة الآلهة، فهو المناسب للصبر أي استمروا عليها وجاهدوا نفوسكم في الصبر على عبادتها^(١).

قال الخطابي: "وقول من زعم أنه لو قيل بدله: امضوا وانطلقوا كان أبلغ، فليس الأمر على ما زعمه بل المشيء في هذا المحل أولى وأشبه بالمعنى، وذلك لأنه إنما قصد به الاستمرار على العادة الجارية، ولزوم السجية المعهودة في غير انزعاج منهم، ولا انتقال عن الأمر الأول، وذلك أشبه بالثبات والصبر المأمور به في قوله (واصبروا على آلهتكم)، والمعنى كأنهم قالوا: امشوا على هيئتكم وإلى مهوى أموركم ولا تعرجوا على قوله ولا تبالوا به . وفي قوله: امضوا وانطلقوا زيادة انزعاج، ليس في قوله (امشوا) والقوم لم يقصدوا ذلك ولم يريدوه"^(٢).

فالمقصود بالمشيء الاستمرار على ما كان عليه أبائهم، والسير على سيرتهم كما يقال: كما سار الكرام أي اعمل كما عملوا، ومنه سميت الأخلاق والأعمال المعتادة سيرة^(٣).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من ابن عطية وإسماعيل حقي^(٤)، والشوكاني والألوسي^(٥) وغيرهم^(٦).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٣٤).

(٢) بيان إعجاز القرآن (ص: ٤٣).

(٣) التحرير والتنوير (٢١١/٢٣).

(٤) أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي، الحنفي، سكن القسطنطينية، له كتب عربية وتركية، توفي سنة ١١٢٧ هـ . الأعلام (١/ ٣١٣) .

(٥) انظر المحرر الوجيز (٤/٤٩٤)، روح البيان (٦/٨)، فتح القدير (٤/٥٥٤)، روح المعاني (٢٣/١٦٧) .

(٦) نظم القرآن فوق مفتريات النقد والتجريح، د. البديري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد ٤٥، جماليات المفردة القرآنية، ياسوف (ص: ١٥٦) .

المطلب الخامس

المناسبة بين فعل وحرف

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناصب بين (كسب) وحرف (اللام)، وكذلك بين (اكتسب) وحرف (على)، في قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وجه المناسبة: (اللام) في الآية تفيد الاختصاص والملكية وهي ما تكسب النفس ثواباً و(على) تفيد الوزر^(١)، وجاء مع اللام ب(كسب)، وكان يمكن أن تأتي اللفظتان بغير زيادة فيقال: لها ما كسبت وعليها ما كسبت، وإنما منع من ذلك ما يحصل للنظم من العيب، وإغماض المعنى الذي قصد، أما العيب فاستتقال تكرار لفظة (كسب)، وأما الإغماض فلأن المراد الإشارة إلى فطرة الخير، فالإنسان بتلك الفطرة السابقة في أصل الخلق، لا يحسن أن ينسب إليه إلا كسب الحسنات، وما يعمل من السيئات يعمل لمخالفته الفطرة، فكأنه تكلف من ذلك ما ليس في جبلته، فوجبت زيادة التاء التي للافتعال^(٢).

ويدل على ذلك أن من معاني صيغة (افتعل) الاجتهاد والاضطراب في تحصيل أصل الفعل، فمعنى كسب أصاب، ومعنى اكتسب اجتهد في تحصيل الإصابة، بأن زاول أسبابها فلماذا قال تعالى: (لها ما كسبت)، أي اجتهدت في الخير، (وعليها ما اكتسبت) أي لا تؤاخذ إلا بما اجتهدت في تحصيله، وبالغت فيه من المعاصي^(٣).

وقال ابن جنّي: "وتأويل ذلك أن كسب الحسنه، بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير، ومستصغر. وذلك لقوله - عز اسمه -: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها﴾ [الأنعام: ١٦٠]، أفلا ترى أن الحسنه تصغر بإضافتها إلى جزائها صغر الواحد إلى العشرة، ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها، لم تحتقر إلى الجزاء عنها، فعلم بذلك قوّة فعل السيئة على فعل الحسنه، ولذلك قال - تبارك وتعالى -: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدًا أن دعوا للرحمن ولدا﴾ [مريم: ٩٠-٩١]، فإذا كان فعل السيئة ذاهبا بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية، عظم قدرها وفخم لفظ العبارة عنها، فقيل: لها ما كسبت وعليها

(١) تفسير الشعراوي (٢/١٢٤٤).

(٢) بديع القرآن، ابن أبي الإصبع (ص: ٣٠٦).

(٣) شرح الشافية للرضي (١/١١٠).

ما اكتسبت . فزيد في لفظ فعل السيئة، وانتقص من لفظ فعل الحسنة لما ذكرنا^(١). قال السعدي: " وفي الإتيان بـ (كسب) في الخير، الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي منه بل بمجرد نية القلب، وأتى بـ (اكتسب) في عمل الشر، للدلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمله، ويحصل سعيه"^(٢). وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والبيضاوي، وابن جزري، وأبي حيان، وابن القيم، والألوسي، وابن عاشور^(٣) وغيرهم^(٤).

المثال الثاني: التناسب بين حرف (الواو) و(فتح)، في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

وجه المناسبة: ذكر الله عن أهل الجنة، وأهل النار، أنهم عندما يصلون إليها تفتح الأبواب لكنه عند ذكر أهل النار قال: (فتحت) بدون واو، أما أهل الجنة فقال: (وفتحت) بذكر الواو، وقد ذكر العلماء لذلك أسباباً ومنها^(٥):

١- الحذف في قوله (فتحت أبوابها) في سياق ذكر النار، ليدل على أن أبوابها تُفتح عند وصول أهلها إليها ؛ لأن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، وفتحت جوابها، فدل على أن أبواب جهنم كانت مغلقة ثم فتحت حين جاعوها، ولأن جهنم سجن والسجن ذلك شأنه، حُرَّاس شداد، وأبواب محكمة الإيصاد ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ [البلد: ٢٠]. فتفتح في وجوههم ليكون أبلغ في مفاجأة المكروه، أما الجنة فلما كانت دار الكرامة، وكان الكريم إذا دعا أضيافه إلى داره شرع لهم أبوابها، ثم استدعاهم إليها مفتحة الأبواب، كما قال تعالى: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ ﴾ [ص: ٥٠]. أتى بالواو العاطفة هنا الدالة على أنهم جاعوها بعد ما فتحت أبوابها، وحذف الجواب تفضيماً لشأنه وتعظيماً لقدره، وقيل أن هذه الواو هي واو الحال، وعلى كلا القولين، تكون أبواب الجنة مفتحة لأهلها قبل وصولهم إليها.

٢- قيل إن الجنة هي الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد،

(١) الخصائص (٢٦٥/٣) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص : ١٢٠) .

(٣) انظر الكشاف (٥٢٠/١)، المحرر الوجيز (٣٩٣/١)، الجامع لأحكام القرآن (٥٠٠/٤)، تفسير البيضاوي مع حاشية القنوي (٥٠٤/٥)، التسهيل (١٣٤/١)، البحر المحيط (٣٨١/٢)، بدائع الفوائد (٥٠٥/٢)، روح المعاني (٦٩/٣)، التحرير والتنوير (١٣٧/٣)

(٤) انظر جماليات المفردة القرآنية، ياسوف (ص: ٢٤٧)، البلاغة العربية، الميداني (١٠٨/١) و (٥٢٢ / ٢)، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات، الزيد (١ / ٦٠٥٠) .

(٥) الكشاف (٣٢٥/ ٥)، بدائع الفوائد (ص: ٩١٩)، البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهة (٣٥٩/١)، البرهان في علوم القرآن (١٨٩/٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٥٩) (شرح العقيدة الواسطية) ابن عثيمين (١٦٥/٢).

إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد وصولهم، بل يستشفعون إلى الله بمحمد ﷺ حتى يشفع لهم فيشفعه الله تعالى ولذلك أتى بالواو الدالة على التراخي .

والأقرب هو القول الأول، وأن أهل الجنة يأتون وقد فتحت، وهذا زيادة لهم في الإكرام، والدليل على ذلك حذف جواب الشرط في قوله تعالى (إذا جاءوها) الدال على التفضيم والتعظيم، والتقدير: لرأوا شيئاً عظيماً جداً، تعجز عباراتهم عن وصفه^(١)، فدل بحذفه هنا، على أن نعيم أهل الجنة لا يحيط به الوصف^(٢)، فلما كان المقام مقام إكرام ناسب أن تفتح لهم الأبواب قبل وصولهم.

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الرازي والبيضاوي وأبي حيان وأبي السعود وابن عاشور^(٣) وغيرهم^(٤).

المثال الثالث: التناسب بين (اكتال) وحرف (على)، في قوله تعالى: ﴿ وَيُلْئِمُ الْمُطَفِّينَ الَّذِينَ إِذَا اُكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ [المطففين: ١-٢].

وجه المناسبة: يقال اُكْتَالٌ عَلَى، واكْتَالٌ مِنْ، وبينهما فرق على الصحيح.

قال الزمخشري: " لما كان اُكْتَالُهُمْ مِنَ النَّاسِ اُكْتِيَالاً يَضُرُّهُمْ، وَيَتَحَامَلُ فِيهِ عَلَيْهِمْ، أُبْدِلَ (عَلَى) مَكَانَ (مِنْ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ"^(٥).

قال فاضل السامرائي: " قيل إن (على) هنا بمعنى (من) وقيل: بل هو متضمن معنى التسلط على الناس والتحكم"^(٦)، " أي: تسلطوا عليهم بالاكتيال، والظاهر أنه هو الصواب، لأن هناك فرقاً بين قولك (اُكْتَالٌ مِنْهُ) و(اُكْتَالٌ عَلَيْهِ)، ف(اُكْتَالٌ مِنْهُ) لا يفيد أنه ظلمه حقه وهضمه ماله، بخلاف (اُكْتَالٌ عَلَيْهِ) فإن فيه معنى التسلط، والاستعلاء، وهذا في المطففين . والمطففون كما بيّنهم القرآن إذا أخذوا من الناس، أخذوا أكثر من حقهم، وإذا أعطوهم أقل من حقهم، ففيه إذن معنى التحكم والجور والظلم، وهو أبلغ من (من)، وليست بمعنى (من)، ولا تفيد (من) هذا المعنى"^(٧). ثم انظر إلى التعبير اللطيف الآخر بعده وهو قوله: (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)، ولم يقل كالوا لهم أو

(١) معاني النحو، السامرائي (١٠٦/٤)، البلاغة العربية، الميداني (٤١/٢) .

(٢) الكشاف (٣٢٥/٥) .

(٣) انظر تفسير الرازي (٢٣/٢٧)، تفسير البيضاوي (٥٨٦/١٦)، البحر المحيط (٤٢٥/٧)، إرشاد العقل السليم

(٤) (٢٦٤/٧)، التحرير والتنوير (٧١/٢٤) .

(٥) انظر خصائص التعبير القرآني، المطعني (١٢/٢)، نظرات لغوية في القرآن الكريم، العايد (ص: ٢٥٦)،

معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، داود (ص: ٥٩٥) .

(٦) الكشاف (٣٣٤/٦) .

(٧) معاني النحو، السامرائي (٤٥/٣)

(٨) التعبير القرآني (ص: ٢٠٩) .

وزنوا لهم، وكلاهما جائز، ولكن في حذف اللام معنى لا يؤديه ذكره . قالوا: وذلك أن اللام تفيد الاستحقاق، وهم لم يعطوهم حقهم، فحذف اللام الدالة على الاستحقاق، إشارة إلى أنهم منعوهم حقوقهم^(١).

وما رجحه السامرائي هو الأقرب إذ يدل عليه سياق الآيات. وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الرازي والبيضاوي وابن جزي والألوسي وابن عاشور^(٢) وغيرهم^(٣).

(١) معاني النحو، السامرائي (٤٥/٣) .

(٢) انظر تفسير الرازي (٨٨/٣١)، تفسير البيضاوي (٢٠ / ١٤٠)، التسهيل (٥٤٧/٢)، روح المعاني (٦٨/٣٠)، التحرير والتنوير (١٩٠/٣٠) .

(٣) من بلاغة النظم القرآني، بسيوني (ص : ٩٧) .

المبحث الثاني

أقسام المناسبة من حيث المطابقة بين الكلمتين وعدمها

إن اختيار الكلمات في القرآن غاية في الدقة، فالقرآن يختار اللفظ الذي يكون مناسباً في جميع أحواله سواء مفرداً، أو مجموعاً، أو معرفة أو نكرة، وقد تكون اللفظة فصيحة مستعملة في كل أحوالها: في الأفراد والجمع والتذكير والتأنيث، وغير ذلك من الاستعمالات. وقد تكون الكلمة أحوالها مختلفة، بالإضافة إلى استعمالاتها، فتارة يقبح استعمالها مفردة ولا يقبح استعمالها مجموعة، وقد يفضل استعمالها نكرة ولا يفضل استعمالها معرفة والعكس.

لذلك كان القرآن دقيقاً في اختيار ألفاظه، وانتقاء كلماته، فإذا اختار اللفظ معرفة كان ذلك لسبب، وإذا انتقاه نكرة كان ذلك لغرض، كذلك إذا كان اللفظ مفرداً كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كان مجموعاً كان لحال يناسبه، وهكذا لكل مقام مقال في التعبير القرآني^(١).

ويمكن تقسيم المناسبة من حيث المطابقة بين الكلمات إلى:

- ١- التناسب في الأفراد والتثنية والجمع.
- ٢- التناسب في التعريف والتذكير.
- ٣- التناسب في التذكير والتأنيث.

(١) صفاء الكلمة (ص: ١٥).

المطلب الأول

التناسب في الأفراد والتثنية والجمع

القرآن الكريم يذكر في كل موضع ما يلائمه من الألفاظ، ويضع كل لفظ في محله الذي يليق به، ومن ذلك اختيار اللفظ المفرد والجمع، فتارة في تعبيرات القرآن يختار الجمع دون مفرده، وتارة يختار المفرد دون جمعه، ولو حاول أحد التبديل والتغيير أو إحلال أحدهما محل الآخر فسد التعبير وذهبت حلوته، بل أن هناك ألفاظاً لم ترد في القرآن إلا مفردة مثل (الأرض)، التي غالباً ماتقرن مع (السماء) التي وردت مجموعة ومفردة، والسبب في ذلك النقل الحاصل في جمع (أرض)، ولهذا النقل جاء القرآن بألفاظ أخرى عندما أراد جمعها، فقال ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] (١).

كل ذلك مراعاة لاختيار أحسن الألفاظ، وأليقها بالمقام، وأخفها على اللسان، وهذه وغيرها من أسرار القرآن البلاغية العجيبة.
أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين النور والظلمات، في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وجه المناسبة: ذكر الله هاتين الكلمتين مقرونتين معاً في أحد عشر موضعاً (٢)، جاءت فيها كلمة (النور) مفردة، وكلمة (الظلمات) مجموعة، وسر ذلك - والله أعلم - أن طريق الحق واحد، وطرق الباطل متعددة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ويشهد له حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: "خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، قال: ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ (وإن هذا صراطي مستقيماً... الآية) (٣)، فطريق الحق واحد، إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متعددة متشعبة، ولما كانت الظلمة بمنزلة طرق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق بل هما هما، أفرد النور وجمعت الظلمات كما في الآيات، ويدل على هذا المعنى في الآية أن الله سبحانه ذكر أنه ولي الذين آمنوا

(١) المصدر السابق (ص: ١٢١).

(٢) المعجم المفهرس، عبد الباقي (ص: ٥٣٨).

(٣) رواه أحمد في المسند برقم (٤٤٣٧) بإسناد حسن.

وهو الواحد الأحد، وجمع أولياء الذين كفروا لتعدددهم وكثرتهم^(١).
وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من أبي حيان والبقاعي والشوكاني والألوسي
والشنقيطي^(٢) وغيرهم^(٣).

المثال الثاني: التناصب بين اليمين والشمال في قوله تعالى: ﴿يَتَقَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ
الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ..﴾ [النحل: ٤٨].

وجه المناسبة: أفرد الله سبحانه اليمين والشمال في قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ
الشَّمَائِلِ عَزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧]، وجمعها في قوله: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾
[الأعراف: ١٧].

لكن في هذه الآية أفرد اليمين وجمع الشمال فما هو السر في ذلك؟
ذكر العلماء أقوالاً عدة في ذلك منها^(٤):

١- أنه وحّد اليمين، والمراد الجمع، فالمخالفة بين الإفراد والجمع في الآية تفنّن.
٢- أن اليمين جهة الخير والفلاح، وأهلها هم الناجون فأفردت، وأما الشمال فهي
جهة أهل الباطل، وهم أصحاب الشمال فجمعت.

٣- أن اليمين على وزن فعيل، وهو مخصوص بالمبالغة فسدت مبالغته جمعه.
٤- أن اليمين يُجمع على أيمن وأيمان، وهي من أبنية جمع القلّة غالباً، والشمال
يُجمع على شمائل، وهو جمع كثرة، والموطن موطن تكثير ومبالغة، فعدل عن جمع
اليمين إلى الألف واللام الدالة على قصد التكثير.

والقول الأول هو الأقرب، لأنه قد ورد لفظ اليمين مجموعاً في آية أخرى، وفيه رد
على الأقوال الثلاثة الأخيرة، إذ إنها محتملة، لكن لما ورد مجموعاً في موضع آخر
ضعفت هذه التعليقات.

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الطبري والبغوي (ت ٥١٦) والسمين
الحلي وابن كثير والشوكاني والألوسي^(٥).

المثال الثالث: التناصب بين المشرق والمغرب (إفراداً وتثنيةً وجمعاً)، في قوله
تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]. وقوله: ﴿رَبُّ

(١) بدائع الفوائد (ص: ٢٠٨) تفسير ابن كثير (٣/٣٦٧).

(٢) انظر البحر المحيط (٢/٢٩٣)، نظم الدرر (٤/٤٥)، فتح القدير (٤/٣٨٥)، روح المعاني (١/١٦٨)،
أضواء البيان (١/٢٦٨).

(٣) من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، الصامل (ص: ١٢٢).

(٤) الكشف (٣/٤٤٠)، تفسير الرازي (٢٠/٤٣)، بدائع الفوائد (ص: ٢١٠) البرهان في علوم القرآن (٤/١٢)،
التحرير والتنوير (١٤/١٦٩).

(٥) انظر تفسير الطبري (٤/٢٤٣)، تفسير البغوي (ص: ٧١٠)، الدر المصون (٧/٢٣٠)، تفسير ابن كثير
(٣/٢٣٩)، فتح القدير (٤/٣٨٥)، روح المعاني (٤/١٥٥).

المُشْرِقِينَ وَرَبُّ الْمَغْرِبِينَ ﴿ الرحمن: ١٧. وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

وجه المناسبة: جاءت هاتان الكلمتان في القرآن على وجوه عدة، فتارة مفردتين وتارة أخرى مثنيتين، وتارة ثالثة مجموعتين، لاختصاص كل محل بما يقتضيه، فحيث جُمعت كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة، وهي متعددة، وحيث أُفردت كان المراد أفقي المشرق والمغرب، وحيث تُثبت كان المراد مشرقى صعودها وهبوطها ومغربيهما^(١).

أما وجه اختصاص كل موضع بما وقع فيه، فذلك راجع إلى السياق، فورد مُثْنِي في سورة الرحمن لما كان مساق السورة مساق المثاني المزدوجات، إذ ذكر الشمس والقمر والسماء والأرض، وذكر الشجر بنوعيه ما قام على ساق وما انبسط على وجه الأرض، وذكر العدل والظلم، وذكر نوعي المكلفين الجن والإنس، فناسب أن يأتي بنوعي المشرق والمغرب ليحسن سياق ذلك معها. أما وروده مفرداً فإنه سبحانه ذكر الليل والنهار فأمر رسوله ﷺ بقيام الليل ثم أخبره أن له في النهار سبحةً طويلاً، فلما تقدم ذكر الليل وما أمر به فيه، وذكر النهار وما يكون منه فيه، عقب ذلك بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مظهر الليل والنهار، فكان ورودهما مفردين في هذا السياق أحسن من التثنية والجمع، لأن ظهور الليل والنهار بهما واحداً، فالنهار أبداً يظهر من المشرق، والليل أبداً يظهر من المغرب.

أما ورودهما مجموعين في سورة المعارج فقد قال سبحانه: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا نَقَادِرُونَ* عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ لما كان هذا القسم في سياق سعة ربوبيته، وإحاطة قدرته، والمقسم عليه هو إذهاب هؤلاء والإتيان بخير منهم، ذكر المشارق والمغارب، وأنه سبحانه يصرفها كيف يشاء، وفي تصريفه لها من مكان إلى مكان، وتتغير أحوال النبات، والحيوان، والناس، والفصول من صيف إلى شتاء، والعكس، وتتغير بذلك المواسم والأمطار والتلوج، فالذي قدر على تغيير هذه الكائنات والأحوال العظيمة، لا يعجزه أن يبديل هؤلاء وينقل إلى أمكنتهم خيراً منهم^(٢).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من البغوي والشوكاني والشنقيطي وابن عاشور^(٣).

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١٥/٤).

(٢) بدائع الفوائد (ص: ٢١١ - ٢١٤).

(٣) انظر تفسير البغوي (ص: ١٠٨٦)، فتح القدير (٤/٥١٠)، أضواء البيان (٦/٧٣٨)، التحرير والتوير

(٨٧/٢٣).

المطلب الثاني

التناسب في التعريف والتنكير

يدقق القرآن الكريم في اختيار ألفاظه، فهو يختار اللفظ الذي يكون مناسباً في جميع أحواله، فإذا اختار اللفظ معرفة كان ذلك لسبب، وإن انتقاه نكرة كان ذلك لغرض . وقد يظن ظان أن المعرفة أولى من النكرة في التعبير والإيضاح، وليس الأمر كذلك، فالإبهام في مواطن خليق، وسلوك الإيضاح فيها ليس بسلوك للطريق، والنكرة ليس لمفرد لها مقدار مخصوص بخلاف المعرفة فإنها لواحد بعينه، يثبت الذهن عنده ويسكن إليه، فالإبهام الذي تفيده النكرة في موطنه أهم وأولى من التعريف، ويدل على ذلك المثال التالي: أبهم الله تعالى أسماء أهل الكهف وزمانهم ومكانهم، ولقد أجهد المفسرون أنفسهم ليعرفوا ذلك، ولو أراد القرآن أن يعرفهم لفعل، لكنه أبهم ذلك وفي هذا بلاغة يقصدها القرآن، فقد يكون الإبهام أسمى مراتب البيان، لأنه لو ذكر أسماءهم - والأسماء مشخصات - فرما قال قائل هذه الظاهرة لهؤلاء الأسماء بخصوصهم، ولو عيّن القرآن مكانهم، لقال قائل ربما كان مكانهم يسمح بذلك، لكن الله أبهم الأسماء والزمان والمكان، ليدل على أن الوصف هو المطلوب ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدْنَا لَهُمُ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]^(١)، هذا أحد أغراض التنكير، وللتنكير أيضاً أغراض أخرى منها: التحقير، والتهويل، والتقليل والتكثير وغيرها من الأغراض^(٢).

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين (العزیز)، و(الكريم)، في قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩].

وجه المناسبة: قرن الله تعالى بين هذين الوصفين مع تعريفهما في حق أبي جهل، كما روى ابن جرير الطبري^(٣)، عن قتادة (ت ١١٧) قال: نزلت في أبي جهل (خذوه فاعتلوه) قال قتادة: قال أبو جهل: ما بين جبليها رجل أعز ولا أكرم مني. فقال الله عز وجل: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ وهذا تقريع بما كان يصف به نفسه في الدنيا، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية، لأنه كان في الدنيا يقول: إنه العزيز الكريم، فقيل له في الآخرة إذ عُدب بما عُدب به في النار، ذق هذا الهوان اليوم، فإنك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم، فما أنت الذليل المهين، فأين الذي كنت تقول وتدعي من

(١) صفاء الكلمة، لاشين (ص: ١٧) .

(٢) معاني النحو، السامرائي (٣٩/١) .

(٣) تفسير الطبري (٦١/٢١) .

العز والكرم^(١).

وسر تعريف الكلمتين ووقوعهما خبراً، أنه ادعى العزة الكاملة، والكرامة الكاملة. قال الجرجاني: "واعلم أنك تجد (الألف واللام) في الخبر على معنى الجنس، ثم ترى له في ذلك وجوهاً: أحدها: أن تقتصر جنس المعنى على المخبر عنه، لقصدك المبالغة وذلك قولك: (زيد هو الجواد) و(عمرو هو الشجاع)، تريد أنه الكامل، إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود أو الشجاعة لم توجد إلا فيه"^(٢). ويدل على ذلك ضمير الفصل (أنت)، الدال على أن مابعد خبر لا صفة، وإدخاله بين الاسم والخبر يشعر بالحصر، و توكيد الضمير المتصل بالمنفصل في قوله «إِنَّكَ أَنْتَ»، كل هذا يؤكد أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره أي للقصر^(٣).

فكان هذين الوصفين، وبالتالي عكسهما تماماً، قد تناهيا في الظهور على الموصوف حتى امتنع خفاؤهما، فالآية تقصد بهذا التعريف التهكم والسخرية من هذا العزيز الكريم (أبي جهل) ! ذلك لأن معاني العزة والكرامة على نحوهما الدقيق مما لا يعرف له سبيل عند هذا الرجل، فليس له نصيب من العزة والكرامة إطلاقاً، ولذا فإن التعريف هنا أبلغ ما يكون^(٤)، إذ دلّ على معنى السخرية والتحقير، مع الاختصار والإيجاز^(٥).

المثال الثاني: التناسب بين (العسر) و(اليسر) في قوله تعالى: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» [الشرح: ٥-٦].

وجه المناسبة: جاء (العسر) في الآية معرّفًا، وجاء اليسر منكرًا ؛ لأن العسر واحد، أما اليسر فاثنتان، أو أنه جاء نكرة للتفخيم، أي يسراً عظيماً.

قال ابن جماعة: "إن اليسر الثاني غير اليسر الأول، بدليل تكثيره، والعسر الأول هو الثاني، بدليل تعريفه باللام، وفي الحديث: (لن يغلب عسر يسرين)^(٦). إشارة إلى ما ذكرناه"^(٧). ويدل على ذلك قوله سبحانه في الآية الأخرى «سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ

(١) المرجع السابق

(٢) دلائل الإعجاز (ص: ١٧٩).

(٣) الكشاف (١/١٦١)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٩ / ١٤٢)، الجواب الصحيح، ابن تيمية (٤ / ٤١)، معاني النحو، السامرائي (١/٤٧).

(٤) جماليات التعريف والتكبير في الكلمة القرآنية د. أسامة عبد العزيز جاب الله، مقال على الرابط: <http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=35988>

(٥) البلاغة العربية، الميداني (١/٤٤٤).

(٦) رواه الحاكم وقال : صحّت الرواية عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب (لن يغلب عسر يسرين) وقد روي بإسناد مرسل عن النبي ﷺ، المستدرک رقم (٤٠٠٨).

(٧) كشف المعاني في المتشابه المثاني (ص: ٤٢١).

يُسْرًا»، [الطلاق: ٧]، فقد دخلت (السين) على فعل مضارع فيه وعد لتفيد التأكيد^(١). قال السعدي: " وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ بشارة عظيمة، أنه كلما وُجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جُرح صبّ لدخل عليه اليسر فأخرجه، كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

وكما قال ﷺ: (وَأَنْ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)^(٢)، وتعريف العسر في الآيتين يدل على أنه واحد، وتتكبير اليسر يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين، وفي تعريفه بالألف واللام الدالة على الاستغراق والعموم، يدل على أن كل عسر - وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ - فإنه في آخره التيسير ملازم له^(٣). وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الزمخشري و الرازي والبيضاوي وابن جزري وابن القيم وابن كثير والفيروز ابادي وأبي السعود وابن عاشور^(٤).

المثال الثالث: التناسب بين (إناثاً) و (الذكور)، في قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].
وجه المناسبة: جاءت كلمة (إناث) في الآية نكرة، وجاءت كلمة (الذكور) معرفة، وقد ذكر العلماء عدة توجيهات لذلك منها:

- ١ - أن تتكبير الإناث وتعريف الذكور يدل على تشريف الذكور، لأن التعريف تنويه وتشهير لهم، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص التأخير بالتعريف^(٥).
- ٢ - وقيل عرّف الذكور مراعاة للفاصلة^(٦).
- ٣ - أن تتكبير (إناثاً) لأن التكبير هو الأصل في أسماء الأجناس، وتعريف (الذكور) باللام لأنهم الصنف المعهود للمخاطبين، فاللام لتعريف الجنس، وإنما يصار إلى تعريف الجنس لمقصد أي يهب ذلك الصنف الذي تعهدونه وتتحدثون به وترغبون

(١) البلاغة فنونها وأفانها _ علم المعاني _ عباس (ص: ١٢٢).

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٥١٦) و قال الألباني : صحيح .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٠٩٦).

(٤) الكشاف (٦/ ٣٩٧)، تفسير الرازي (٦/٣٢)، تفسير البيضاوي مع حاشية القونوي (٣٣٣/٢٠)، التسهيل

(٥٨٦/٢)، بدائع التفسير (٣/٣٣٣)، تفسير ابن كثير (٨/٤٣٢)، بصائر ذوي التمييز (١/٥٢٦)

(٤٧٧/٣) إرشاد العقل السليم (٩/١٧٣)، التحرير والتنوير (٣٠/٤١٤).

(٥) الكشاف (٥/٤٢٠)، تفسير الرازي (٢٧/١٨٦)، بدائع التفسير (ص٢/٤٣١)، البلاغة القرآنية في الآيات

المتشابهات (١/١٦١).

(٦) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/٤٧٤).

فيه^(١).

والأقرب - والله أعلم - هو القول الثالث، لأن سياق الآيات ليس مقصوداً به التفضيل، بل ورد في ذكر سعة ملك الله وقدرته على الخلق، وتصرفه وحكمته، في كونه ينوع بين النسل، فالمراد ذلك لا التفضيل، ولا شك أن التفضيل تدل عليه أدلة أخرى. وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من القرطبي والبيضاوي والشوكاني والألوسي^(٢).

(١) التحرير والتنوير (١٣٨/٢٥).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (٥٠١/١٨)، تفسير البيضاوي مع حاشية القونوي (٢٦٤/١٧)، فتح القدير (٧١٢/٤)،

روح المعاني (٥٤/٢٥).

المطلب الثالث

التناسب في التذكير والتأنيث

الأصل في تذكير الأسماء و تأنيثها، أن يؤتى باللفظ المذكر مع المذكر، والمؤنث مع المؤنث، لكن قد يُعدّل عن ذلك الأصل لأغراض بلاغية، وذلك إذا كان العدول يؤدي معنى لا يؤديه الأصل مثلاً، فيكون في التعبير بالمذكر مع المؤنث سعة في المعنى^(١)، ونحوها من الأسرار البلاغية، ولاشك أن كلام الله أبلغ الكلام، ولا يمكن أن يعدل من تعبير إلى تعبير آخر إلا لغرض، وقصد بلاغي عظيم.

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين (رحمة) و(قريب) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وجه المناسبة: أخبر الله عن كلمة (الرحمة) وهي مؤنثة، بـ(قريب) وهو مذكر، وقد ذكر العلماء عدة مناسبات في ذلك منها^(٢):

- ١- أن (قريب) في الآية، من باب تأويل المؤنث بمذكر موافق له في المعنى، فكذاك هنا تؤوّل الرحمة بالإحسان فيذكر خبرها.
- ٢- أنه من باب حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، كأنه قال: (إن رحمة الله شيء قريب)، أو (بر قريب).
- ٣- قيل أن (قريب) على وزن فعيل، وهذا الوزن يستوي فيه المذكر والمؤنث، حقيقياً كان أو غير حقيقي.
- ٤- أن تذكير قريب مع الرحمة، لأنه أريد بـ(قريب) القرب في الوقت لا في النسب.

قال الطبري: "أريد به القرب في الوقت، لا في النسب، والأوقات بذلك المعنى إذا وقعت أخباراً للأسماء أجرتها العرب مجرى الحال، فوحدتها مع الواحد والاثنين والجميع، وذكرتها مع المؤنث، فقالوا كرامة الله بعيد من فلان، وهي قريب من فلان، كما يقولون هند منا قريب، والهندات منا قريب، لأن معنى ذلك هي في مكان قريب منا"^(٣).

٥- أن هذا لكسب معنيين، وهما: قرب رحمة الله، وقرب الله تعالى أيضاً وليست

(١) معاني النحو، السامرائي (١١٧/٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٥٠/١٠). بدائع الفوائد (ص: ٨٦٢ - ٨٨٩)، البرهان في علوم القرآن (٣/٣٦٠)،

الخصائص، ابن جني (٤١٢/٢)، معاني النحو (١١٧/٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٥٠/١٠).

الرحمة فقط، وهذا التوسّع في المعنى لايؤديه الأصل، فبدل أن يقول: أن رحمة الله قريبة والله قريب، جمع ذلك من أخصر طريق وأوجزه، فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الموجود، وسوّج ذلك ظهور المعنى.

والوجه الأخير أقرب، لأنه يدل على زيادة و توسّع في المعنى لايؤديه الأصل. وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الزمخشري و الرازي والقرطبي والبيضاوي وابن جزي والأوسي والشنقيطي وابن عاشور^(١) وغيرهم^(٢).

المثال الثاني: التناسب بين (تذهل) و(مرضعة) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢].

وجه التناسب: الأصل في تاء التأنيث أن يؤتى بها للفرق بين المذكر والمؤنث، فإذا كان الوصف خاصاً بالمؤنث، لا يشترك معه المذكر فيه لم تدخل عليه التاء، مثل: طالق، وحامل، ومرضع، لكن في الآية جاءت كلمة (مرضعة) بالتاء فما هو السر في ذلك؟

قال ابن القيم: "المرضع من لها ولد ترضعه، والمرضعة من ألقمت الثدي للرضيع، وعلى هذا فقولته تعالى: (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أبلغ من مرضع في هذا المقام، فإن المرأة قد تذهل عن الرضيع إذا كان غير مباشر للرضاعة، فإذا التقم الثدي واشتغلت برضاعه، لم تذهل عنه إلا لأمر هو أعظم عندها من اشتغالها بالرضاع"^(٣).

وهذه القاعدة تدل عليها اللغة، كما قال ابن مالك (ت ٦٧٢) في الكافية:

"وما من الصفات بالأنثى يخص

عن تاء استغنى لأن اللفظ نص

وحيث معنى الفعل ينوي التا ترد

ك(ذي غداً مرضعة طفلاً وُلد)"^(٤).

قال ابن عاشور: "إن المرضع أشد النساء شفقة على رضيعها، وأنها في حال ملابسة الإرضاع أبعد شيء عن الذهول، فإذا ذهلت عن رضيعها في هذه الأحوال، دل ذلك على أن الهول العارض لها هول خارق للعادة، وهذا من بديع الكناية عن شدة ذلك

(١) الكشاف (٤٥١/٢)، تفسير الرازي (١٤٢/١٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/٩)، تفسير البيضاوي (٤٠٥/٨)، التسهيل (٣٠٤/١)، روح المعاني (١٤١/٨)، أضواء البيان (٣٧٩/٢)، التحرير والتنوير (١٧٧/٨).

(٢) انظر شرح الكافية الشافية، لابن مالك (٩٢١/٢)، مغني اللبيب، ابن هشام (٦٤٣/٥).

(٣) بدائع الفوائد (ص: ١٣٣٢).

(٤) الكافية الشافية مع شرحها (ص: ١٧٣٢).

الهول، لأن استلزام ذهول المرضع عن رضيعها لشدة الهول، يستلزم شدة الهول لغيرها بطريق الأولى^(١).

والتعبير بكلمة مرضعة دون امرأة للمبالغة، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها ولزومها له، لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف^(٢).

فهذه المعاني العظيمة أضافها حرف التأنيث (التاء)، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، الذي يقع فيه كل حرف موقعاً مؤثراً وبليغاً.

وقد أشار إلى هذه المناسبة كل من الزمخشري والرازي وأبي حيان والسمين الحلبي وابن عادل وابن كثير والألوسي والشنقيطي^(٣) وغيرهم^(٤).

المثال الثالث: التناسب بين (أعناقهم) و(خاضعين)، في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

وجه المناسبة: كلمة (أعناق) مؤنثة وأخبر عنها بالذكر (خاضعين)، ولم يقل (خاضعة)، وللعلماء في ذلك أجوبة منها^(٥):

١- أنه ذكّر خاضعين ولم يقل خاضعة، وذلك لأنه لا يريد خضوع الأعناق فقط، بل خضوع أصحابها أيضاً، فقدّم الأعناق للإسناد، ولكنه أخبر عن المضاف إليه فجمع المعنيين بذلك، يعني خضوع الأعناق وخضوع أصحابها .

٢- قيل أصل الكلام: فظلّوا لها خاضعين، فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله.

٣- أن الأعناق المقصود بها جماعات الناس، أي فظلّوا خاضعين جماعات جماعات.

٤- قيل أن الأعناق هنا جمع عنق - بضمين - يطلق على سيد القوم ورئيسهم، أي فظلّ سادتهم ورؤساؤهم الذين أغروهم بالكفر خاضعين.

والأقرب هو القول الأول إذ فيه زيادة و توسّع في المعنى، لا يؤديه الأصل مع الاختصار في القول والإيجاز، أما القولان الأخيران فهما ضعيفان؛ إذ فيهما أن الخضوع

(١) التحرير والتنوير (١٧/١٩٠).

(٢) كتاب الصناعتين، العسكري (ص: ٣٦٥) .

(٣) انظر الكشاف (٤/١٧٤)، تفسير الرازي (٥/٢٣)، البحر المحيط (٦/٣٢٥)، الدر المصون (٨/٢٢٣)،

اللباب (٤/٦)، تفسير ابن كثير (٥/٣٩٤)، روح المعاني (١٧/١١٢)، أضواء البيان (٥/٧)

(٤) انظر جماليات المفردة القرآنية، ياسوف (ص: ٢٤٣)، صفاء الكلمة، لاشين (ص: ٧٧)، نظرات لغوية في

القرآن الكريم، العايد (ص: ٢٣٥)، بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم، كمال إبراهيم (ص: ٤٢) .

(٥) تفسير الطبري (١٧/٥٤٥)، الكشاف (٤/٣٧٦)، التحرير والتنوير (١٩/٩٦) .

خاص بطائفة محدودة وصغيرة، مع أن الآية تفيد خضوع عموم المنذرين. وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من ابن عطية والرازي والقرطبي والبيضاوي والسمين الحلبي وابن القيم والزركشي وابن عادل وأبي السعود والألوسي^(١) وغيرهم^(٢).

(١) انظر المحرر الوجيز (٢٢٥/٤)، تفسير الرازي (١١٩/٢٤)، الجامع لأحكام القرآن (٩/١٦)، تفسير البيضاوي (١٨٠/١٤)، الدر المصون (٥١٠/٨)، بدائع الفوائد (ص : ٨٨١)، البرهان في علوم القرآن (٣٦١/٣)، اللباب (٤/١٥)، إرشاد العقل السليم (٢٣٤/٦)، روح المعاني (٥٩/١٩).

(٢) انظر شرح الكافية الشافية، لابن مالك (٩٢٠/٢)، معاني النحو، السامرائي (١١٧/٣).

المبحث الثالث

أقسام المناسبة من حيث ترتيب الكلمات وموقعها في الآية

وينقسم إلى قسمين:

- ١- المناسبة في التقديم والتأخير.
- ٢- المناسبة بين كلمتين في جملة واحدة أو أكثر.

المطلب الأول

المناسبة في التقديم والتأخير

لكل كلمة في الجملة العربية ترتيب خاص، بحسب وضعها اللغوي، فمثلاً الفعل يتقدم على الفاعل، والفاعل يتقدم على المفعول، كذلك المبتدأ يتقدم على الخبر، هذا هو الأصل في ترتيب الجملة.

غير أنه قد يعرض من المزايا والمقتضيات، ما يدعو إلى تقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم، وذلك لأسرار بلاغية يقتضيهما السياق، ولهذا يحتل موضوع التقديم والتأخير في البلاغة مكاناً سامياً^(١)، قال الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية لا يزال يفتّر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد أن سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان"^(٢).

وللتقديم أغراض أهمها: الاهتمام والعناية بالمقدم، قال الجرجاني: "واعلم أننا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام"^(٣).

وهناك أغراض أخرى للتقديم منها: الترتيب والتشويق وإرادة الاختصاص^(٤).

وفي كل الأحوال ترجع مزايا التقديم إلى أنه يفيد زيادة في المعنى، بالإضافة إلى الزيادة في جمال اللفظ^(٥).

(١) صفاء الكلمة، لاشين (ص: ١٩٤).

(٢) دلائل الإعجاز (ص: ١٠٦).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٠٧).

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢٣٣/٣)، صفاء الكلمة، لاشين (ص: ١٩٤).

(٥) البلاغة العربية، الميداني (٣٦٣/١).

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: تقديم المال على النفس في قوله تعالى ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ [الصف: ١١].

وجه المناسبة: اقترن جهاد المال بجهاد النفس في القرآن في عشرة مواضع^(١)، قُدِّم فيها جهاد المال على جهاد النفس في تسعة مواضع، و قُدِّم جهاد النفس على جهاد المال في موضع واحد. وقد ذكر العلماء عدة أسباب لذلك منها^(٢):

- ١- أن الجهاد بالمال أكثر وقوعاً وأتمّ دفعاً للحاجة.
- ٢- أن الجهاد يستدعي تقديم إنفاق الأموال أولاً، فهو من باب السبق بالسببية.
- ٣- أن المال محبوب للنفس ومعشوقها التي تبذل ذاتها في تحصيله، وترتكب الأخطار وتتعرض للموت في طلبه، فندب محبيه المجاهدين في سبيله إلى بذل معشوقهم ومحبوبهم في مرضاته.
- ٤- قيل أنه من باب الترقّي، فبدأ بالأدنى ثم الأعلى، لأن المسلم يحتاج إلى التدرّج في العبادة.

٥- وقيل قُدِّم الأموال لقلّتها في ذلك الزمان.

والأقرب إن ذكر المال قبل النفس لأنه أكثر وقوعاً، وأتمّ دفعاً للحاجة، فأما إنه أكثر وقوعاً، فلأن الشخص قد يكون مريضاً، أو عاجزاً، أو من النساء فيشرع له الجهاد بالمال، وأما إنه أشدّ دفعاً للحاجة، فلاشك أن المال هو عصب الدعوة الإسلامية، وقد يعجز الشخص عن الذهاب بنفسه إلى المعركة لكنه قد يستطيع أن يجهّز آلاف المسلمين بماله.

"إن الجهاد الاقتصادي صنو الجهاد الحربي، بل إن لقاء العدو في ميدان الدم يجيء مرحلة أخيرة بعد كفاح طويل في عالم المال والمعرفة والدعاية والبذل"^(٣)، والناظر في أحوال الأمة الإسلامية اليوم يجد أنها بأمرّ الحاجة إلى المال، لتحسين أبنائها من هجمات التنصير التي يقول فيها دعائهم (ادفع دولاراً تنصر مسلماً)، فقد استغلّ المال في إخراج الملايين من دينهم في كثير من بلدان المسلمين، وعلى العكس من ذلك فقد استخدم بعض الدعاة المال في إدخال الملايين من الناس إلى الإسلام،

(١) المعجم المفهرس، عبد الباقي (ص : ٧٧٩) .

(٢) تفسير الرازي (٨/١١)، بدائع الفوائد (ص: ١٣٦)، البرهان في علوم القرآن (٢٥٦/٣)، روح المعاني

(٣٧/١٠)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٨ / ٣٩٠) .

(٣) الجانب العاطفي من الإسلام، الغزالي (ص : ١٣٩) .

وخير مثال على ذلك في هذا العصر الداعية عبد الرحمن السميطة^(١) رحمه الله، الذي كان مجاهداً بماله في دول أفريقيا، وكان يقول: ما هو إلا أن تحفر بئراً ليشرب الناس منها في منطقة معينة إلا وترى أهلها يدخلون في دين الإسلام أفواجاً . فإذا كانت هذه آثار الجهاد بالمال، فلاشك أن في تقديمه مزيداً من رفع شأنه للاهتمام به.

أما عن سر تقديم الأنفس على الأموال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [التوبة: ١١١]، فقد قال ابن القيم: "تقديم الأنفس هو الأولى لأنها هي المشتراة بالحقيقة، وهي مورد العقد وهي السلعة التي استامها ربها، وطلب شراءها لنفسه، وجعل ثمن هذا العقد رضاه وجنته، فكانت هي المقصود بعقد الشراء، والأموال تبع لها فإذا ملكها مشتريها ملك مالها، فإن العبد وما يملكه لسيده، ليس له فيه شيء، فالمالك الحق إذا ملك النفس ملك أموالها ومتعلقاتها، فحسُن تقديم النفس على المال في هذه الآية حسناً لامزيد عليه"^(٢) . وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من القرطبي وابن عادل والشوكاني^(٣) وغيرهم^(٤).

المثال الثاني: تقديم (الزانية) على (الزاني)، في قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢].
وجه المناسبة: تقديم (الزانية) على (الزاني) في هذه الآية، مع أن المعهود في القرآن إذا ذُكر الرجال والنساء، أن يُقدّم الرجال على النساء، وللعلماء في ذلك أقوال منها^(٥):

١- قيل تقديم كلمة (الزانية)، لأن المرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية، لأنها لو لم تُطمع الرجل ولم تمكّنه، لم يطمع ولم يتمكن، فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بُدئ بها.

٢- قيل لأن شهوة النساء أشد من شهوة الرجال .

(١) عبد الرحمن بن حمود السميطة، داعية كويتي أسلم على يديه أكثر من ١١ مليون مسلم في إفريقيا بعد أن قضى فيها أكثر من ٢٩ عاماً ينشر الإسلام، توفي سنة ١٤٣٣ هـ . انظر الشيخ عبد الرحمن السميطة، رجل بأمة، جمع وترتيب فهد التويجري (ص: ٢).

(٢) بدائع الفوائد (ص: ١٣٧) .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٤٤٦/٢٠)، للباب (٦٢/١٩)، فتح القدير (٢٩٥/٥) .

(٤) انظر نظرات لغوية في القرآن الكريم، العايد (ص: ١٨٧)، صفاء الكلمة، لاشين (ص: ٢٠٩)، في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، قصاب (ص: ٩٧)، البلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين، هند نايتة (٤٦٧/١).

(٥) الكشاف (٢٦٧/٤)، كشف المعاني في المتشابه المثاني (ص: ٢٧٧)، خصائص التعبير القرآني (١٢١/٢).

٣- أن المرأة يلحقها من الزنا، ما لا يلحق الرجل من المعرة والعار والشنار .
والراجح هو القول الأخير أن المرأة يلحقها العار والشنار من الزنا، لما يترتب على ذلك من آثار مادية، ولذلك كانت العرب تتد البنات خوفاً من ذلك، وكانت تستشنع وقوع الزنا من المرأة كما ورد في حديث مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء عندما تلا قوله تعالى (ولايزنين) فقالت هند بنت عتبة: " وهل تزني الحرّة " (١).
قال ابن تيمية: " عادة العرب أن الحرّة عندهم لا تُعرف بالزنا " (٢).
وأما تقديمه الزاني على الزانية في قوله تعالى ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ [النور: ٣]. فلأن الآية سيقت لذكر النكاح، والرجل هو الأصل في ذلك، لأنه هو الخاطب والراغب ومنه يبدأ الطلب (٣).
وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من القرطبي، والبيضاوي، وابن جزري، وأبي السعود وابن عاشور (٤) وغيرهم (٥).

المثال الثالث: تقديم الوصية على الدين، في قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ [النساء: ١١].

وجه المناسبة: قرنت الوصية مع الدين في القرآن في أربعة مواضع، كلها في سورة النساء . وجاءت جميعها بتقديم الوصية على الدين، وقد اتفق العلماء على أن الدين مقدم على الوصية في الحقوق المتعلقة بعين التركة (٦)، ولذلك اختلفوا في سر تقديم الوصية هنا على أقوال (٧):

- ١- قُدِّمت الوصية لأنها إنما تقع على سبيل البر والصلة، بخلاف الدين فإنه إنما يقع غالباً بعد الميت بنوع تفريط، فوُجعت البداءة بالوصية لكونها أفضل.
- ٢- قُدِّمت الوصية لأنها شيء يؤخذ بغير عوض، والدين يؤخذ بعوض، فكان إخراج الوصية أشق على الوارث من إخراج الدين، وكان أداؤها مظنة التفريط، بخلاف الدين، فإن الوارث مطمئن بإخراجه فُقِّدَت الوصية لذلك .
- ٣- أنها حظ فقير ومسكين غالباً، والدين حظ غريم يطلبه بقوة، وله مقال وقدرة على ذلك.

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٢ / ٥٩٦) .

(٢) الفتاوى الكبرى (٣ / ١٨٥) .

(٣) الكشف (٤ / ٢٦٧) .

(٤) انظر الجامع لحكام القرآن (١٥ / ١٠٤)، تفسير البيضاوي مع حاشية القونوي (١٣ / ٢٤٩)، التسهيل (٢ / ٨٠)، إرشاد العقل السليم (٦ / ١٥٦)، التحرير والتنوير (١٨ / ١٤٦) .

(٥) في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، قصاب (ص: ٩٨) .

(٦) فتح الباري (٦ / ٦٩٧) .

(٧) فتح الباري (٦ / ٦٩٧)، الكشف (٢ / ٣٦)، الجامع لأحكام القرآن (٦ / ١٢٢) .

- ٤- أن الوصية ينشئها الموصي من قبل نفسه، فقدمت تحريضاً على العمل بها، بخلاف الدين فإنه ثابت بنفسه، مطلوب أداؤه سواء ذكر أو لم يذكر.
- ٥- قيل أن الوصية ممكنة من كل أحد، ولاسيما عند من يقول بوجوبها، وعلى هذا القول تكون لازمة لكل أحد، فيشترك فيها جميع المخاطبين، بخلاف الدين فإنه يمكن أن يوجد، وأن لا يوجد، وما يكثر وقوعه مقدّم على ما يقلّ وقوعه.
- وكل هذه الأقوال محتملة ولا تتنافى بينها، ولا شك أن في تقديم الوصية تأكيداً عليها، خصوصاً أن أحوال الورثة تتفاوت وتتغير، ومنها مثلاً: أن الابن إذا مات في حياة أبيه، فليس له من ميراث أبيه شيء، وقد يكون له أولاد محجوبون بأعمامهم، فتكون الوصية في حق الجد مؤكدة لهؤلاء الأحفاد اليتامى حتى ذهب بعض أهل العلم من السلف إلى وجوبها للأقربين غير الوارثين، ومنه شرع ما عُرف بقانون الوصية الواجبة^(١).
- وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الرازي وابن جزري وأبي السعود والسعدي و ابن عاشور^(٢) وغيرهم^(٣).

(١) موجبات تغير الفتوى للقضاوي (ص : ٥٩) .

(٢) انظر تفسير الرازي (٢٢٤/٩)، التسهيل (١٧٨/١)، إرشاد العقل السليم (١٥١/٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص : ١٦٧)، التحرير والتنوير (٢٦١/٤) .

(٣) في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، قصاب (ص : ٩١) .

المطلب الثاني

المناسبة بين كلمتين في جملة واحدة أو أكثر

بعد التتبع لكثير من المناسبات، وجدت أن التناسب أغلبه يقع بين كلمتين في جملة واحدة، ولكن أحياناً قد تكون الآية طويلة تتكون من أكثر من جملة فيقع التناسب بين كلمتين، إحداهما في الجملة الأولى والأخرى في الثانية . وسأضرب أمثلة على كلا النوعين .

أ- التناسب بين كلمتين في جملة واحدة:

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين (القوي) و(الأمين) في قوله تعالى ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] .
وجه المناسبة: جمع الله بين هذين الوصفين لأنهما ركنا الولاية، ولا يغني أحدهما عن الآخر.

قال الزمخشري عن هذين الوصفين: "كلام حكيم جامع لايزاد عليه، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك، فقد فرغ بالك وتم مرادك " (١).

وقال ابن تيمية: "ينبغي أن يعرف الأصلح في كل منصب، فإن الولاية لها ركنان: القوة والأمانة" (٢).

وقال السعدي: "إن موسى عليه السلام أولى من استؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر من جمعهما، أي القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملاً، بإجارة أو غيرها، فإن الخلل لا يكون إلا بفقدتهما، أو فقد إحداهما، وأما اجتماعهما فإن العمل يتم ويكمل" (٣).

وعليه فلا يكفي أن يكون الرجل صالحاً أميناً إذا ولى ولاية، بل لابد أن يكون مع ذلك متقناً، وقادراً، وعنده الكفاءة التي تصلح لذلك العمل فلا بد من الشرطين معاً. وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من ابن جزي وأبي حيان والأوسى وابن

(١) الكشاف (٤/٤٩٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٥٣) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص : ٧٢١) .

عاشور والشعراوي^(١) وغيرهم^(٢).

المثال الثاني: التناصب بين (زرتم) و (المقابر) في قوله تعالى ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ٢].

وجه المناسبة: التعبير عن الموت بالزيارة تعبير في غاية البلاغة، عن كون الموت مرحلة برزخية ينتقل بعدها الموتى إلى دار أخرى، فليست القبور دار استقرار، ولا أهلها باقون فيها، وإنما هم فيها بمنزلة الزائرين، يحضرونها مدة ثم يرحلون عنها^(٣). والدليل على أن المقصود بالزيارة الموت، ماجاء في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأعراب يعود فقال: "لابأس طهور إن شاء الله فقال: قلت طهور، بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تزيه القبور، قال: فنعم إذن"^(٤).

وقال ميمون بن مهران^(٥) كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز فقرأ (أهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) فلبث هنيهة، فقال: "يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بُدٌّ من أن يرجع إلى منزله"^(٦).

وذكر أن بعض الأعراب سمع رجلاً يتلو هذه الآية (حتى زرتم المقابر)، فقال: "بُعِثَ القوم، وربّ الكعبة". أي أن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره^(٧). وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الزمخشري والرازي والقرطبي وابن تيمية وأبي حيان وابن القيم والأوسى والسعدي وابن عاشور^(٨) وغيرهم^(٩).

المثال الثالث: التناصب بين (أكل) و(الذئب)، في قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ ﴾ [يوسف: ١٧].

وجه المناسبة: قال الله (أكل) ولم يقل افترس، وفي ذلك مناسبة لطيفة.

(١) انظر التسهيل (١٤٣/٢)، البحر المحيط (١٠٩/٧)، روح المعاني (٦٦/٢٠)، التحرير والتنوير (١٠٥/٢٠)، تفسير الشعراوي (١١٩١١/١٩).

(٢) في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، قصاب (ص: ٧٥).

(٣) نظرات لغوية في القرآن الكريم (ص: ٢٩٢).

(٤) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٦).

(٥) ميمون بن مهران، الإمام الحجة، حدّث عن: أبي هريرة وعائشة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، توفي سنة ١١٧ هـ وقيل ١١٦ هـ. سير أعلام النبلاء (٥/ ٧١).

(٦) تفسير ابن كثير (٤٧٤/٨).

(٧) المصدر السابق (٤٧٤/٨).

(٨) انظر الكشاف (٤٢٤/٦)، تفسير الرازي (٧٧/٣٢)، الجامع لأحكام القرآن (٤٥٠/٢٢)، دقائق التفسير (٦/

٣٠٦)، البحر المحيط (٥٠٥/٨)، بدائع التفسير (٣٥٤/٣)، روح المعاني (٢٢٤/٣٠)، تيسير الكريم

الرحمن (ص: ٩٣٤)، التحرير والتنوير (٥٢٠/٣٠).

(٩) إشراقات قرآنية، العودة (٢٢٨٩/٢).

قال الخطابي: "فأما قوله تعالى (فأكله الذئب)، فإن الافتراض معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرس دق العنق، والقوم إنما ادّعوا على الذئب أنه أكله أكلاً، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلاً و لا عظماً، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم، بأثر باق منه، يشهد بصحة ماذكروه، فادّعوا فيه الأكل، ليُزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لايعطي تمام هذا المعنى، فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل"^(١).

"وهذا إدراك جيد لما وراء كلمة الأكل من حذر واحتياط، قصد إليه إخوة يوسف حين آثروها على كلمة الافتراض، وتفسير الأكل به زهاب بهذا المعنى الجليل، الذي وصف حال نفوسهم، وماضطرب فيها من نزعات الحذر، وخواطر الاحتياط"^(٢). وفي هذا رد على من اعترض من المستشرقين على استعمال لفظ (أكل) دون (افترس)، وهذا من جهلهم بلغة العرب، والدليل على ذلك ما ورد عن الشعراء العرب في أشعارهم، كقول الشاعر:

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى بصاحبه يوماً دماً فهو آكله^(٣)
وقول الآخر:

أبا خراشة أما كنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع^(٤)
إذن فهذا استعمال للكلمة معروف عند العرب. وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً ابن عاشور^(٥) وغيره^(٦).

ب - التناسب بين كلمتين في جملتين مختلفتين:
أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين (الحديد) و (القوي) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وجه المناسبة: هناك تناسب لطيف بين هاتين الكلمتين .

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي (ص : ٤١) .

(٢) الإعجاز البلاغي، أبو موسى (ص : ٦٠) .

(٣) ينسب هذا البيت للفرزدق، انظر لسان العرب (١٩٢/١١) .

(٤) البيت للعباس بن مرداس السلمي، انظر الحيوان، للجاحظ (٥/ ٢٤) .

(٥) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٣٧) .

(٦) انظر مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص: ١٤٩)، نظم القرآن فوق مفتريات النقد والتجريح، د.

البدري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد ٤٥ .

قال السعدي: " (وأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) من آلات الحرب كالسلاح والدروع وغير ذلك" ثم قال: " ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي لا يعجزه شيء، ولا يفوته هارب، ومن قوته وعزته أن أنزل الحديد الذي منه الآلات القوية " (١) .

وعن وجه التناسب هذا يقول الغزالي: " وتذليل الآية الكريمة باسمين من أسماء الله الحسنى يدلان على القوة والعزة، فيه إشارة لأولي الأبواب إلى الوسائل التي تتيح الغلبة، والعلو، وإشارة أخرى إلى أن الحق لا ينتصر بالحماس الجاهل " (٢) . وقال: "كم يغيظني أن يكلف الأنبياء بصناعات الحديد، وأن يُطالبوا بتجويد آلات الحرب وإتقانها، وأن يتعلم الصالحون الرمي وإصابة الهدف، وأن يكونوا خبراء ببناء الحصون وتشديد الاستحكامات العسكرية .. الخ، بينما صالحونا لا يدرون عن ذلك شيئاً" (٣)، وقال " أكان داود يعبت، عندما قيل له ﴿اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١]، أكان ذو القرنين يعبت، عندما أوقد الأفران وصهر المعادن، وأقام خطأً من الحصون المنيعة" (٤) . إذن ففي القرآن الإرشاد إلى الأخذ بأسباب القوة، وأن الحق لا بد له من حديد، يمنع عنه طغيان المعتدين، ويفتح له الأفاق ليوصل رسالة الرحمة إلى العالمين، وكما قال ابن تيمية: " ولهذا كان قوام الدين، كتاب يهدي، وعدل يُعمل به، وحديد ينصر" (٥) .

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من ابن القيم وابن عاشور والشعراوي (٦) .

المثالان الثاني والثالث: التناسب بين (الليل) و(تسمعون) وكذلك(النهار)

و(تبصرون) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧١ - ٧٢] .

وجه المناسبة: لما ذكر الله الليل في الآية الأولى، ختمها بقوله (أفلاتسمعون)، وفي

الآية الثانية لما ذكر النهار، ختمها بقوله (أفلاتبصرون).

قال ابن القيم: " خصَّ سبحانه النهار بذكر البصر، لأنه محلّه وفيه سلطان البصر وتصرفه، وخصَّ الليل بذكر السمع، لأن سلطان السمع يكون بالليل، وتسمع فيه الحيوانات ما لا تسمع في النهار، لأنه وقت هدوء الأصوات، وخمود الحركات وقوة

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص : ٩٩٣)

(٢) المحاور الخمسة للقرآن الكريم (ص : ٦٩) .

(٣) المصدر السابق (ص : ٦٨) .

(٤) المصدر السابق (ص : ٦٨) .

(٥) جامع المسائل (٦ / ٣١٤) .

(٦) انظر بدائع التفسير (٢/٤٥٦)، التحرير والتنوير (٢٧/٤١٨)، تفسير الشعراوي (١٠/٥٧٩٥) .

سلطان السمع وضعف سلطان البصر، والنهار بالعكس فيه قوة سلطان البصر، وضعف سلطان السمع^(١).

إذن لما ذكر الله الليل اقتضت البلاغة أن يقول (أفلا تسمعون)، لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع، ولا يصلح للإبصار، ولما ذكر النهار اقتضت البلاغة أن يقول (أفلا تبصرون)، إذ الظرف مضيء صالح للإبصار^(٢). وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الفيروز ابادي و البقاعي والأوسى و ابن عاشور والشعراوي^(٣) وغيرهم^(٤).

(١) بدائع التفسير (٢٩١/٢) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (٨٢ /٢) .

(٣) انظر بصائر ذوي التمييز (٣٥٧/١)، نظم الدرر (٣٤٣/١٤)، روح المعاني (١٠٨/٢٠)، التحرير والتنوير (١٧١/٢٠)، تفسير الشعراوي (١١٣٧٤/١٨) .

(٤) انظر البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات، الزيد (٤٩١/٢)، إعجاز القرآن البياني، الخالدي (ص: ٣٢٣).

المبحث الرابع

المناسبة من حيث غرابة اللفظ

يقصد بالغيرب هنا ما قلّ دورانُه على الألسنة، فلم يستعمله الخطباء، ولا الشعراء، استعمالَ غيره من الألفاظ، فليس المراد بغرابة الألفاظ أنها منكرة أو نادرة أو شاذة، فإن القرآن منزّه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة هاهنا، هي التي تكون حسنة، مستغربة في التأويل؛ بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس^(١)، ويحوي القرآن عدداً منه، و قد كان العرب في عصر نزول القرآن يمضون إلى كبار الصحابة، يسألونهم عن معاني هذه الألفاظ، فيجيبونهم ويقربون لهم هذه المعاني، مستشهدين بأبيات من الشعر. والقرآن الكريم يؤثر رفعة الأسلوب، ولذلك يفضل استعمال كلمة أدبية، على أخرى شائعة عامية، فمثلاً استعمل (إحافاً) مكان (إلحاحاً)، وربما كان لتكرير الحائين في الكلمة أثر في الإعراض عنها، وليس ذلك بعجيب على كتاب نزل ليتحدى أبلغ البلغاء، مستعملاً أجمل وأرقى ما يعرفونه من الألفاظ.

وليس كل ما ذكره المؤلفون في (غريب القرآن)، يدخل في ذلك إذ أنهم يدخلون في هذا النوع كل ما يرتفع قليلاً عن مستوى العام الشائع. أما ما يُعدّ غريباً فهو عدد محدود من الكلمات، وهو مع ذلك محاط بما يشير إلى معناه، من ترهيب أو زجر أو وعد بالخير، لكنها استعملت، لأن النطق بها يثير في نفس سامعها السؤال عنها، والتنبّه القوي لمعناها، حتى إذا جاء هذا المعنى استقر في الذهن، فملاًها خوفاً أو غمرها بالبهجة والحبور. ولعل من وجوه بلاغة استعمالها أيضاً، ما نراه من اختيار ما حسن وقعه على الأذن، وجريه على اللسان منها، ثم وضعه حيث لا يغني غيره من الألفاظ غناه، لتناسب كلماته وحروفه، ولأنه يؤدي المعنى الدقيق دون سواه، وفي ذلك من بديع الاستعمال ما لا يوجد في الألفاظ المستعملة الشائعة^(٢).

وسأضرب على كلمات هذا الباب أمثلة مما ذكره العلماء رحمهم الله.

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: غرابة القسم ب(التاء)، مع غرابة (تفتاً) و(حرضاً)، في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتًا تَذَكَّرُ يُوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ [يوسف: ٨٥].

(١) إعجاز القرآن، الرافي (ص: ٧١).

(٢) من بلاغة القرآن، بدوي (ص: ٧٤-٧٦).

وجه المناسبة: جمع في هذه الآية ألفاظاً غريبة، لكنها متناسقة ومتناسبة. قال السيوطي: " أتى بأغرب ألفاظ القسم، وهي (التاء) فإنها أقل استعمالاً وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتتصب الأخبار، فإن (تزال) أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالاً منها، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو (الحرص)، فاقترض حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة، توخياً لحسن الجوار، ورعاية في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع، وتتناسب في النظم " (١).

" وفي الآية الكريمة أيضاً محسن آخر هو التجانس الاستهلاكي، فالكلمات الثلاث الأولى تبدأ بالتاء، واللافت للنظر أيضاً تقارب الكلمات الأربع في الطول والوزن، وتوقف النطق عند كل واحدة منها، إذ ليس بينها ما يدمج الكلمات بعضها ببعض، كالتتوين و(ال) للتعريف. ويحدث هذا شيئاً من الإجهاد والعنت لآلية النطق، بخاصة مع ابتداء الكلمات الثلاث الأولى بحرف التاء، وتتابع فعلين اثنين. وترسم صعوبة نطق هذه الكلمات الأربع صورة المشقة التي يجدها والد يفقد ابناً عزيزاً، حتى إنها توحى تماماً بالحال الصعبة التي سيكون عليها يعقوب عليه السلام، تلك التي يوضحها تمام الآية (حتى تكون حرصاً)، وتأمل هذه الكلمة (حرصاً) التي ترسم - هي نفسها - تلك الحال الصعبة؛ و(الحرص) المضنى مرضاً وسقماً. وعلى الجملة فقد اختيرت ألفاظ الآية الكريمة من مستوى واحد في الغرابة " (٢).

ويمكن أن يستفاد منها أيضاً ائتلافاً آخر بين اللفظ والمعنى، إذ غرابة اللفظ تتناسب مع غرابة المطلب، فليس هنالك أغرب، ولا أعجب، من أن يُطلب من والد أن ينسى فلذة كبده (٣).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من الزركشي وابن عاشور (٤) وغيرهم (٥).

المثال الثاني: التناسب بين (قسمة) و(ضيبي) في قوله تعالى: ﴿تَلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم: ٢٢].

وجه المناسبة: هناك تناسب عجيب بين كلمة (ضيبي) مع كلمة (قسمة)، فهذه الكلمة وردت مرة واحدة في القرآن، وهي من أغرب الكلمات الغريبة في القرآن، لكنها

(١) الإيتقان (٩١١/٢).

(٢) المفصل في علوم البلاغة العربية، العاكوب (ص: ٦٥٥).

(٣) من بلاغة النظم القرآني، بسيوني (ص: ٩٧).

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن (٣٧٨/٣)، التحرير والتنوير (٤٢/١٣).

(٥) انظر خصائص التعبير القرآني، المطعني (٩/٢)، جماليات المفردة القرآنية، ياسوف (ص: ٢٣٣)، مباحث

في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص: ١٤٤)، البلاغة العربية، الميداني (٢ / ٥٢١).

دقيقة دقة عجيبة في السياق الذي وردت فيه. ومعنى (ضيّزي) جائرة أو ظالمة، أي: قسمتكم أيها المشركون قسمة جائرة، ظالمة، لأنكم جعلتم لكم الذكور، وجعلتم لله البنات^(١). أما مناسبتها في الآية فقد علّل ابن الأثير ذلك الأمر تعليلاً بيانياً، ولاحظ فيه مراعاة فواصل الآيات، لأن فواصل الآيات بالألف المقصورة، فالواصل قبلها: العزّي، الأخرى، الأنثى، والواصل بعدها: الهدى، تمنّى، الأولى، فجاء بكلمة (ضيّزي) مراعاة لهذه الفواصل، ولو جاء بالكلمة الأخرى جائرة أو ظالمة لاختلّ الإيقاع وتأثر نظام الفواصل^(٢).

وهذا تعليل لفظي لطيف، لكنه لم يلتفت إلى المعنى. وقد أضاف الرافعي إلى تعليل ابن الأثير اللفظي، تعليلاً آخر لاحظ فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى، ومناسبته للسياق .

قال: " وفي القرآن لفظة غريبة، هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة (ضيّزي) من قوله تعالى ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [النجم: ٢٢]. ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أدت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها وهي سورة النجم مفصلة كلها على الياء فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام، وزعمهم في قسمة الأولاد" . ثم قال " فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملائمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصوّر في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى، والتهمك في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكّنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهمك في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المديّن فيها إلى الأسفل والأعلى، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغيراتها اللفظية"^(٣).

ومعنى كلام الرافعي أن السياق الذي ورد فيه اللفظ سياق غرابة موضوعية، وإنكار معنوي، فناسب هذا الإتيان بلفظ غريب في معناه، وغريب في إيقاعه، وجرس حروفه، وهذه دقة معجزة في اختيار لفظ (ضيّزي) وإيثاره على أي لفظ آخر^(٤).

(١) إعجاز القرآن البياني، الخالدي (ص : ١٣٠) .

(٢) المثل السائر (١/١٧٦) .

(٣) إعجاز القرآن (ص : ٢٣٠) .

(٤) إعجاز القرآن البياني، الخالدي (ص : ١٣٢) .

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً، جمع من المعاصرين (١).

المثال الثالث: التناسب بين (الفرار) و(قسورة) في قوله تعالى ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾

[المدثر: ٥١].

وجه التناسب: معنى (القسورة) الأسد، أو الرماة على اختلاف بين المفسرين (٢)، لكن هذه اللفظة أقل استعمالاً ودوراناً من لفظتي (الأسد) و(الرماة)، ووجه اختيارها ومناسبتها هنا أمور:

١ - من ناحية المعنى فهذا مناسب لغرابة نفور العصاة عن الدعوة إلى الطاعة والهدى، فكانت اللفظة الغريبة تناسب غرابة النفور الشديد عن الدعوة (٣).
٢ - قيل مراعاة للفاصلة فإن الفاصلة قبلها (مستنفرة) وبعدها (منشّرة)، فأتى بلفظ (قسورة) لمناسبتها لفظاً للفواصل (٤).

٣ - قيل أن الكلمة تحتل معنى الرامي ومعنى الأسد، وقد كثر عند العرب التشبيه بسرعة نفار حمار الوحش منهما، فأتى بلفظة تصلح للتشبيهين (٥).

وعلى هذا فيكون " شَبَّهَهُمْ فِي إِعْرَاضِهِمْ وَنَفُورِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ، بِحُمُرٍ رَأَتْ الْأَسَدُ أَوْ الرَّمَاءَ، فَفَرَّتْ مِنْهُ، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْقِيَاسِ وَالتَّمَثِيلِ، فَإِنَّ الْقَوْمَ فِي جَهْلِهِمْ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، كَالْحُمُرِ وَهِيَ لَا تَعْقِلُ شَيْئاً، فَإِذَا سَمِعَتْ صَوْتَ الْأَسَدِ أَوْ الرَّمَاءِ نَفَرَتْ مِنْهُ أَشَدَّ النَّفُورِ، وَهَذَا غَايَةُ الذَّمِّ لِهَوْلَاءِ، فَإِنَّهُمْ نَفَرُوا عَنِ الْهُدَى الَّذِي فِيهِ سَعَادَتُهُمْ وَحَيَاتُهُمْ، كَنَفُورِ الْحُمُرِ عَمَّا يَهْلِكُهَا وَيَعْقُرُهَا، وَتَحْتَ الْمُسْتَنْفِرَةِ مَعْنَى أْبْلَغَ مِنَ النَّافِرَةِ فَإِنَّهَا لَشَدِيدَةُ نَفُورِهَا، قَدْ اسْتَنْفَرَ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَحَضَّهَ عَلَى النَّفُورِ، فَإِنَّ فِي الْاسْتِنْفَاعِ مِنَ الطَّلَبِ قَدراً زائداً عَلَى الْفِعْلِ الْمَجْرَدِ، فَكَأَنَّهَا تَوَاصَلَتْ النَّفُورِ، وَتَوَاطَأَتْ عَلَيْهِ " (٦).

إن القرآن الكريم يعمد إلى أسلوب التشبيه في القضايا الخطيرة ذات الشأن، فهو لا يأتي بهذا الأسلوب إلا حينما يكون هناك أمر يراد تقريره، وتثبيته في النفوس، وهذا ما يجعله يختلف عن كثير من التشبيهات عند الناس (٧).

(١) انظر صفاء الكلمة، لاشين (ص: ٨٠)، البديع في ضوء أساليب القرآن، لاشين (ص: ٥٢ و ١٤٦)، من بلاغة القرآن، بدوي (ص: ٧٣)، جماليات المفردة القرآنية، ياسوف (ص: ٢٩١)، البلاغة العربية، الميداني (٣١/١) (٤٧٩/٢)، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، د. مطاوع، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٢٣، ١٤٠٨ هـ، (ص: ٢٥٠).

(٢) تفسير الطبري (٤٥٥/٢٣).

(٣) خصائص التعبير القرآني، المطعني (٤٤٨/٢).

(٤) التحرير والتنوير (٣٢٩/ ٢٩).

(٥) المصدر السابق (٣٢٩/ ٢٩).

(٦) بدائع التفسير (٢٢٣/٣).

(٧) البلاغة فنونها وأفانها - علم البيان - عباس (ص: ١٢٢).

إذن جاءت كلمة (قسورة) مناسبة في غرابتها للفرار الشديد الغرابة، مع مراعاة الفواصل السابقة، واللاحقة لها .
وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً الزمخشري^(١) وغيره^(٢).

(١) الكشاف (٢٦٣/٦) .

(٢) انظر قواعد التدبير الأمثل، الميداني (ص: ٥٠٤)، مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص: ١٥٣).

المبحث الخامس

المناسبة من حيث التوافق الصوتي

امتاز العرب عن غيرهم برهافة الحس، فهم يتأثرون أشد التأثر بما يسمعون، وللكلمة عندهم قدسيّتها، وهي تفعل فعلها إلى أبعد مدى عندهم، فيُحاربون ويُصالحون ويُضحون ويُكرمون نتيجة سماع كلمات، لذلك كله فقد أدركوا جمال الكلمات في القرآن^(١).

قال الزرقاني: " هذا الجمال الصوتي، أو النظام التوقيعي، هو أول شيء أحسّته الآذان العربية أيام نزول القرآن، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منشور الكلام، سواء كان مرسلًا أم مسجوعًا، حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر"^(٢).

إذن هذا النظام الصوتي، الذي رُصفت فيه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات، والآيات، هذا ينقر وذاك يصفر، وهذا يخفى وذاك يجهر، ووضع كل من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزان، حتى تألف من المجموع قالب لفظي مدهش^(٣)، هذا النظام الصوتي كان دليلاً واضحاً على إعجاز القرآن الكريم.

والدليل على أن جرس الآيات القرآنية، بما حوت من حروف وكلمات، هو من الإعجاز أن الله تعالى أمر بترتيل القرآن لا بمجرد القراءة فقد قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤]، وبين سبحانه أن ترتيل القرآن بتعليم منه سبحانه، فقد قال: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

فإنه تعالى علّم نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو صلى الله عليه وسلم علّم أمته ذلك، وأمر به^(٤)، فقال: " ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن " رواه البخاري^(٥)، وكما كان هذا النظام الصوتي دليل إعجاز من ناحية، كان سوراً منيعاً لحفظ القرآن من ناحية أخرى، وذلك أن من شأن الجمال اللغوي، والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا الكتاب العظيم^(٦)، كما أن ذلك فيه إعانة

(١) جماليات المفردة القرآنية (ص: ٧٥) .

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٢٨٤) .

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٨٦) .

(٤) المعجزة الكبرى (ص: ٢٢٤) .

(٥) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٣-١٤]، حديث رقم (٧٥٢٧) .

(٦) مناهل العرفان (٢/ ٢٨٦) .

لحفاظ القرآن على إتقانه، خصوصاً إذا كانوا صغاراً، فإنه لا يهديهم إلى الكلمة المنسية إلا نسق الحروف في بعض الكلمات، والإحساس باضطراب النظم، وتخلخل الكلام^(١). وبذلك يبقى أمد الدهر سائداً على السنة الخلق، وفي آذانهم، ويُعرف بذاته ومزاياه بينهم، فلا يجرؤ أحد على تغييره، وتبديله، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] (٢).

وعلى هذا فالمقصود بالتناسب الصوتي: اتساق كلمات القرآن، وائتلافها في الحروف والحركات، والسكنات والمدات والغنات، وغير ذلك من صفات الحروف اتساقاً عجيباً وائتلافاً رائعاً، يسترعي الأسماع، ويستهوو النفوس، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها كلام آخر من منظوم ومنثور^(٣).

أمثلة على ذلك:

المثال الأول: التناسب بين (الوسواس) و(الخناس) في قوله تعالى ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤].

وجه التناسب: جاءت الكلمتان متقاربتين، ومتجانستين في الصوت .

قال ابن القيم: " تأمل كيف جاء بناء الوسواس مكرراً، لتكريره الوسوسة الواحدة مراراً، حتى يعزم عليها العبد، وجاء بناء الخناس على وزن الفعّال، الذي يتكرر منه نوع الفعل، لأنه كلما ذكر الله انخنس، ثم إذا غفل العبد، عاوده بالوسوسة، فجاء بناء اللفظين مطابقاً لمعنييهما " (٤).

وتكرار حرف السين فيهما، يشعر بالمعنى المراد في الآية، قال سيد قطب: " أقرأها متوالية، تجد صوتك يحدث وسوسة كاملة، تناسب جوّ السورة، جوّ وسوسة (الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) " (٥). وفي هذا التجانس بين الحروف والكلمات مناسبة أخرى، وهي أن تعين حفاظ القرآن على إتقانه، خصوصاً إذا كانوا صغاراً، فإنه لا يهديهم إلى الكلمة المنسية إلا نسق الحروف في بعض الكلمات، والإحساس باضطراب النظم، وتخلخل الكلام^(٦).

(١) إعجاز القرآن، الراجعي (ص: ٢٤٣).

(٢) مناهل العرفان (٢/٢٨٦).

(٣) مناهل العرفان (٢/٢٨٣)، مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص: ١٤٩).

(٤) بدائع الفوائد (ص: ٧٩٣).

(٥) التصوير الفني في القرآن (ص: ٩٤).

(٦) إعجاز القرآن، الراجعي (ص: ٢٤٣).

ومن وجوه التناسب فيها أيضاً، أن الوسوسة: هي الصوت الخفي^(١)، والخناس: هو شديد الخنس، والخنس الاختفاء^(٢) فبينهما تناسب من هذا الوجه.

قال سيد قطب: "وهناك لفظة ذات مغزى في وصف الوسواس بأنه (الخناس)، فهذه الصفة تدل من جهة على تخفيّه واختبائه، حتى يجد الفرصة سانحة فيدب ويوسوس، ولكنها من جهة أخرى توحى بضعفه أمام من يستيقظ لمكره، ويحمي مداخل صدره، فهو سواء كان من الجنّة أم كان من الناس، إذا ووجه خنس، وعاد من حيث أتى، وقبع واختفى"، وهذه اللفظة تقوي القلب على مواجهة الوسواس، فهو خناس، ضعيف أمام عدّة المؤمن في المعركة"^(٣).

"وهذا التصور لطبيعة المعركة، ودوافع الشر فيها، سواء عن طريق الشيطان مباشرة، أو عن طريق عملائه من البشر، من شأنه أن يشعر الإنسان، أنه ليس مغلوباً على أمره فيها، فإن ربّه ومَلِكُه وإلهه مسيطر على الخلق كله، وإذا كان قد أذن لإبليس بالحرب، فهو آخذ بناصيته، وهو لم يسلطه إلا على الذين يغفلون عن ربهم ومَلِكهم وإلههم، فأما من يذكرونه فهم في نجوة من الشر ودواعيه الخفية، فالخير إذن يستند إلى القوة التي لا قوة سواها، وإلى الحقيقة التي لا حقيقة غيرها، يستند إلى الرب الملك الإله. والشر يستند إلى وسواس خناس، يضعف عن المواجهة، ويخنس عند اللقاء"^(٤). وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً ابن جماعة^(٥) وغيره^(٦).

المثال الثاني: التناسب بين كلمات الآية في قوله تعالى ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وجه التناسب: اختيار هذه الكلمات دون سواها، متقاربة في اللفظ والمعنى، فيه تناسب، وتناسق لطيف.

قال السيوطي: "لو قال مكانه وثمر الجنتين قريب لم يقيم مقامه، من جهة الجنس بين الجنى والجننتين، ومن جهة أن الثمر لا يشعر بمصيره إلى حال يُجَنَى فيها، ومن جهة مؤاخاة الفواصل"^(٧). فهذه الكلمات الثلاث متناسبة أشد التناسب، ولا يمكن أن يقوم

(١) الفروق اللغوية، العسكري (ص: ٦٧).

(٢) التحرير والتنوير (٦٣٤/٣٠).

(٣) في ظلال القرآن (٦/٤٠١١).

(٤) المصدر السابق (٦/٤٠١٢).

(٥) كشف المعاني (ص: ٤٣٣).

(٦) انظر المعجزة الكبرى، أبو زهرة (ص: ٢٤٤)، على طريق التفسير البياني، السامرائي (١/٥١).

(٧) الإتقان في علوم القرآن (٢/١٠٢٢).

غيرها مكانها.

"قلو جعل التعبير القرآني مكان (وجنى الجنتين دان) (وثمر الجنتين قريب) لم يحم مقامه، ولم يسدّ مسدّه، حيث أن في التعبير القرآني جمال الجناس بين (جنى) و(الجننتين)، كما أن لفظ الثمر لا يشعر بمصيره إلى حال يُجنى فيها، ولا ينبئ عن بلوغه مرحلة النضج، ليصير يانعاً تشتهيهِ الأنفس، وتلذ به الأعين، بينما يتبادر هذا المعنى إلى النفس والفكر سراعاً من لفظة (جنى)، كما أن هذا التعبير البديل (وثمر الجنة قريب) يفوّت على السامع المؤاخاة في الفواصل، وهي حلية لفظية ومعنوية، تزيد الكلام حسناً، واللفظة روعةً، وبهاءً"^(١).

إن القرآن اختار كل كلمة لتعبّر عن معنى دقيق، لاتعبّر عنه سائر الكلمات، فالآية في سياق وصف حال المؤمنين في الجنة، وتنعمهم بنعيمها الذي أجزله الله لهم، ولهذا كانت الألفاظ تؤدّي معناها في سياق الإنعام، فالجنى هو الثمر الذي أدرك على الشجرة، أي إنه نضج وبقي في مكانه على الغصن، وفي بقائه هذا معنى الحيوية، فهو ناضج، دائم النضج، لاناضح مصيره الذبول، وقال سبحانه (دان) للدلالة على قربه من المؤمنين، ليناله القائم والقاعد والمضطجع، فالثمار دانية إلى أفواه أربابها، فيتناولونها متكئين، ومضطجعين، لا يردّها عنهم بعد، أو شوك^(٢).

ويدل على هذه المناسبة أيضاً قوله تعالى ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]، فقد "جمع بين الوصفين لأن فاكهة الدنيا لا تخلو من أحد ضديّ هذين الوصفين، فإن أصحابها يُمنعونها، فإن لم يُمنعوها، فإن لها إباناً تنقطع فيه"^(٣) فقله (لامقطوبة) بالأزمان (ولا ممنوعة) بالأثمان، وقيل لا يُمنع من أراها بشوك، ولا بعد ولاحائط، بل جناها قريب يتناولها العبد على أي حال يكون^(٤).

إذن فقله (جنى) نظير قوله (لامقطوبة)، وقوله (دان) نظير قوله (لاممنوعة). فجمعت الآيتان كلتاها التاسب الصوتي والتاسب المعنوي.

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً ابن جزى و الزركشي والفيروز ابادي^(٥).

المثال الثالث: التاسب بين (ينهون) و(ينأون) في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦].

وجه المناسبة: جمع الله هنا بين الكلمتين المتقاربتين، والمتجانستين في اللفظ

(١) صفاء الكلمة (ص : ٧٦) .

(٢) أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، الكواز (ص : ٨٠) .

(٣) التحرير والتنوير (٣٠٠/٢٧)، وبنحوه في البلاغة فنونها وأفانها - علم المعاني - عباس (ص : ٤٨٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٩٧/٢٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص : ٨٣٤) .

(٥) انظر التسهيل (٣٩٦ / ٢)، البرهان في علوم القرآن (٤٥٢/٣)، بصائر ذوي التمييز (٧٠/١) .

والمعنى لبيّن " صفة الكفار الجبارين، الذين لا ينتفعون، ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ [النحل: ٨٨] ^(١)، " فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ " ^(٢).

ويضاف إلى التناسب السابق، تناسب آخر، وهو التناسب بين الكلمتين من حيث الترتيب، فهم أولاً: يnehون الناس عن اتباعه، لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به، وثانياً: يناون عنه، أي يتباعدون عنه بأنفسهم، إظهاراً لغاية نفورهم عنه، وتأكيداً لنهيهم، فإن اجتناب الناهي عن المنهي عنه، من متممات النهي عقلاً، ولعل هذا هو السر في تأخير النأي عن النهي ^(٣).

فمعنى الآية في أصح قول المفسرين: هو أنهم يnehون الناس عن اتباع القرآن، مع نأيهم، وبعدهم عنه أيضاً، فجمعوا بين التكذيب والصد ^(٤) فعبر القرآن عن ذلك بكلمتين متقاربتين، ليشعر قريهما بقرب معنيهما ^(٥).

وقد أشار إلى هذه المناسبة أيضاً كل من ابن جزي والسمين الحلبي والزرکشي والسيوطي وأبي السعود وابن عاشور ^(٦) وغيرهم ^(٧).

إن التجانس الصوتي في الكلمات يرتبط ارتباطاً قوياً بمعناها، ويزيده وضوحاً، قال ابن القيم: " قلت يوماً لشيخنا أبي العباس ابن تيمية - قدس الله روحه - قال ابن جنّي: مكثت برهة إذا ورد عليّ لفظٌ أخذ معناه من نفس حروفه، وصفاته، وجرسه، وكيفية تركيبه، ثم اكشفه، فإذا هو كما ظننته، أو قريباً منه، فقال لي رحمه الله: وهذا كثيراً مايقع لي " ^(٨).

وهكذا جاءت ألفاظ القرآن، في تجانسها الصوتي، جامعة بين حسن الجرس، مع قوة المعنى، ووضوحه.

(١) فضائل القرآن، ابن كثير (ص: ٢٠٦).

(٢) الكشف (٣٣٤/٢).

(٣) روح المعاني (١٢٦/٧).

(٤) فضائل القرآن، ابن كثير (ص: ٢٠٦).

(٥) من بلاغة القرآن، بدوي (ص: ١٤١).

(٦) انظر التسهيل (٢٦٦/١)، الدر المصون (٥٨١/٤)، البرهان في علوم القرآن (٤٥٠/٣)، الإتقان في علوم

القرآن (٩٢١/٢)، إرشاد العقل السليم (٣٠١/٤)، التحرير والتنوير (١٨٣/٧).

(٧) البلاغة العربية، الميداني (٢ / ٤٩٥).

(٨) بدائع الفوائد (ص: ١٦٦).

الخاتمة

إن الله سبحانه وتعالى قد خلق هذا الكون متناسباً، متناسقاً، لا تفاوت فيه، ولا قصور، وجعل كل شيء فيه بقدر موزون.

خلق الخلق فسوّاه، وقدره فهداه، وجعل له سنناً حياتية، منتظمة.

فالكون إذن منظم، والخلق متقن، والسنن مطردة لا تتبدّل، هذا التلاؤم، والتناسب دالٌّ على الخالق الحكيم سبحانه.

إن هذا التناسب في الكون له نظير في الشرع، فالقرآن العظيم، كلام الله تعالى، أصل الشرع وأساسه، متناسب في حروفه، وكلماته، وآياته، وسوره، ويتبع ذلك وينتج عنه، تناسب في الأحكام والتشريعات.

فالأحكام فيه متناسقة، لا يطغى فيها جانب على جانب، شاملة لكل نواحي الحياة، جامعة بين حاجات الروح والجسد، والفرد والمجتمع، والدنيا والآخرة.

إن كتاب الله المسطور في تناسبه، وكتاب الله المنظور في تناسقه، يدلّان على الحكيم الخبير سبحانه.

لذلك أمرنا الله بالنظر في هذين الكتابين، ومعرفة دلائل النظم، والتناسب فيهما، الدالّين عليه سبحانه وتعالى، وأن التفاوت في الخلق، والاختلاف في الشرع، ليسا من صفات الله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ [المك: ٣]، وقال ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وامتثالاً لأمره سبحانه كانت هذه الجولة في هذا البحث، تتبّعاً لوجوه التناسب بين الكلمات في كتاب الله، منقصباً لكلام العلماء فيه.

ولقد وصلت في الأخير إلى مايلي:

- إن القرآن الكريم في الغاية العظمى من التناسب، لأنه تنزيل من حكيم حميد، والتناسب من مقتضيات الحكمة.

- الأمر الكلي المفيد لمعرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنتظر إلى الغرض الذي سيقته له السورة، وتنتظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنتظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنتظر عند انجرار الكلام في المقدمات، إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام، واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيم على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن.

- من طرق معرفة التناسب بين الكلمات، النظر إلى الكلمة القرآنية من جميع الوجوه.
- ومن الطرق المهمة أيضاً لمعرفة التناسب بين الكلمات، الاستقراء، والنتبّع، ومعرفة الفروق اللغوية بينها.
- إن كلمات القرآن العظيم لها في تناسق حروفها، وتلاقي مخارجها إشراق في ذاتها، ولها إشراق آخر يزيد ويظهر بالتضام مع غيرها من الكلمات.
- موافقة الكلمات لمسبقها، واتفاقها مع جملة المعنى، وائتلافها مع مقصد القرآن، من أقوى الأدلة على التناسب بينها.
- التناسب بين كلمات القرآن لفظي ومعنوي، من جهة الأفراد والجمع، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتكثير، وكذلك التجانس في الصوت. والتناسب اللفظي يتبعه تناسب معنوي بلا ريب.
- كلام السلف في المناسبات قليل، ولعل ذلك يرجع إلى أن السلف كانت جهودهم متجهة نحو استخراج الأحكام، وكانت معرفتهم بأساليب البلاغة، مما لا يُحتاج فيه إلى بيان، كما ذكر الزركشي.
- كان لما يُعرف بمدرسة الرأي في التفسير، النصيب الأوفر في استنباط المناسبات في القرآن، وعلى رأس هؤلاء: الزمخشري، والرازي، وابن عاشور.
- وهذه هي أهم التوصيات:
- أوصي بدراسة هذه الموضوعات:
- التناسب بين المقسم به، والمقسم عليه.
- التناسب بين الكلمات في أكثر من آية.
- التناسب في القرآن من خلال كتب ابن تيمية وابن القيم.
- التناسب في الحديث النبوي.

وأخيراً

إن كلام الله تعالى لا يتقضي عجائبه، ولا تنتهي لطائفه، وهو كتاب كل عصر، ومعجزة كل دهر، وله في كل زمن دليل على الإعجاز، ولقد قال فيه المتقدمون على حسب أفهامهم، وسيقول فيه المتأخرون على قدر قرائحهم مما فتح الله به على الجميع بما لا يخالف أصول الشرع، وسيبقى مع ذلك كله غضاً طرياً على مدى الأزمان، إن كتابه تعالى مظهر لقوله تعالى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

- فهرس الآيات (محل الدراسة)
- فهرس الأحاديث
- فهرس الآثار
- فهرس الآيات الشعرية
- فهرس المصادر
- فهرس الموضوعات

١ - فهرس الآيات (محل الدراسة)

رقم الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
البقرة		
١٠٣	٢٤	فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
١١٤	٤٣	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
١١٣	٨٢	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
٩١	١٧٧	وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
١٣٢	١٧٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ
١٣٨	٢٣٣	وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ
١٠١	٢٥٥	لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ
١٥٠	٢٥٧	اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا
٩٤	٢٨٥	كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
١٤٥	٢٨٦	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
آل عمران		
١٠٢	٤٦	وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
٧٥	١٠٦	يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ
٩٦	١٥١	سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ
٩٣	١٩١	الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا
النساء		
١٦٤	١١	مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ
٩٣	١٠٣	فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا
٩٢	١٣٦	وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
٩١	١٦٣	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ
المائدة		
١٠٠	١١٠	تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا
الأنعام		
١٧٩	٢٦	وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ

رقم الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
الأعراف		
٩٨	٤١	لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ
١٥٧	٥٦	إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
٩٥	١٤٦	سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
الأنفال		
١٤٢	٧١	وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ
التوبة		
٧٥	٤٠	وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
١٤٠	٦٠	إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ
هود		
١١٧	١١٣	وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
يوسف		
١٦٧	١٧	وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الدَّبَّابُ
١٧١	٨٥	قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ
إبراهيم		
١٢٣	٣٤	إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ
١٣٤	٣٧	رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
النحل		
١٥١	٤٨	يَتَفَقَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ٤٨
الإسراء		
١١٧	٤٥	وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ
٨٦	٩١	أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ
مريم		
١٣١	٤٥	يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ
طه		
١٤٣	١١٩-١١٨	إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى

رقم الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
الحج		
١٥٨	٢	يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ
١٠٧	٤٦	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
النور		
١٦٣	٢	الزَّانِيَةَ وَالزَّانِيَ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
الشعراء		
١٥٩	٤	إِنْ نَشَأْ نُذِرْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً
٨٥	٢٤	رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
النمل		
٨١	١٦-١٥	وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
القصص		
١٦٦	٢٦	قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ
١٦٩	٧٢-٧١	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ
العنكبوت		
١١٠	٤٨	وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ
الروم		
٨٩	١٨-١٧	فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
الأحزاب		
٨٢ ، ٧٨	٧	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ
١٠٢	٣٥	إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
سبا		
١٢٥	٣٤	وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ
فاطر		
٧٤	٢٢-١٩	وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
ص		
١٤٤	٦	وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا

رقم الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
الزمر		
١٤٦	٧٣	وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ
غافر		
٨٨	٦١	اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ
الشورى		
١٣٩	١١	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
١٥٥	٤٩	يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً
الدخان		
١٠٤	٣	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ
١٥٣	٤٩	ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ
الحجرات		
١٠٠	١٤	قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا
النجم		
١١٩	٥	عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى
١٧٢	٢٢	تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى
٧٣	٤٥-٤٣	وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى
الرحمن		
١١٥	٦-٥	الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ
١٥٢	١٧	رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ
١٧٨	٥٤	وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ
٧٩	٦٨	فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ
الحديد		
١٦٨	٢٥	وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ
الحشر		
١٠٥	٩	وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ
الصف		
١٦٢	١١	تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ

رقم الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
التحريم		
٧٧	٤	فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ
١٠٠	٥	عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ
القلم		
١٠٨	١	ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ
المعارج		
١٥٢	٤٠	فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ
المزمل		
١٥١	٩	رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
المدثر		
١٧٤	٥١	فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ
المطففين		
١٤٧	٢	الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ
الفجر		
٩٠	٣	وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
البند		
٨٣	٣	وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ
١٢٨	١٦	أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ
الشرح		
١٥٤	٦-٥	فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا
التين		
٨٥	١	والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ
القدر		
١٠٤	١	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ
التكاثر		
١٦٧	٢	حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ
الناس		
١٧٧	٤	مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

٢- فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
٢١	أبدأ بما بدأ الله به
١٢٩	ابغوني الضعفاء
١٢٤	احتج آدم وموسى
١٤٣	أدّ الأمانة إلى من ائتمنك
٣٣	إذا أتيت مضجعك
١٠٥	أفضل الصلاة طول القنوت
٣٤	ألا أخبركم بمن يحرم على النار
١٠٨	ألا وإن في الجسد مضغة
١٣٥	أمّا صدقتك على سارق
١٢٩	أمرني بحب المساكين
٣٤	إن الله يبغض كل جعظري
١٠٦	إن الإيمان ليأرز إلى المدينة
١٣٥	أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك
٩٢	أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
١٣٥	إن الرجل إذا غرم حدّث فكذب
١٥٥	إن الفرج مع الكرب
١١٧	إن امرأة أبي لهب أتت وفي يدها حجر
١٤٢	إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين
٢٠	إن لقوله الذي يقول حلاوة
٣٣	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
١٦٤	حديث مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء
١٥٠	خط رسول الله خطأ
١٠٥	الصيام والقرآن يشفعان
٩٠	العشر عشر الأضحى
١٢٥	فجدد آدم فجحدت نريته
٩٤	كان رسول الله يذكر الله على كل أحيانه

الصفحة	طرف الحديث
١٣	لا نحصي ثناءً عليك
٣٣	لا يقل أحدكم أظعم ربك
١٧٦	ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن
٣٤	المؤمنون هينون لينون
١٢٩	من خُتم له بإطعام مسكين
١٠٥	من قرأ بمائة آية في ليلة
٩٧	نُصرت بالرعب مسيرة شهر
١٣٣	يارسول الله هذا قتل أخي
٢١	يُخرج الله أقواماً من النار

٣- فهرس الآثار

الصفحة	الأثر
٢١	إذا سأل أحدكم صاحبه
١٣٦	إنّا أجرينا عليكم أعطياتكم
١٠٦	إنّ المدينة تبوّئت بالإيمان
١٢٨	التُّرب الذي لا يقيه من التراب شيء
١٥	قفوا عند عجائبه
١٣٥	كاد الفقر أن يكون كفراً
١٤	لا تتقضي عجائبه
٥٣	لا والذي فلق الحبة
١٥٤	لن يغلب عسر يسرين
١٢٨	المطروح الذي ليس له بيت
٥٢ ، ١٥	من أراد علم الأولين والآخريين
٥٥	والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة

٤- فهرس الآيات الشعرية

الصفحة	البيت
٧٢	وبضدّها تتبيّن الأشياء
٧٢	فالوجه مثل الصبح مبيضّ ضدان لما استجمعا حسنا والفرع مثل الليل مسودّ والضد يظهر حسنه الضد
١٥٨	وما من الصفات بالأنثى يخص عن تاء استغنى لأن اللفظ نص وحيث معنى الفعل ينوي التا ترد ك ذي غداً مرضعة طفلاً ولد
١٦٨	أبا خراشة أمّا كنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع
١١	جاء النبيون بالآيات فانصرمت آياته كلما طال المدى جدد وجئتنا بحكيم غير منصرم يزينهن جلال العلم والحكم
٩٨	بذا قضى الله بين الخلق مُذْ خُلِقُوا أَنَّ المخاوفَ والإجرامَ في قرَنِ
١٦٨	فتىّ ليس لابن العم كالذئب إن رأى بصاحبه يوماً دماً فهو آكله
٢٣	والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذئب للطرف لا للنجم في الصغر

فهرس المصادر والمراجع

- ١- الآلة والأداة في التعبير القرآني، شذى معيوف يونس الشمّاع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م .
- ٢- أبحاث في بلاغة القرآن، محمد كريم الكواز، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م .
- ٣- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٨ هـ .
- ٤- الاتساع في المعنى، د. مقبول علي بشير النعمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ١٤٣٢ هـ .
- ٥- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت:مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت - دمشق، ط٢، ١٤٢٧ هـ .
- ٦- أحكام من القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٥ هـ .
- ٧- أدبية النص القرآني، بحث في نظرية التفسير، عمر حسن القيام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ط١، ١٤٣٢ هـ .
- ٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- ٩- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط٦، ١٤٢٤ هـ .
- ١٠- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت:محمد رشاد سالم، طبعة جامعة محمد بن سعود، الرياض، ط٢، ١٤١١ هـ .
- ١١- أسرار ترتيب سور القرآن، جلال الدين السيوطي، ت: رضا الهمامي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٢ هـ .
- ١٢- الإسلام والأوضاع الاقتصادية، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٢م .
- ١٣- الإسلام والطاقات المعطلة، محمد الغزالي، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٤٢٦ هـ .
- ١٤- إشراقات قرآنية، سلمان بن فهد العودة، مؤسسة الإسلام اليوم، ط١، ١٤٣٣ هـ .
- ١٥- أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٤٢٢ هـ .
- ١٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو

- زيد، دار عالم الفوائد، مكة، ط ١، ١٤٢٦ هـ .
- ١٧- إعجاز القرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني، ت: محمود محمد مزروعة، دار كنوز المعرفة، جدة، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
- ١٨- الإعجاز في نظم القرآن، د. محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، ١٣٩٨ هـ .
- ١٩- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٤ هـ.
- ٢٠- إعجاز القرآن البياني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمان، الأردن، ط ٣، ١٤٢٩ هـ.
- ٢١- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د. حفني محمد شرف، طبعة اللجنة العليا للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٧٠ م .
- ٢٢- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٩، ١٣٩٣ هـ .
- ٢٣- الإعجاز البلاغي، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، ط ٢، ١٤١٨ هـ.
- ٢٤- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢ م .
- ٢٥- الأعمال الكاملة لمحمد عبدة، جمع وتحقيق: د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤١٤ هـ.
- ٢٦- آفاق التفسير الموضوعي في القرن الهجري الأخير، إبراهيم سجادي، (ضمن دراسات في تفسير النص القرآني)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧ م .
- ٢٧- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ت: د. إبراهيم آكاه ود. حسين آتاي، طبعة أنقرة، ١٩٦٢ م .
- ٢٨- الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: سيد رجب، دار الهدى النبوي، مصر، ط ١، ١٤٢٨ هـ.
- ٢٩- البحر المحيط، محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الأندلسي، ت: عادل عبدالموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ .
- ٣٠- بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمع: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الرياض، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
- ٣١- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: علي بن محمد العمران، بإشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة.

- ٣٢- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت: عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٣٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، ت: محمد حسن حلاق، دار ابن كثير دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٣٤- البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٣٠هـ.
- ٣٥- بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، ت: حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت .
- ٣٦- البرهان في تتاسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، ت: سعيد الفلاح، طبعة جامعة محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠٨هـ.
- ٣٧- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- ٣٨- بصائر ذوي التمييز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد علي النجار و عبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٣٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ .
- ٤٠- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ٤١- البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب (ملاك التأويل لابن الزبير)، د. إبراهيم بن عبد العزيز الزيد، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
- ٤٢- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٣١هـ .
- ٤٣- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب ود. كامل حسن البصير، طبعة وزارة التعليم العالي، العراق، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- ٤٤- البلاغة العربية، تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥م .
- ٤٥- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، د. فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط١٢، ١٤٢٩هـ.
- ٤٦- البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، د. فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط١٢، ١٤٢٩هـ.

- ٤٧- بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم (المضارع نموذجاً)، د. كمال عبد العزيز إبراهيم، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ.
- ٤٨- البلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين، د. هند بنت جميل بن صالح نايتة، كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.
- ٤٩- بيان إعجاز القرآن، حمد بن سليمان الخطابي، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ت: محمد خلف الله وزغلول، دار المعارف، مصر، ط٣.
- ٥٠- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ.
- ٥١- البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥ م.
- ٥٢- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ.
- ٥٣- تنمة أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، طبعة ابن لادن، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- ٥٤- التحرير والتتوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
- ٥٥- تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت.
- ٥٦- تذكرة الموضوعات، محمد طاهر بن علي الهندي الفتّي، دار الطباعة المنيرية، مصر، ط١، ١٣٤٣هـ.
- ٥٧- تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، ت: محمادي بن عبد السلام الخياطي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- ٥٨- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد ابن جزى الكلبى، ت: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- ٥٩- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط١٦، ١٤٢٣هـ.
- ٦٠- التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الأردن، ط٧، ١٤٣٢هـ.
- ٦١- التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح، محمد إدريس الكاندهلوي، مطبعة الاعتدال، دمشق.
- ٦٢- التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي، ت: د. محمد بن صالح الفوزان، طبعة جامعة محمد بن سعود، الرياض، ١٤٣٠هـ.
- ٦٣- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

- ٦٤- التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٧٧ م.
- ٦٥- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، عبد الله بن عمر البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- ٦٦- تفسير جزء عمّ، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- ٦٧- تفسير الخازن (لباب التأويل)، علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن، دار الكتب العربية، مصر .
- ٦٨- تفسير الرازي (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
- ٦٩- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ت: أحمد عمر هاشم، دار أخبار اليوم، ١٩٩١ م.
- ٧٠- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ت: عبد الله التركي، دار هجر القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٧١- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، ت: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٧٢- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار، ط٢، ١٣٦٦هـ.
- ٧٣- التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، د. زيد عمر عبد الله العيص، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ٧٤- تفسير النسفي (مدارك التنزيل) بهامش تفسير الخازن، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتب العربية الكبرى، مصر .
- ٧٥- التقابل اللفظي في القرآن دراسة دلالية، د. يونس عبد مرزوك، د. ط .
- ٧٦- تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٧٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، ت: سعيد أعراب، مطبعة فضالة، المغرب، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- ٧٨- التناظر اللفظي، محمود سعداوي، د. ط .
- ٧٩- التناسب البياني في القرآن، د. أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ١٩٩٢ م .
- ٨٠- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

- ٨١- تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ٨٢- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور حسن سلمان، مكتبة المعارف الرياض، ط١.
- ٨٣- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٨٤- جامع المسائل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٨٥- الجانب العاطفي في الإسلام، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٥ م.
- ٨٦- جماليات المفردة القرآنية، د. أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ.
- ٨٧- جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف، عويض العطوي، الرياض، ١٤٣١هـ، د.د.
- ٨٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت: علي بن حسن بن ناصر و آخرين، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.
- ٨٩- الجواب الكافي، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد أجمل الإصلاحي و زائد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة .
- ٩٠- حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، ت: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ .
- ٩١- الحجاج في القرآن، د. عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
- ٩٢- الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي، ط٢، ١٣٨٤هـ.
- ٩٣- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، ١٣٧٦هـ.
- ٩٤- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.
- ٩٥- الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د. خلود العموش، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ١٤٢٩هـ.
- ٩٦- خلق المسلم، محمد الغزالي، دار الريان، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ٩٧- دراسات جديدة في إعجاز القرآن، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.

- ٩٨- دراسات في علوم القرآن، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، الرياض، ط١٥، ١٤٢٨هـ.
- ٩٩- دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، بيروت - مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- ١٠٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق .
- ١٠١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ١٠٢- دروس التاريخ، ول ديورانت، ترجمة وتقديم: علي شلش، دار سعاد الصباح، الكويت، ط١، ١٩٩٣م .
- ١٠٣- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، جمع وتحقيق: محمد السيد الجلند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق - بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- ١٠٤- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ.
- ١٠٥- دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي الهندي، المطبعة الحميدية، ١٣٨٨هـ.
- ١٠٦- دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار، د. جلال الدين يوسف العيداني، دار الراية، الأردن، ط١، ١٤٣١هـ.
- ١٠٧- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، د. عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ .
- ١٠٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألويسي، دار إحياء التراث العربي .
- ١٠٩- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٣١هـ.
- ١١٠- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي، طبعة جامعة الشارقة، الإمارات، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ١١١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.
- ١١٢- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، اعنتى به: مشهور حسن سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- ١١٣- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين

- الألباني، اعتنى به: مشهور حسن سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١ .
- ١١٤- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، بشرح جلال الدين السيوطي، وحاشية السندي، ت:مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت .
- ١١٥- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- ١١٦- شخصيات مصرية فذة، جلال أحمد أمين، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
- ١١٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، ت: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- ١١٨- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ .
- ١١٩- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ١٢٠- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، ت: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض ط٦، ١٤٢١هـ.
- ١٢١- شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله بن مالك، ت: عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٢هـ.
- ١٢٢- شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ت: عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- ١٢٣- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ١٢٤- الشوقيات، أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت .
- ١٢٥- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ .
- ١٢٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- ١٢٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- ١٢٨- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: فريق بيت الأفكار الدولية، دار بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٨هـ.
- ١٢٩- صفاء الكلمة، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٣هـ .

- ١٣٠- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، ت: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
- ١٣١- عادات القرآن الأسلوبية دراسة تطبيقية، د. راشد بن حمود الثنيان، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ.
- ١٣٢- العجائب في بيان الأسباب، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١٣٣- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي، طبعة جاورجيوس، ١٨٨٣ م.
- ١٣٤- على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، طبعة جامعة الشارقة، الإمارات، ١٤٢٣ هـ.
- ١٣٥- علم المعاني - البيان - البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
- ١٣٦- علم المناسبات في السور والآيات، محمد بن عمر بازمول، المكتبة المكية، مكة، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- ١٣٧- العلم وصفاً لله في البيان القرآني مواقعه وبلاغتها، د. شومه بنت محمد مساعد الفاضلي البلوي، دار المجد، دمشق، ط١، ١٤٣١هـ.
- ١٣٨- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ.
- ١٣٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، ت: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- ١٤٠- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، ت: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ١٤١- فتح الباري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت: نظر الفارياي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ١٤٢- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء.
- ١٤٣- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مصر.
- ١٤٤- فضائل القرآن، إسماعيل بن عمر ابن كثير، ت: أبي إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.
- ١٤٥- فقه الزكاة، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.
- ١٤٦- فوائد في مشكل القرآن، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الملقب بسليمان

- العلماء، ت: د. سيد رضوان الندوي، دار الشروق جدة، ط ٢، ١٤٠٢ هـ.
- ١٤٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩١ هـ.
- ١٤٨- في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وليد إبراهيم القصاب، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٣١ هـ.
- ١٤٩- في الطبيعة البشرية، علي الوردي، منشورات الأهلية، الأردن، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- ١٥٠- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار العلم، جدة، ط ١٢، ١٤٠٦ هـ.
- ١٥١- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، ت: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦ هـ.
- ١٥٢- قذائف الحق، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ط ٤، ١٤٣١ هـ.
- ١٥٣- قضايا اللغة في كتب التفسير، د. الهادي الجطلاوي، دار محمد علي الحامي، تونس، ط ١، ١٩٩٨ م .
- ١٥٤- قطاف الأفانين، ندى بنت صالح الكريديس، مجموعة آيات للإعلام القرآني، الرياض، ط ٣، ١٤٣٠ هـ.
- ١٥٥- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٤، ١٤٣٠ هـ.
- ١٥٦- قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين بن علي الحربي، دار القاسم الرياض، ط ١، ١٤٢٩ هـ.
- ١٥٧- القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- ١٥٨- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، ت: أشرف عبد المقصود، مكتبة السنة، القاهرة، ط ٢، ١٤١٤ هـ.
- ١٥٩- القول المفيد شرح كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ت: سليمان أبا الخيل و خالد المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- ١٦٠- قيمة الزمن عند العلماء، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ١٠ .
- ١٦١- كتاب الصناعتين، أبو الهلال الحسن بن عبد الله العسكري، ت: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط ١، ١٣٧١ هـ.
- ١٦٢- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ت: عادل عبد الموجود و علي معوض، مكتبة العبيكان،

- الرياض، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- ١٦٣- كشف المعاني في المتشابه المثاني، محمد بن إبراهيم ابن جماعة، ت: مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، الرياض، ط ٢، ١٤٣٢ هـ.
- ١٦٤- كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٤ م .
- ١٦٥- كيف نفهم القرآن، محمد رضا الحسيني الشيرازي، د. ط .
- ١٦٦- لا يأتيه الباطل، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٤٣١ هـ.
- ١٦٧- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، ت: عبد الله علي الكبير و آخرين، دار المعارف، القاهرة .
- ١٦٨- لغة الجسد في القرآن الكريم (العين والوجه واليد نموذجاً) دراسة بلاغية، د. كمال عبد العزيز إبراهيم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط ١، ١٤٣١ هـ.
- ١٦٩- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي، ت: د. عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ.
- ١٧٠- مائة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ٦، ٢٠٠٧ م .
- ١٧١- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، ط ٢، ١٤١٦ هـ.
- ١٧٢- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١١، ٢٠٠٠ م
- ١٧٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، ت: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة .
- ١٧٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: عامر الجزار، وأنور الباز، دار الوفاء، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٥ م .
- ١٧٥- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار عيسى البابي الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٧٦ هـ.
- ١٧٦- المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط ٢، ١٤١٠ هـ.
- ١٧٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبد الله الأنصاري، وآخرين، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، ط ٢، ١٤٢٨ هـ.
- ١٧٨- مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبد الله دراز، ت: سيد محمد بدوي، دار

- القلم، الكويت، ١٤٠٤هـ.
- ١٧٩- مدخل إلى البلاغة القرآنية، د. حلمي محمد القاعود، دار النشر الدولي، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.
- ١٨٠- مدخل إلى ظلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، الأردن، ط٢، ١٤٢١هـ.
- ١٨١- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مقل بن هادي الوادعي، دار الحرمین، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.
- ١٨٢- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخیص، للذهبي، ت: د يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت .
- ١٨٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- ١٨٤- مصاعد النظر للإشراف علی مقاصد السور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: عبد السميع محمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ١٨٥- مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- ١٨٦- مصنف ابن أبي شيبة، ت: محمد عوامة، شركة دار القبلة، جدة، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ١٨٧- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت: سعد الشثري وآخرين، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
- ١٨٨- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط٤، ١٤٣٠هـ.
- ١٨٩- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٣٠هـ.
- ١٩٠- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ.
- ١٩١- معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.
- ١٩٢- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، د. محمد محمد داود، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ١٩٣- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- ١٩٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- ١٩٥- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار

- الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ١٩٦- معجم المناهي اللفظية، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ.
- ١٩٧- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ.
- ١٩٨- المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان الفسوي، ت: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٠هـ.
- ١٩٩- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار الأسد آبادي، ت: أمين الخولي، الشركة العربية للطباعة، بيروت، ١٣٨٠هـ.
- ٢٠٠- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، ت: عبد اللطيف الخطيب، التراث العربي، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٢٠١- مغني المرید الجامع لشرح كتاب التوحيد، عبد المنعم إبراهيم، مكتبة نزار الباز، مكة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٢٠٢- مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: علي بن حسن عبد الحميد، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٦هـ.
- ٢٠٣- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- ٢٠٤- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٨١هـ.
- ٢٠٥- المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، منشورات الشريف الرضي، العراق، ط١، ١٣٨٠هـ.
- ٢٠٦- المفصل في علوم البلاغة العربية، د. عيسى علي العاكوب، دار القلم، دبي، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- ٢٠٧- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان، بيروت، ط٤، ١٤٢٩هـ.
- ٢٠٨- مكارم الأخلاق، عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا، ت: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٢٠٩- المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، عبدالله بن مقبل القرني، رسالة ماجستير ١٤١٣هـ، جامعة أم القرى.
- ٢١٠- المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال

- سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، أحمد بن محمد بن قاسم مذکور، رسالة ماجستير، ١٤٢٩ هـ، جامعة أم القرى .
- ٢١١- المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من خلال سورتي الأنفال والتوبة، ندين بنت مصطفى بن علي السليمي، رسالة ماجستير ١٤٣٠ هـ، جامعة أم القرى .
- ٢١٢- المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور من أول سورة ق إلى آخر سورة الناس، ممدوح بن تركي القحطاني، رسالة ماجستير ١٤٣٠ هـ، جامعة أم القرى .
- ٢١٣- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤ هـ.
- ٢١٤- من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٧ م .
- ٢١٥- من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، د. محمد بن علي الصامل، دار إشبيليا الرياض، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- ٢١٦- من بلاغة النظم القرآني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٣١ هـ.
- ٢١٧- من غريب بلاغة القرآن الكريم في سورتي الفاتحة والبقرة، د. عادل أحمد صابر الرويني، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٣ هـ.
- ٢١٨- من كنوز السنة، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة .
- ٢١٩- من لطائف التعبير القرآني حول سير الأنبياء والمرسلين، د. فؤاد بن محمود سندي، مكة، ط١، ١٤٢٤ هـ .
- ٢٢٠- منهاج السنة النبوية، أحمد بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة محمد بن سعود، الرياض، ط١، ١٤٠٦ هـ.
- ٢٢١- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ت.
- ٢٢٢- مهزلة العقل البشري، علي الوردي، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٩٤ م .
- ٢٢٣- الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: مشهور بن حسن سلمان، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٧ هـ.
- ٢٢٤- موجبات تغير الفتوى في عصرنا، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، بيروت.
- ٢٢٥- النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، ت: عبد الحميد الدخاخي، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢١ هـ.

- ٢٢٦- نظرات في القرآن، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٣ م.
- ٢٢٧- نظرات لغوية في القرآن الكريم، د. صالح بن حسين العايد، كنوز إشبيليا، الرياض، ط٣، ١٤٢٥ هـ.
- ٢٢٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ٢٢٩- النظم القرآني في آيات الجهاد، د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين، مكتبة التوبة، الرياض، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- ٢٣٠- النهاية في غريب الحديث، مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير، ت: محمود الطناحي، طاهر الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٣١- النهاية في غريب الحديث، مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير، ت: علي بن حسن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، الرياض، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- ٢٣٢- وعاظ السلاطين، د. علي الوردي، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٩٥ م.

المجلات والدوريات:

- مجلة الإعجاز العلمي، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد ٤١، شعبان، ١٤٣٣ هـ.
- مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، العدد ٢٣، ١٤٠٨ هـ.
- مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، العدد ٤٥، ١٤٠٠ هـ.
- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد ٢٥، محرم ١٤٢٠ هـ.
- مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٠، العدد ٢، ٢٠٠٤ م.
- مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الثاني، العدد ٢، ربيع الثاني، ١٤٢٦ هـ.
- مجلة معهد الإمام الشاطبي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي، جدة، الأعداد: (الثالث) جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ، و (العاشر) ذو الحجة ١٤٣١ هـ، و(الثاني عشر) ذو الحجة ١٤٣٢ هـ.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
١	المقدمة
٧	خطة البحث
١١	تمهيد
١٨	الفصل الأول علم المناسبات وقواعده وطرقه
١٩	المبحث الأول: علم المناسبات
١٩	المطلب الأول: تعريف علم المناسبات
٢٠	المطلب الثاني: نشأة علم المناسبات
٢٤	المطلب الثالث: أنواع المناسبات في القرآن
٢٥	المطلب الرابع: مكانة علم المناسبات وأهميته
٢٧	المطلب الخامس: حكم القول بالمناسبات في القرآن
٣٠	المطلب السادس: أشهر المؤلفات في علم المناسبات
٣٢	المبحث الثاني: المناسبة بين كلمات الآية
٣٢	المطلب الأول: تعريفها
٣٥	المطلب الثاني: أقوال العلماء فيها
٣٨	المبحث الثالث: قواعد المناسبة
٣٩	المطلب الأول: قواعد عامة في علم المناسبات
٤٧	المطلب الثاني: قواعد خاصة في المناسبة بين كلمات الآية
٥١	المبحث الرابع: طرق معرفة المناسبات
٥١	المطلب الأول: طرق لمعرفة المناسبة عامة
٦٥	المطلب الثاني: طرق معرفة المناسبة بين كلمات الآية الواحدة
٧٠	الفصل الثاني: أقسام المناسبة بين الكلمات من حيث المعنى
٧١	المبحث الأول: أقسام المناسبة من حيث العلاقة بين الكلمات
٧١	المطلب الأول: علاقة تضاد
٧٧	المطلب الثاني: علاقة الخاص بالعام
٨١	المطلب الثالث: علاقة أصل وفرع

الصفحة	الموضوع
٨٥	المطلب الرابع: علاقة مكانية
٨٨	المطلب الخامس: علاقة زمانية
٩١	المطلب السادس: علاقة فئة
٩٥	المطلب السابع: علاقة سبب ونتيجة
١٠٠	المطلب الثامن: علاقة تتابع وتدرج
١٠٣	المطلب التاسع: علاقة اقتران
١٠٧	المطلب العاشر: علاقة شيء بوظيفته
١١٢	المبحث الثاني: أقسام المناسبة من حيث الظهور والخفاء
١١٣	المطلب الأول: المناسبة الظاهرة
١١٧	المطلب الثاني: المناسبة الخفية
١٢١	الفصل الثالث: أقسام المناسبة بين الكلمات من حيث اللفظ
١٢٢	المبحث الأول: أقسام المناسبة من حيث نوع الكلمة
١٢٣	المطلب الأول: المناسبة بين اسم واسم
١٣١	المطلب الثاني: المناسبة بين اسم وفعل
١٣٨	المطلب الثالث: المناسبة بين اسم وحرف
١٤٢	المطلب الرابع: المناسبة بين فعل وفعل
١٤٥	المطلب الخامس: المناسبة بين فعل وحرف
١٤٩	المبحث الثاني: أقسام المناسبة من حيث المطابقة بين الكلمتين وعدمها
١٥٠	المطلب الأول: التناسب في الإفراد والتنثية والجمع
١٥٣	المطلب الثاني: التناسب في التعريف والتكثير
١٥٧	المطلب الثالث: التناسب في التذكير والتأنيث
١٦١	المبحث الثالث: أقسام المناسبة من حيث ترتيب الكلمات وموقعها في الآية
١٦١	المطلب الأول: المناسبة في التقديم والتأخير
١٦٦	المطلب الثاني: المناسبة بين كلمتين في جملة واحدة أو أكثر
١٦٦	أ - التناسب بين كلمتين في جملة واحدة
١٦٨	ب - التناسب بين كلمتين في جملتين مختلفتين
١٧١	المبحث الرابع: المناسبة من حيث غرابة اللفظ
١٧٦	المبحث الخامس: المناسبة من حيث التوافق الصوتي
١٨١	الخاتمة

الصفحة	الموضوع
١٨٣	الفهارس
١٨٤	- فهرس الآيات
١٨٩	- فهرس الأحاديث
١٩٠	- فهرس الآثار
١٩١	- فهرس الأبيات الشعرية
١٩٢	- فهرس المصادر والمراجع
٢٠٧	- فهرس الموضوعات